تهامة TIHAMA
رسائل جامعيّة
١٦

عبد الكريم علي باز

افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي



الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
جدة - المملكة العربية السعودية

عبد الكريم علي باز

افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
جدة - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الناشـــر

تهامـــة

جدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب ۵٤۵۵ - هاتف : ٦٤٤٤٤٤٤



افتراءات

فيليب حتى وكارل بروكلمان

على التاريخ الإسلامي

إهداء



إهدائي هَذا إلى التي وَهبَت لي مَا أنار لي الطريق في حَيَاتي ..

أسأل الله أن أكونَ حَيثما تحِبُ وترضى ..

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله باعث النبيين بدين الحق، والصلاة والسلام على من جعل الله رسالته خاتمة لرسالات السماء عامة لجميع خلقه، شاملة لكل أوامره ونواهيه، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

و بعد

فهذه مقدمة مبسطة لموضوع رسالتي المقدمة لنيل درجة الماجستير والتي أحاول بها أن أبدأ في طرق أول باب من أبواب التحصيل العلمي وأنا في بداية الطريق، وموضوعها هو:

دراسة نقدية لبعض
آراء فيليب حتي وكارل بروكلمان في التاريخ الاسلامي

والذي دعاني لاختيار هذا الموضوع هو انتشار هذه الآراء التي وقف الاستشراق من ورائها في مظهرين، كما قال فضيلة الشيخ الغزالي: أولهما ان الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية في البحث وهي أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد، وجمهرة المستشرقين مستأجرون لإهانة الاسلام وتشو يه محاسنه والافتراء عليه.

والآخر هو أن جمعاً غفيرا من المثقفين في بلادنا بوَّأ هؤلاء القوم مكانة هم دونها بيقين، ووقعوا في شباكهم ففسدت عقائدهم ومثلهم فلا محيص من اماطة اللثام عن وجوههم وإبرازهم على حقائقهم العارية. (١)

ومن المؤسف، أن بعض هذه التهم والريب قد نسجت بمنوال محكم من لدى صنعة مهرة، قد تخصصوا في ذلك، فأظهروها للعامة وكأنها حقائق ثابتة اقتنع بها البعض، والبعض الآخر ــ الأحسن ثقافة ــ وقف في حيرة من أمره مما جعل الشك يتسرب في بعض الأحيان، الى الاسلام وجوهره، حتى بدا يخبو بريقه في نفوس الذين بهرتهم حضارة أورو با واشتد اعجابهم بأفكار المستشرقين.

فوجدت أنه لزاما عليَّ أن أسعى محاولا الكشف عن بعض هذه التهم واظهار زيفها والتي حاول المغرضون الصاقها بالاسلام.

وليكون في المكتبة العر بية وأمام القاريء وخاصة الشباب المسلم مصدر موثوق به مدعم بالأدلة العقلية والنقلية، يكشف زيف هؤلاء الدساسين و يرد كيدهم في نحورهم بعدما يتضح الحق و يبدو ضياؤه أمام عيون الشباب المسلم، فلم يغتر بما يقرأ من كتبهم أو ينقاد لما يسمع من كلامهم.

(١) الغزالي: محمد ــ دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مزاعم المستشرقين، القاهرة (١٣٩٥هـ).

ولا أحسب نفسي أول من كتب في هذا المجال، بل لقد جعل الله للاسلام أقلاما تسعى لمحو ما التصق به من زيف أمثال العالم أبي بكر بن العربي، والدكتور ابراهيم شعوط، والشيخ محمد الغزالي، والأستاذ أحمد محمد جمال، فسعوا جاهدين ــ جزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء ــ الى اظهار الحق وكشف زيف المبطلين، الا أن كتاباتهم كانت شاملة وعامة، ولم تتركز في الرد على رأى شخص معين.

أما موضوعي فقد تركز في الرد على اثنين من هؤلاء فقط هما: «فيليب حتي» و «كارل بروكلمان» ولكتابين من كتبهما (تاريخ الشعوب الاسلامية ــ لبروكلمان) و (تاريخ العرب المطول ــ لفيليب حتي)..

وكان موضوع بحثي هو دراسة نقدية لبعض الآراء الموجودة في هذين الكتابين، وللفترة الممتدة من بداية البعثة المحمدية حتى نهاية العصر العباسي الأول، وكان اختياري للتصدى لهذين الكتابين، لما لهما من شهرة ذائعة الصيت في الأوساط العربية والاسلامية، لأن كتابيهما من أكثر كتب التاريخ الحديث انتشارا وشيوعا بين الشباب المسلم، ووجودا في المكتبات، وتدريسا في معظم الجامعات والمعاهد.. فأحببت أن ألفت نظر المسلمين الى خطورة هذين الكتابين وخبث نية صاحبيهما.

ولقد تصديت في منهج رسالتي لنقد هذه الآراء والرد عليهابأن أذكر الرأى ثم أبدأ الرد عليه بالأدلة المختلفة، منها العقلية ومنها النقلية، وقد اعتمدت في تفنيد هذه الآراء على الكتاب والسنة ثم استعنت بالأدلة النقلية والعقلية، والتي نقلتها لاستدل بها من بعض كتب المستشرقين الذين سجلوا في كتبهم اعترافاتهم بعبقرية الاسلام، ورجاله، كدين شامل مكتمل، اهتم بكل أمور الدين والدنيا، وبمكارم الأخلاق، وحث على اتباعه والتخلق بأخلاقه والأخذ بالعلوم في شتى مجالاتها، حتى أضحى لمعتنقيه حضارة زاهية جمعت بين الروح والمادة، فامتازت عن الحضارات الأخرى بالشمول والبقاء،وأعطى المرأة حقها من الحرية والانصاف، وأنصف الرقيق والأسير وضرب على يد الظالم والمفسد.

ولقد كان اختياري للأدلة من كتب هؤلاء المستشرقين المنصفين أمثال: توماس أرنولد، وجوستان لوبون، لأرد كيد المفترين منهم وأبين لهم زيفهم وافتراءهم، وحتى تصبح هذه الشهادة منهم على أنفسهم بكذب ادعائهم، فيتضح بعد ذلك للمرتاب والمفتون بثقافة الغرب كذب هذه الادعاءات، فشهادة الخصوم بعضهم على بعض من أقوى الأدلة على ثبوت الحقائق التي تعرض لها الخصوم.

لذلك رأيت أنه لزام عليَّ أن أقدم للقارىء شهادات المنصفين من غير المسلمين، على أن كل الادعاءات التي ذكرها كارل بروكلمان وفيليب حتي لا تتصل بأى سبب من أسباب الحقيقة ولا تقوم على أى نهج علمي.

ولقد كان تقسيمي للموضوع كما يلي:

أولا:ــ المقدمــة.

ــ التمهيد، وهو عبارة عن لمحة مبسطة عن حركة الاستشراق.

ثانيا: **القسم الأول:** و يشتمل الرد على بعض الآراء والشبه الموجودة في كتاب فيليب حتي ــ «تاريخ العرب المطول»، وهذا القسم مقسم الى ثلاثة فصول:

أ) صورة من الآراء في عصر النبوة.

ب) صورة من الآراء في عصر الراشدين.

جـ) صورة من الآراء في عصر بني أمية و بني العباس.

ثالثا: **القسم الثاني:** و يشتمل على الشبه والآراء في كتاب «تاريخ الشعوب الاسلامية» لكارل بروكلمان، وهو مقسم الى ثلاثة فصول أيضا:

أ) مختارات من الآراء في عصر النبوة.

ب) صورة من الآراء في عصر الراشدين.

جـ) نماذج من الآراء في عصرى الأمويين والعباسيين.

رابعا: **القسم الثالث:** وهو مقسم الى ثلاثة أجزاء أيضا:

أ) مقارنة بين طريقة كل من المؤلفين في تصوير هذه الشبه والآراء.

ب) واجب رجال التاريخ ازاء هذه الآراء.

جـ) بعض الكتب التي تأثرت بآراء (حتي) و (بروكلمان).

خامسا: عقدت فصلا آخر ذكرت فيه تعريفا مبسطا لبعض أهم المراجع التي أفادتني في بحثي.

سادسا: الخاتمة وهي عبارة عن كلمة مبسطة عن النتائج التي توصلت اليها.

سابعا: الفهرس، فقائمة المراجع والمصادر التي اعتمدت عليها في بحثي.



" تمهيد "

المستشرقون

متى بدأت حركة الاستشراق ؟

بدأت حركة الاستشراق منذ العصور الاسلامية الأولى حينما وصل الاسلام الى الأندلس، وأخذ نوره يضيء ظلام القلوب والعقول، من هذه البقعة التي كانت غارقة في الجهل والظلمة والتخلف، فلما تفتحت عيون أهل هذه البلاد على هذا الدين وعلى المثل الكريمة التي تمثل دين الاسلام على حقيقته وظهر شموخ الاسلام فيما يدعو اليه في مجال العلم والعقيدة، واكتسح كل ما سبقه من حضارات وراء الغرب أن يكون في منأى عن تلك الصورة المشرقة، فأخذ يستقى من مناهلها، وأصبح العرب حملة مشاعل الحضارة من الشرق الى الغرب، وصاروا أساتذة للأوروبين.

وصارت الجامعات الاسلامية في اسبانيا تضم الكثير من الطلبة الأوروبيين في أحضان أروقتها ليدرسوا كل ألوان العلم، ووجد الأوربيون في حضارة العرب ما يناسب احتياجاتهم و يسد الفراغ الموجود لديهم، حيث كان لها من المرونة والواقعية ما يجعلها تتناسب ورغبات الشعوب على اختلاف أجناسها وثقافاتها.

ولم يكتف الأوروبيون بتلقي علومهم ف الجامعات الاسلامية فقد أسسوا عدة جامعات ومعاهد وكراسي لدراسة الحضارة الشرقية في بلادهم.

وأصبح المسيحيون في أوربا يستقون من حضارة المسلمين شتى أنواع العلوم والمعارف والفنون، ودفعهم ذلك الى تعلم لغة العرب ليقتبسوا من حضارتهم وعلومهم التي ظهرت في الشرق الاسلامي فصاروا يحاولون أن يصبغوا ثقافاتهم بالصبغة الشرقية الاسلامية، ومن هنا عرفوا بالمستشرقين.

ونصل من وراء هذا كله الى أن الاستشراق قد بدأ أول ما بدأ بدراسة العلوم الاسلامية، مأخوذا بالنتائج العلمية التي حققها المسلمون، ولكنه كان استشراقا عفويا لا يضمر أى قصد سوى الاستفادة من حضارة الشرق باعتبارها نموذجا جديدا للحضارات.

واهتمت الدول الأوروبية بارسال بعثات علمية الى بلاد الأندلس لدراسة العلوم والفنون والصناعات، نتيجة ذيوع شهرة الأندلس وحضارتها الاسلامية الزاهرة، كما بعث الملك فيليب النافارى الى الأمير الأموى بالأندلس (هشام الأول ــ ١٧٢/١٨٠هـ)(١) يسأله السماح له بايفاد

(١) هشام الأول خلف أباه عبد الرحمن الأول، أمه أم ولد تسمى حلل كان أبوه قد عهد إليه بالامارة من بعده وولاه ماردة، وأعده للحكم، وكان يأنس فيه الحزم و يثق به .. وقد شبهه المؤرخون بعمر بن عبد العزيز في عدله واهتمامه بشؤون المسلمين، قرب الفقهاء إليه حتى أصبح لهم نفوذ كبير في الدولة، وكان يبعث الثقات إلى الكور يسألون الناس عن سير الولاة، وكان هشام تقيا صالحا صرف عهده فيما يعود على بلاده بالخير والرفاهية وهو من أهل الخير والصلاح كثير الغزو والجهاد لرفع راية الاسلام في الأندلس.

(أنظر حسن إبراهيم حسن ــ تاريخ الاسلام السياسي ج٢ ص ٢٣٣ــ٢٣٤) .

هيئة لاستطلاع حالة بلاد الأندلس، ودراسة نظمها وشرائعها والثقافات المختلفة فيها، ليتمكن من نقل هذه الصور الى بلاده. (١)

ثم تلت هذه المرحلة مرحلة أخرى، هي مرحلة الاستشراق من أجل هدف معين، وفي هذه المرحلة اتخذ اقبالهم على الاستفادة من الحضارة الشرقية الاسلامية شكلا علميا منظما، قائما على أسس علمية ثابتة واضحة، ثم تطور الى نوع من التقنين (التنظيم) في الدراسات، فأطلق عليها الدراسات الشرقية، وأسست لذلك مدارس خاصة من قبل الحكومات الأوروبية وذلك لتحقيق أهدافها الاستعمارية.

ومن الملاحظ أن الاستشراق بدأ بعد مؤتمر فينا الذي دعت اليه البابوية سنة ١٣١١م وذلك بعد أن طرد المسلمون الصليبيين من بلاد الشام نهائيا بعد سقوط عكا آخر معاقلهم في سنة ١٢٩٠م.

دوافع الاستشراق

أولا ــ دافع ديني:

إننا لا نحتاج الى كبير عناء في البحث للتعرف على الدافع الديني للاستشراق عند الغربيين، فقد بدأ أول ما بدأ الاستشراق المنظم من الفاتيكان، وروّاد الاستشراق هم رجال الكنيسة وعلماء اللاهوت، وظلوا هم المشرفين على هذه الحركة والمسيرين لها للدفاع عن الكنيسة ولمواجهة الضغوط الشديدة المتزايدة من المفكرين المتمردين على سلطانها، فحين فتحت الحضارة الاسلامية متنفسا لهم ومهدت لهم الفرصة للتفكير والتخلص من قيود الكنيسة وإظهار اعجابهم بالاسلام، كان هم الكنيسة أن تطعن في الاسلام وتشوه محاسنه، وتحرف حقائقه لتثبت لجماهيرها التي تخضع لسلطانها أن الاسلام هو الخصم الوحيد للمسيحية، وهو دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج لصوص، وسفاكو دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية. (٢)

ثم اشتدت حاجتهم الى هذا الهجوم بعد أن رأوا أن الحضارة الاسلامية قد زعزعت أسس العقيدة الدينية عند المسيحيين، وأخذت تشككهم في تعاليمهم التي كانوا يتلقونها من رجال الدين عندهم، فلم يجدوا غير تشديد الهجوم على الاسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة. (٣)

---

(١) مصطفى: عاطف ــ المستشرقون في الاسلام ــ العدد الثاني من السنة الثانية ص ٢٠٣. مجلة الدارة مقال (المستشرقون في الاسلام).

(٢) القارى: عبد العزيز ــ مجلة محاضرات الجامعة الاسلامية/محاضرات موسم ١٣٩٤/٩٣هـ ص ٩٧٦ (المستشرقون في الميزان).

(٣) د. السباعي: المستشرقون والاستشراق ــ ص ١٧ الكويت ١٣٨٧هـ.

ثانيا ــ دافع استعماري

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين ــ وهي حروب دينية محضة في ظاهرها وحقيقتها ـ لم ييأس الغربيون من العودة الى محاولة احتلال بلاد العرب والمسلمين، فاتجهوا الى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات وحضارة ولهجات شعوبها، ثم ازداد نشاطهم في البحث عن أمجاد الأمة العربية، وذلك ليتعرفوا على مواطن القوة فيضعفوها والى مواطن الضعف فيغتنموها، ولما تم للدول الغربية الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية على بلاد الشرق بدأوا في تنشيط الاستشراق، وإضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين و بث الوهن والارتباك في تفكيرهم، وذلك عن طريق التشكيك في فائدة ما في أيديهم من تراث، وما عندهم من عقيدة وقيم انسانية، حتى يفقدوا الثقة في أنفسهم و يتركوا مقاليد أمورهم في أيدى هؤلاء المستعمرين، و يتأثروا بما عندهم من أخلاق وعادات وتقاليد، فيتم للمستشرقين ما يريدون من خضوع المسلمين لحضارتهم وثقافتهم خضوعا لا تقوم لهم من بعده قائمة.

ثالثا ــ دافع اقتصادي

ومن الدوافع التي كان لها أثرها في تنشيط الاستشراق، رغبة الغربيين في التعامل مع الشرق لترويج بضائعهم، والاستيلاء على موارده الطبيعية الخام بأبخس الأثمان، لفتح أسواق تجارية لصناعتهم وقتل النشاط الصناعي والتجاري في الشرق،حتى يبقى تحت سيطرتهم متخلفافيما يضمن لهم مصدرا رخيصا للمواد الخام، فسعوا لايجاد شعور النقص عند المسلمين، وخلق التخاذل الروحي وحملهم على الرضا والخضوع لتوجيهات الاستعمار الغربي. (١)

تحدثنا عن الدوافع التي دفعت رجال أوربا للبحث في تراث المسلمين، واعتبرنا هذه الدوافع بمثابة المقدمات لتخطيط طويل الأمد، ثم تبين بعد ذلك أن هذه الدوافع والمقدمات كان لها أهداف تقصد اليها تبعا لخطة مرسومة كما أن لها وسائل استحدثوها لاقناع الناس بها.

بعض أهداف الاستشراق

و بعد دراسة أهداف الاستشراق وجدنا أن هناك اتجاهين:

الاتجاه الأول ــ يرمي الى التشكيك في الاسلام من كل جوانبه.

الاتجاه الثاني ــ البحث العلمي الخالص بنية الاستفادة من الجوانب المشرقة في الاسلام.

(١) أبورابية: محمد ــ جولة مع المستشرقين ــ ص ١٨ ــ القاهرة ١٣٩٦هـ.

الاتجاه الأول ـــ التشكيك في الاسلام من كل جوانبه

(١) التشكيك في صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم: وفي مصدرها الاهي، فأخذ جمهورهم ينكرون أن يكون محمد نبيا موحى اليه من عند الله جل شأنه، و يتخبطون في تفسير مظاهر الوحي في نزوله على الرسول، فمن المستشرقين من يرجع ذلك الى «نوع من الصرع» كان ينتابه صلى الله عليه وسلم، ومنهم من يعزوه الى مرض نفسي، ومنهم من يرجعه الى تخيلات كانت تملأ ذهنه صلى الله عليه وسلم وقالوا إن القرآن من وضع محمد، قد وضعه حسب ظروف البيئة، وحاجة شعبه، معتمدا على معلوماته السطحية من الكتب السماو ية السابقة له، وهكذا كانت بحوثهم حول الوحي والقرآن أو الدعوة والعبادات تعتمد دائما على الايهام والتشكيك في أمر النبوة.(١)

وهكذا، كأن الله لم يرسل نبيا قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي.

ولما كانت النبوة في نظرهم لموسى وعيسى باعتبارهم يهودا ونصارى، و وجدوا أنفسهم أمام نبوة محمد صلى الله عليه وسلم التي تعتبر نمطا جديدا، لها خصائصها ومميزاتها من حيث إنها للناس كافة مؤيدة بكتاب مفصل كان انكارهم لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم تعنتا قد ملأ نفوس أكثرهم و بخاصة الرهبان والقساوسة الذين جعلوا من أنفسهم مبشرين ودعاة مثل «رايموند لل» رئيس أسقفية طليطلة وحاكم مدينة كاستل سنة ١١٣٠ ـــ ١١٥٠، و «بيتر» حامل لواء حملة لوم المسيحيين على مهادنة الاسلام، وكان رأى «بيتر» أن تكون البداية على القرآن ولهذا ترجم القرآن للاتينية(٢). وأعدوا عدتهم لحرب الاسلام بكافة الأسلحة.

وحين يعجزهم فهم ما ورد في القرآن الكريم من حقائق تاريخية عن الأمم الماضية مما يستحيل صدوره عن نبي (أمي) مثل محمد صلى الله عليه وسلم، يزعمون ما زعمه المشركون الجاهليون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، من أنه استمد معلوماته عن أناس كانوا يخبرونه بها.

وقد أشار القرآن الى ذلك بقوله تعالى: «ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين».(٣)

وهكذا يتخبطون في ذلك تخبطا عجيبا، وحين يعجزهم فهم ما جاء في القرآن من حقائق علمية لم تعرف، ولم تكتشف الا في هذا العصر، يرجعون ذلك الى ذكاء النبي صلى الله عليه وسلم فيقعون في تخبط أشد غرابة عن سابقه.

وتبعا لذلك الانكار، يقولون إن الاسلام ليس دينا من عند الله وانما هو دين ملفق من الأديان الأخرى السابقة له.. وليس لهم في ذلك سند يؤيده البحث العلمي، وانما هي ادعاءات تستند على

---

(١) مصطفى: عاطف ـــ مجلة الدارة ـــ العدد الثاني والثالث من السنة الثانية ص ٢٠٣ (المستشرقون في الاسلام).

(٢) المرجع السابق

(٣) سورة النحل ـــ آية ١٠٣

بعض نقاط الالتقاء بين الاسلام و بين الديانة اليهودية والنصرانية.. وحتى اذا كان قد أخذ من الأديان الأخرى على زعمهم فهو دين من عند الله.

ونلاحظ أن المستشرقين اليهود أمثال — جولدنسهير، وشاخت — هم أشد حرصا على ادعاء استمداد الاسلام من اليهودية وتأثيرها فيه.(١)

وكان المفروض — في نظرهم — أن الديانات الالهية تتعارض مبادئها الأخلاقية وكأن الذي أوحى بدين هو غير الذي أوحى بدين آخر فتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

(٢) التشكيك في الحديث النبوي: ولقد عمدوا أيضا الى التشكيك في الحديث النبوي الذي اعتمد عليه علماؤنا المحققون، و يتذرع هؤلاء المستشرقون بما دخل على الحديث النبوي من وضع ودس، متجاهلين تلك الجهود التي بذلت من قبل علماء الحديث لتنقية الحديث الصحيح من غيره، مستندين الى قواعد بالغة الدقة في التثبت والتحري مما لم يعهد عندهم في ديانتهم ولم يبلغ عشر معشار ما قام به العلماء المسلمون للتأكد من صحة الكتب المقدسة عندهم. وقد رد علماء المسلمين أحاديث كثيرة نسبت الى رسولهم وهذه الأحاديث المردودة لضعف سندها أو متنها، تعتبر أقوى من التراث الديني الرائج بين اليهود والنصارى(٢) والذي حملهم على ركوب متن الشطط في دعواهم هذه، ما رأوه في الحديث النبوي — الذي اعتمده علماؤنا — من ثروة فكرية وتشريعية مدهشة وهم لا يعتقدون في نبوة الرسول، فادعوا أن هذا لا يعقل أن يصدر كله من محمد الأمي بل هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، فالعقدة عندهم هي عدم تصديقهم بنبوة الرسول ومن هنا ينبعث تخبطهم.(٣) **فأثاروا الشبه حول السنة المطهرة، فمن هؤلاء من يقول: ان السنة لم تدون الا في منتصف القرن الثالث الهجري، لذا حصل التزيد والتغيير ظانين لجهلهم او تجاهلهم على الأصح، ان الإمام البخاري رحمه الله هو أول من دّون السنة وسجل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد توفى سنة ٢٥٦ هجرية.**

والصحيح أن أول من ألف في السنة هو الزهرى ثم مالك ولم يكن البخارى أول من كتب في السنة، ومنهم من أثار الشبه حول السنة باعتبار أنها تضمنت فضائل عدة من الصحابة وممن وقع الخلاف بينهم كما هو معلوم، فهم لخبثهم يرون أن كل أحاديث الفضائل قد وضعها أنصارها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومما سلكه أعداء الاسلام في سبيل هدم السنة والتشكيك فيها هو اثارة الشبهات حول أكابر رواتها وحملتها ومدونيها، كما أثاروا الشبهات حول الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه وهو

---

(١) د. السباعي: ص ٢٣ — الاستشراق والمستشرقون

(٢) الغزالي: دفاع عن العقيدة والشريعة — ص ٦٣

(٣) د. السباعي: الاستشراق والمستشرقون — ص ٢٤

أكثر الصحابة رواية للحديث، كما أثاروا الشبهات حول الامام محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى الذي دون السنة في عهد عمر بن عبد العزيز بأمر منه.

ومن أمثال هؤلاء المستشرقين اليهودي جولد سيهر ودجالون.(١)

(٣) التشكيك في قيمة الفقه الاسلامي: ان ذلك الرصيد الهائل من التشريع لم يجتمع مثله لجميع الأمم في جميع العصور، لقد أسقط في أيديهم كثيراً حين اطلاعهم على عظمته وهم لا يؤمنون بنبوة الرسول فلم يجدوا بداً من الزعم بأن هذا الفقه العظيم مستمد من التشريع الروماني، أى أنه مستمد منهم هم الغربيين، وقد بين علماؤنا الباحثون فيها ضعف هذه الدعوى ثم تبين فيما قرره مؤتمر القانون المقارن المنعقد في لاهاى(٢) من أن الفقه الاسلامي فقه مستقل بذاته، وليس مستمدا من أى فقه آخر، مما أفحم المتعنتين منهم وأقنع المنصفين الذين لا يبغون غير الحق سبيلا.(٣)

(٤) التشكيك في قدرة اللغة العربية: ولم يقف هجومهم عند هذا الحد وإنما ذهبوا في حملتهم المسعورة الى التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي، ليظل العرب عالة على مصطلحاتهم التي تشعرنا بفضلهم وسلطانهم الأدبي على العرب، وتشكيكهم في غنى الأدب العربي، واظهاره مجدبا فقيرا ليتجه العرب الى الأدب الغربي، وذلك هو الاستعمار الفكري الذي يبغونه مع الاستعمار العسكري الذي يرتكبونه.(٤)

(٥) التشكيك في التراث الحضاري: ثم ذهبوا بعد ذلك الى تشكيك المسلمين في تراثهم الحضاري، و يدعون أن الحضارة الاسلامية منقولة عن الحضارة الهيلنية وهي التي كانت قائمة في تلك الفترة في الشرق والتي تأثرت بالحضارات الشرقية خاصة بعد فتح الاسكندر للشرق ولم يكن العرب والمسلمون الا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها، ولم يكن لهم ابداع فكري ولا ابتكار حضاري، و بذلك يكونون قد تمكنوا من اضعاف ثقة المسلمين بتراثهم.

(٦) اضعاف روح الاخاء الاسلامي بين المسلمين: وذلك عن طريق إحياء القوميات التي كانت من قبل الاسلام واثارة النعرات والخلافات بين شعوبهم.

فسعى الاستشراق جاهدا الى اعادة فكرة الشعوبية الى العالم الاسلامي بقصد اضعاف وحدته، وذلك مثل الدعوة البربرية في شمال افريقيا، والفرعونية في مصر، والفينيقية في ساحل فلسطين ولبنان، والآشورية في العراق.

---

(١) أنظر الصواف: محمد محمود ــ المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام صفحة ١١١ ــ ١١٤ الطبعة الأولى.

(٢) (لاهاى) عاصمة المقاطعة الجنوبية بهولندا، كما تعد العاصمة الحقيقية لها، بها المحكمة الملكية والمجلس التشريعي ومحكمة العدل الدولية التي أوصى باقامتها مؤتمر عام ١٨٩٩م بلاهاي نفسها (الموسوعة العربية الميسرة ص ١٥٤٦).

(٣و٤) د. السباعي ــ مصطفى ــ الاستشراق والمستشرقون ــ ص ٢٥ .

فاستغل الاستشراق ضعف الدولة العثمانية و بدأت تظهر حركة تركيا الفتاة سنة ١٩٠٨م وكانت هذه الحركة هي ثمرة عدة جهود من النشاط الذي قامت به جماعات صغيرة بتأثير الآراء والأفكار الغربية .(١)

وسعوا الى تفتيت العالم الاسلامي من بين يد الدولة العثمانية، وهناك تقرير رفعه (لورنس) ــ صديق العرب في ذلك الوقت ــ الى الحكومة البريطانية سنة ١٩١٧م يقول فيه: «علينا أن ندفع العرب لانتزاع حقوقهم من تركيا بالقوة، لأننا بهذا نستطيع أن نقضي على خطر الاسلام بأن نجعله يعلن الحرب على نفسه فنمزقه من الداخل» .(٢)

فسعى الغرب الى تقسيم العالم العربي الاسلامي، لمناطق منعزلة تحت حمايته، وذلك في الاتفاقية الانجليزية الفرنسية الروسية سنة ١٩١٦م التي عرفت باتفاقية «سايكس بيكو» .(٣)

ونرى من ذلك أن الغرب سعى جاهدا الى تقسيم العالم الاسلامي على أساس القومية، أي الى عالم عربي وغير عربي، مما أدى الى قطع الصلات بين المسلمين. وأصبحت الصلات قائمة على العنصر القومي. مجردة من كل صلة بالاسلام حتى تسهل السيطرة عليها.

وعلى كل حال فقد دأب القائمون على الاستشراق، في عقد المؤتمرات العامة لتنظيم نشاطهم منذ عام ١٨٧٣م، ونشر المقالات في الصحف وتأليف الكتب التي تطفح حقدا وسما على الاسلام ونبيه، وتوهن القيم الاسلامية وتفتت وحدة الشعوب الاسلامية لتحقيق أهدافهم .(٤)

الاتجاه الثاني ــ أهداف علمية خالصة بنية الاستفادة من الجوانب المشرقة في الاسلام

وهذه لا يقصد منها الا البحث والتمحيص، ودراسة التراث العربي والاسلامي، دراسة تجلو لهم بعض الحقائق الخافية عنهم. وهذا الصنف قليل عدده جدا، وهم مع اخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء ، والاستنتاجات البعيدة عن الحق. إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية. وإما لجهلهم بالأجواء الاسلامية التاريخية على حقيقتها. فيتصورونها كما يتصورون مجتمعاتهم، ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والدينية التي تفرق بين البيئة التاريخية التي يدرسونها و بين البيئة الخاصة التي يعيشونها.

---

(١) د. أرنست ــ تركيا الفتاة ص ٣٩ بيروت ١٩٦٠م .
(٢) جمعة: سعد ــ مجتمع الكراهية ص ٨٨ بيروت دار الكتاب العربي .
(٣) أنطنيوس: جورج ــ يقظة العرب ص ٥٧٨ بيروت ١٩٦٩ .
(٤) الطهطاوى: محمد عزت اسماعيل: ــ الاستشراق والتبشير ــ ص٤٣ القاهرة ١٣٩٧هـ.

وهذه الفئة هي أسلم الفئات في أهدافها، وأقلها خطرا، اذ سرعان ما يرجعون الى الحق حين يتبين لهم، ومنهم من يعيش بقلبه وفكره في قلب البيئة التي يدرسها فيأتي منطبقا مع الحق والصدق والواقع، ولكنهم يلقون عنتا من أصحاب الأهداف الأخرى، اذ سرعان ما يتهمونهم بالانحراف عن النهج العلمي، والانسياق وراء العاطفة والرغبة في مجاملة المسلمين والتقرب اليهم، كما فعلوا مع «توماس أرنولد» حين أنصف المسلمين في كتابه «الدعوة الى الاسلام»، وهذا يعتبر من أدق وأوثق مراجع المستشرقين في تاريخ التسامح الديني في الاسلام، يطعن فيه المستشرقون المتعصبون — خاصة المبشرين منهم — بأن مؤلفه كان مندفعا بعاطفة قوية من الحب والعطف على المسلمين مع أنه لم يذكر فيه حادثة الا أرجعها الى مصدرها.(١)

ومن هؤلاء أيضا من يؤدي به البحث الخالص لوجه الحق، الى اعتناق الاسلام والدفاع عنه مثل المستشرق الفرنسي «دينيه»، الذي عاش في الجزائر فأعجب بالاسلام وأعلن اسلامه وتسمى باسم «ناصر الدين دينيه»، وكتب كتابا اسمه «أشعة خاصة بنور الاسلام» بين فيه تحامل قومه على الاسلام ورسوله.(٢)

وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم

وأما الوسائل فهي:

١ـ تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الاسلام واتجاهاته وعن رسوله صلى الله عليه وسلم وفي معظمها كثير من التحريف المتعمد والقاء التهم بلا سند، أو نقل نصوص بعد بترها لتشويه بعض وقائع التاريخ.

٢ـ اصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الاسلام و بلاده وشعوبه لغرض تمكين الاستعمار في هذه البلاد.

٣ـ الارساليات التبشيرية الى العالم الاسلامي لمزاولة الأعمال الانسانية في الظاهر كالمستشفيات والمدارس والجمعيات الخيرية، والملاجىء ودور الحضانة مثل جمعيات الشبان المسيحية وأشباهها.

٤ـ القاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية التي تكشف عن آرائهم في الاسلام.

٥ـ مقالات في الصحف المحلية عندهم، والصحف التي استطاعوا شراءها في البلاد الاسلامية، وقد أعلن المبشرون عنها(٣).

---

(١) د. السباعي: مصطفى ــ الاستشراق والمستشرقون ص٢٧، الطهطاوي: محمد عزت اسماعيل ــ التبشير والاستشراق ص٤٠، القارى: الشيخ عبد العزيز محاضرات الجامعة الاسلامية لموسم عام ٩٣/٩٤ ص٢٧٧ (المستشرقون في الميزان) .

(٢) د. السباعي: مصطفى ــ الاستشراق والمستشرقون ص٢٧ .

(٣) د. خالدى: مصطفى، فروخ: عمر ــ التبشير والاستعمار ص٢١٣ بيروت ٩٠هـ .

٦ـ عقد المؤتمرات لاحكام خططهم وطرح بحوث عامة في ظاهرها وهي في الحقيقة دعاية ضد الاسلام حتى وقتنا الحاضر. (١)

٧ـ دخول طائفة من المستشرقين في الدين الاسلامي ظاهرا ليبشروا بالمسيحية في ظل الشعار الاسلامي. (٢)

موازين البحث عند المستشرقين

يعتمد معظم المستشرقين في تحرير أبحاثهم عن القضايا الاسلامية على ميزان غريب بالغ الغرابة في ميدان البحث العلمي، فمن المعروف أن العالم المخلص يتجرد من كل هوى وميل شخصي عندما يريد البحث العلمي في أى موضوع فيتابع النصوص والمراجع الموثوق بها، حتى يصل الى الحقيقة العلمية المطلوبة.

ولكن أغلب هؤلاء المستشرقين كانوا على نقيض من ذلك، فهم يضعون في أذهانهم فكرة معينة، و يبدأون في تصيد الأدلة لا ثباتها، وحين يبحثون عن هذه الأدلة لا تهمهم صحتها بمقدار ما يهمهم امكان الاستفادة منها لدعم آرائهم الشخصية، وكثيرا ما يستنبطون الأمر الكلي من حادثة جزئية، أو أنهم يدخلون بشخصياتهم، وآرائهم وأهوائهم الخاصة فيفسرون الحوادث و يناقشون النصوص، ويحللون القضايا والشخصيات الاسلامية(٣) على ضوء وجهة نظرهم، و يطلون من نافذتهم الخاصة فيلقون ظلالا معينة تغير معالم الصورة الأصلية.

ومن هنا يضربون في متاهات أملاها عليهم الهوى والغرض، رغم ما توفر لهم من الامكانات العلمية بالحصول على المخطوطات الثمينة من تراث الاسلام، التي كان من شأنها أن تهديهم الى الفكرة السليمة عن الاسلام والمسلمين. (٤)

الخدمات التي قدمها الاستشراق للبحث العلمي

ذكرنا فيما سبق أن هناك طائفة من المستشرقين اتجهت الى البحث العلمي الخالص بنية الاستفادة من الجوانب المشرقة للاسلام، ولا يفوتنا هنا أن نقول كلمة حق ننصف بها الذين أنصفوا الاسلام ودافعوا عنه، فقد اهتم كثير من المستشرقين بتاريخنا الحضاري، الذي

---

(١) د. السباعي: المستشرقون والاستشراق ــ ص٢٨.

(٢) د. أ. ج. اربرى ــ المستشرقون البريطانيون ــ ص ١٠ لندن ١٩٤٦م.

(٣) د. السباعي: مصطفى ــ المستشرقون والاستشراق ــ ص ٤٥، مصطفى: عاطف مجلة الدارة ــ العدد الثالث والرابع من سنة ١٣٩٦هـ ص٢٠٧.، مقال (المستشرقون في الإسلام).

(٤) القارى: محاضرات الجامعة الاسلامية ص٢٧٧ مقال (المستشرقون في الميزان).

يعتبرونه ركنا وأصلا في دراسة أحوال المسلمين من جميع جوانبها، و يرجع إليهم الفضل في إبراز المقومات الكبرى والمعالم الرئيسية للحضارة الاسلامية.

وكذلك أبرز بعضهم أثر الاسلام في حضارات الأمم الأخرى، وكيف تأثرت بحضارته كما أوضحوا بذلك أثر الحضارة الاسلامية في حضارة أوربا، و بذلك ترتب على هذه الدراسة كشف حقيقة الاسلام وحضارته للجميع، وأنه لم يكن مجرد ثقافة روحية ولم تنحصر حضارته في ميدان معين، ولم تكن الحضارة الاسلامية تراث جنس واحد وأمة واحدة، فقد أنشأ الاسلام حضارة واسعة ثمينة فيها الروح والمادة، فيها المعرفة والعمل، فيها الأدب والعلم، حضارة اتسع صدرها لكل نافع من ذخائر الحضارات السابقة لها، واستطاعت بعد ذلك أن تخرجه للعالم مطبوعا بطابعها الانساني.

وقد اعترف المستشرقون المنصفون بذلك، وقد أخرجوا عديدا من البحوث في هذا المجال.(١)

كما ظهر بذلك أثر الفكر الاسلامي لدى بعض الفلاسفة الغربيين مثل (ديكارت) واحتلت دراسة الفلسفة الاسلامية مكانها في الجامعات الأوروبية وانتشر في أوربا كثير من الآثار الاسلامية، و بعض من روائع الأدب الشرقي بين شعوب أوربا.

وكان من نتيجة اهتمام الاستشراق بحضارتنا وتراثنا أن نشر كثير من المخطوطات الشرقية وذلك بعد تحقيقها من قبلهم، والحق أن كثيرا من المراجع التي تعتمد عليها اليوم دراستنا العربية، يرجع الفضل في ظهورها أو تيسير الانتفاع منها الى أولئك المستشرقين.(٢)

فقد اهتموا وكرسوا كل جهودهم لاستيعاب المصادر وجمع المعلومات بشكل واسع وربما ساعدهم على ذلك اهتمامهم بالاختصاص الدقيق بحيث يقضي أحدهم فترة طويلة من عمره في بحث واحد يتفرغ له، وكذلك من ضمن خدماتهم التي قدموها للبحث العلمي التنسيق والترتيب في منهج البحث والتأليف والاحصاء والفهرسة وعنايتهم بذلك عناية كبيرة، وكان ذلك شيئا جديدا على الدارسين المسلمين في الفترة التي ظهرت فيها دراسات المستشرقين إلى عالم القراء، وتنبهت الأوساط العلمية والدارسون في العالم الاسلامي إلى هذا المنهج المنسق الذي ظهر في دراسات المستشرقين فاستفادوا منه في بحوثهم ودراساتهم(٣).

---

(١) مجلة الدارة ــ العدد الثاني والثالث من السنة الثانية ــ ص٢٠٧ (المستشرقون في الاسلام).

(٢) د. هاشم: زكريا ــ المستشرقون والاسلام ص١٦٨ ــ القاهرة ١٣٨٥هـ.

(٣) القارى: ــ محاضرات الجامعة الاسلامية ــ الموسم الثقافي ٩٣/٩٤ مقال (المستشرقون في الميزان).

مدارس الاستشراق

لقد اهتم الغرب بانشاء مدارس خاصة لتخريج جماعات منهم يجيدون اللغات الشرقية، و يدرسون شتى علوم الشرق، ومهيأون لتحمل المسؤوليات التي ستلقى على عاتقهم تجاه الشرق وأهله، وليكونوا عملاء للاستعمار في بلاد الاسلام، الاستعمار بشتى أساليبه، وليكونوا أداة تقوض صرح البناء الاسلامي من جميع جوانبه الدينية والثقافية والاجتماعية، وذلك باتصالهم بالمسلمين فيوهمونهم بأنهم على معرفة تامة بأحوال الشرق وعلومه وعقائده ولغاته، وهذا ما دأب عليه الاستشراق لتوهين قوي المسلمين وايهامهم في كل مناسبة بأنهم ضعفاء ومتخاذلون في شتى الميادين.

وسأذكر بعض هذه المدارس على سبيل المثال لا الحصر:

أولا ــ مدارس في داخل العالم الاسلامي:

١ــ الجامعة الأمريكية في استانبول

٢ــ الجامعة الأمريكية في بيروت

٣ــ الجامعة الأمريكية في القاهرة

٤ــ معهد جوته الألماني في القاهرة

٥ــ الكلية الفرنسية في لاهور

ثانيا ــ مدارس للاستشراق في العالم الغربي:

١ــ لقد أسس البابا سلفستر الثاني مدرستين عربيتين لتدريس اللغة العربية والحضارة الشرقية، وكانت الأولى في روما ــ في مقر بابويته ــ والثانية في راميس وطنه، ثم أضاف بعد ذلك مدرسة ثالثة وهي مدرسة شارتر.(١)

٢ــ ولما صار الاستشراق مغذيا لروح التبشير بدأ بانشاء عدة مدارس لهذا الغرض منذ القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ثم أنشئت مدرسة الجمعية المقدسة لنشر الايمان وأنشأها غريقريوس الخامس عشر سنة ١٦٢٢. (٢)

٣ــ كما أنشأ مدارس خاصة للأغراض السياسية مثل:

١) المدرسة العربية ومعهد «بريل» في مدينة ليون بهولندا.

٢) مدرسة اكسفورد في انجلترا.

٣) مدرسة القناصل الامبراطورية الملكية في النمسا، مهمتها تعليم السلك الدبلوماسي اللغة العربية.

---

(١) المليباري: مجلة المؤتمر الأول للأدباء السعوديين ص١٨٩٦ مقال (المستشرقون والدراسات الاسلامية).

(٢) المرجع السابق ص١٩٠١.

٤) وفي باريس أنشئت مدرسة على هذا الغرار باسم المدرسة الخصوصية للغات الشرقية الحية سنة ١٧٩٥م. (١)

٥) وأنشأت بريطانيا معهد الدراسات الشرقية في لندن سنة ١٩١٧م، وكان نتيجة ارتفاع الصيحات المطالبة بتأسيس معهد شرقي في بريطانيا، تكون مهمته اعداد وتخريج رجال ونساء يستطيعون أن يخدموا وطنهم في الشرق، اما في السلك السياسي أو التجاري أو في دوائر الحكومة وراء البحار أو في ميادين الثقافة.

وقد تشجعت الحكومة البريطانية نتيجة ضغط الحروب الأولى عندما وجدت نفسها في حاجة الى الذين يهتمون باللغات الشرقية، وذلك بالرغم من مصالح بريطانيا الكثيرة المتزايدة الممتدة من المحيط الأطلسي الى بحر الصين، فعهدت الحكومة البريطانية الى اللورد (برى) بانشاء معهد على هذا الغرار. (٢)

وهناك بعض الكراسي خاصة للدراسات الشرقية في داخل أروقة الجامعات الأوروبية مثل:

١ــ كرسى للدراسات الشرقية، بجامعة سانت اندريز(٣) سنة ١٩٦٨م.

٢ــ كرسى للدراسات الاسلامية بجامعة كمبردج و بها كرسى آخر تأسس عام ١٩٣٢، تعهَّد توماس آدافر رئيس بلدية لندن بتمويله.

٣ــ مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية في لندن أسس عام ١٩٦٠م. (٤)



(١) المصدر السابق ص ١٩٠٢.

(٢) القارى: محاضرات الجامعة الاسلامية الموسم الثقافي ٩٤/٩٣ ص ٢٨٥ مقال (المستشرقون في الميزان).

(٣) (سانت اندريز جامعة في مدينة لاباس في بوليفيا أسست عام ١٨٣٠. ــ الموسوعة العربية الميسرة ص ٩٤٩.

(٤) محاضرات الجامعة الاسلامية ــ ص ٢٨٥.

التعريف بفيليب حتي وكارل بروكلمان

وما دمنا في مجال الحديث عن المستشرقين، رأيت لزاما عليَّ أن أورد ترجمة مبسطة ومختصرة عن كل من المؤلفين اللذين هما مجال بحثي «فيليب حتي» و «كارل بروكلمان».. وأقول مختصرة لعدم وجود المراجع الكافية لترجمة هاتين الشخصيتين، وذلك لكونهما معاصرين لم يكتب شيء عن حياتهما باستفاضة كاملة.

أولا ــ فيليب حتي

هو الدكتور فيليب حتي، المولود في عام ١٨٨٦م لبناني الأصل، أمريكي الجنسية، تخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٠٨م ونال الدكتوراه من جامعة كولومبيا عام ١٩١٥م.(١)

من هاتين المؤسستين التعليميتين يتضح لنا اتجاه «حتي» الثقافي، فلو نظرنا الى الجامعة الأمريكية وهدف انشائها داخل الوطن العربي، نرى أن الجامعة الأمريكية في أصلها هي الكلية البروتستانتية السورية التي أسست عام ١٨٦٦م بجهود الدكتور دانيل بليس عضو البعثة التبشيرية الأمريكية في سوريا، الذي جمع الأموال من أمريكا وانجلترا، ثم تحولت في سنة ١٩٢٠م الى الجامعة الأمريكية في بيروت.(٢)

فهي مؤسسة تبشيرية مسيحية أسست بجهد مبشر و بتمويل مسيحي من أجل بث الديانة المسيحية بين أرجاء الوطن الاسلامي، ولتثقيف أبنائه وتشكيلهم حسب رغبات التوجيه التبشيري المسيحي.

ثم جامعة كلومبيا وهي جامعة في نيو يورك، أسست عام ١٤٥٧م، وهي جامعة مسيحية اهتمت بالدراسات الشرقية لبعث المستشرقين ولنشر الديانة المسيحية بين أرجاء الوطن العربي، وسعت جاهدة لذلك، فخصص معهد تابع لها لهذا الغرض هو معهد أمريكا اللاتينية للدراسات الشرقية.(٣)

من هنا كان فيليب حتي هو عصارة أفكار أساتذة مسيحيين همهم بث أفكارهم بين رعايا الوطن العربي بواسطة أبنائه، فاتخذت من (حتي) مطية لبلوغ أهدافها.

و بعد ذلك عين معيدا في جامعة كولومبيا في القسم الشرقي، ثم أستاذاً لتاريخ العرب في الجامعة الأمريكية ببيروت عام ١٩١٩م، وكلف بتدريس تاريخ العرب لأنه في نظرهم يسهل عليه تشويه حقائق هذا التاريخ المجيد، وذلك بما يتصيده من أخبار وموضوعات ملفقة من قبل الزنادقة

(١) العفيفي: المستشرقون ــ جـ٣ ــ ص ١٠١٠ ــ القاهرة ١٩٦٤م.

(٢) الموسوعة العربية الميسرة. ص ٦٠١ .

(٣) الموسوعة العربية الميسرة ــ ص ٦٨٦ .

والتي وجدت في كتب الأدب، للقصة والفكاهة، فيعتمد عليها ليشوه بها حقيقة هذا التاريخ.

ثم عين بعد ذلك أستاذاً مساعدا للآداب السامية في جامعة برنستون عام ١٩٢٦م ثم استاذاً عام ١٩٢٩م واستاذ كرسي، ثم رئيسا لقسم اللغات والآداب الشرقية عام ١٩٤٤م.(٢)

مما تقدم، رأينا كيف كانت الجامعات المسيحية تبذل له العطاء من أجل الاغراء والكسب في جانبها حتى تضمنه في تنفيذ رغباتها و بث سمومها حيث ومتى شاءت.. ومن آثاره على سبيل المثال لا الحصر:

أصول الدولة الاسلامية (١٩١٦) ــ سوريا والسوريين (١٩٢٦)

تاريخ العرب (١٩٢٧) ــ أصول الشعب الدرزي وديانته (١٩٢٩)

تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين (١٩٥١).

ثانيا ــ كارل بروكلمان

مستشرق ألماني ولد في روستوك عام ١٨٦٨م، تلقى اللغات السامية على اعلام المستشرقين ومنهم تيودور فولدكه(٢) ونبغ فيها، وطارت شهرته بصفة خاصة في فقه العربية وقراءاتها قراءة فصيحة وكتابتها كتابة سليمة.. وأيضا في التاريخ الاسلامي وتاريخ الأدب العربي حتى عد اماما من أئمتها، عين أستاذا لهذه الفنون في جامعات برسلاو (١٨٩٣ــ١٩٠٣) وكونسبرج (١٩٠٣ــ١٩٠٩) و (١٩٠٩ــ١٩٢٠) وبرلين (١٩٢٠ــ١٩٢١) وعاد الى برسلاو (١٩٢١ــ١٩٣٧) وعين مديرا فيها (١٩٣٢) ثم انتخب عضوا في مجامع برلين وليبزيج و بودابست و بون ودمشق وجمعيات آسيوية كثيرة.(٣)

مما سبق يتضح لنا مدى تعمق هذا المستشرق في الدراسات الشرقية ومدى اهتمامه بلغاتها حتى تمكن من سبر غور ثقافته وتكونت له الملكة في القدرة على الطعن والتشويه في حقائق الدين والتاريخ الاسلامي.. وله مؤلفات جمة منها العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير و بين كتاب أخبار الرسل والملوك للطبري ــ وهذه هي رسالته التي حصل بها على الدكتوراه من جامعة استراسبورج ١٨٩٠.. تراجم من روى عنهم محمد بن اسحاق.. ثم عرض لتراجم العلماء والأدباء في العصور الاسلامية جمعاء وذيّل كل ترجمة بمصادرها، وله كتاب تاريخ الشعوب الاسلامية وكتاب تاريخ الأدب العربي، كما أن له بحوثاً وتحقيقات كثيرة في التراجم العربية ولقد حقق كتاب (تلقيح مفهوم أهل الاثر لابن الجوزى)، وكتاب (الوفا في فضائل المصطفى لابن الجوزى) وكذلك في اللغات والأدب، فله باع طويل في التأليف والبحث.(٤)

---

(١) المرجع السابق ص١٠١٠

(٢) فولدكه (١٨٣٦ــ١٩٣٠م) مستشرق ألماني تعلم في جامعة جوتنجن عين أستاذا للغات الشرقية في جامعات عدة من جامعات ألمانيا، وله دراسات كثيرة خاصة في تاريخ العرب وثقافاتهم من أشهرها تاريخ القرآن (٣ أجزاء) ودراسات فقهية وأدبية أخرى (العفيفي: نجيب ص٧٣٨).

(٣) العفيفي: المستشرقون ــ ص٧٧٧.

(٤) المرجع السابق ص٧٧٨ ــ ٧٨٣.

« القسم الأول »

بعض آراء فيليب حتّي في التاريخ الإسلامي والرّدّ عليها

الفصل الأول

بعض آراء "حتي" في عصر النبوة والرد عليها

١

يطعن (حتي) في العنصر العربي جملة فيذكر:
«وكان هؤلاء هم أنفسهم الذين في وقت من الأوقات حسبوا أنفسهم مترفين بأكلهم العقارب والخنافس وابن عرس (الجرذان) والذين حسبوا الأرز طعاما مسموما واستخدموا المرقق من الخبز رقاعا للكتابة»*.

إن حتي عند زعمه هذا نراه يعتمد اعتمادا على ما أورده ابن خلدون في مقدمته حين حديثه عن طبيعة أهل الحجاز الاجتماعية(١)، أما نحن فلا نعرف لابن خلدون حجة أو صحيح برهان لما يقول، وانما الذي نعرفه عن عرب الحجاز هو ما نستشفه من آيات القرآن الكريم وصفا لحياتهم، وما بلغوه من القدر الحضاري، والحياة المترفة، وقوة الجدل وشدة البأس، مما يدل على تفوقهم ونضوجهم فكريا في شؤون دنياهم(٢) ومدلول ذلك قوله تعالى: «يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون».(٣)

وغير ذلك ادعاء كاذب، وتهمة باطلة يدحضها واقع العرب الاجتماعي والعلمي، فالعرب في ماضيهم قوم متحضرون لا كما يصفهم (حتي)، بل كانوا على علم بمعظم أنواع الأطعمة و وسائل الترف والنعيم، كما كانوا يتمتعون بأنواع شتى من ضروب المعرفة في كثير من الميادين وذلك بسبب الاختلاط بالأمم الأخرى، عن طريق التجارة والرحلات الشتوية والصيفية، وعرفوا خيرات تلك الأمم ومارسوها قبل أن يأتي (حتي) بهذه الأوصاف المشينة وقبل أن يذكرها ابن خلدون.

ودليل ذلك هو تصوير القرآن الكريم لما تهيم به نفوسهم من حب للترف حيث قال تعالى: «زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب»(٤) و «وهو الذي أنشأ

(*) حتي: فيليب ـ تاريخ العرب المطول ص ٣٣٥ أنظر النسخة العربية المترجمة ص ٤١٢.

(١) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد ـ العبر ديوان المبتدأ والخبر ـ ج ١ ص ١٧٠ بيروت ١٣٩٣هـ.

(٢) د. شعوط: ابراهيم على ـ أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، القاهرة ١٣٩٦هـ.

(٣) سورة الروم آية ٧.

(٤) سورة آل عمران ـ آية ١٤.

جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين». (١)

و يقول المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون: «والعرب هؤلاء قد ظهروا على مسرح التاريخ قبل الرومان بقرون كثيرة وأنشأوا المدن العظيمة، وكانت علاقاتهم بأرقى الشعوب وثيقة».

ثم يعود فيقول: «ولم يكن التاريخ صامتا ازاء ثقافة العرب القديمة صمته ازاء الحضارات الأخرى التي رفع العلم الحديث عنها التراب ولو كان التاريخ صامتا ازاء حضارة العرب لقطعنا ــ مع ذلك ــ بوجودها قبل ظهور محمد بزمن طويل .. و يكفي لتسميتها أن نذكر أنه كان للعرب قبل ظهور محمد آداب ناضجة ولغة راقية، وأنهم كانوا ذوى صلات تجارية بأرقى الأمم في العالم منذ القدم فاستطاعوا في أقل من مائة سنة أن يقيموا حضارة من أندر الحضارات التي عرفها التاريخ». (٢)

فقد كان على (حتي) أن يرجع الى ما ذكره «لوبون» وهو من ملته حتى يعرف العرب على حقيقتهم ولا يقف عند ما ذكره ابن خلدون وهو في هذه الحالة يشارك ابن خلدون في هذه الفرية و يتحمل معه المسؤولية.

وعن الآخرة حدثهم القرآن الكريم عن الجنة وعن الخيرات والنعيم وحدثهم عن أوصاف الجنة وترفها ونفائسها وكؤوسها وحريرها وديباجها ولؤلؤها، وجوهرها، وغير ذلك من مظاهر الترف والنعيم، ولو لم يعرف العربي ذلك لما وصفه له القرآن كما أننا نرى أن القرآن قد بين أنواع الأطعمة في الدنيا، و بين حلالها وحرامها، وذلك دليل على معرفة العربي بشتى أنواع الأطعمة.

و يدلل الدكتور ابراهيم شعوط على ذلك فيقول:

ولعل كثيرا منهم كان يعيش عيشة الترف والنعيم هذه التي كشف القرآن عنها، والا لما تذوقوا للقرآن طعما ولا بهرتهم آياته حتى حنوا رؤوسهم أمام اعجازه. ونحن نعلم أن الترغيب والترهيب لا يؤتى ثماره ولا يحدث أثره الا اذا كان بما هو معروف لدى المخاطبين من وسائل اللذة والألم، التي عاشوها وأصبحت جزءا من حياتهم. (٣)

وعلى كل حال فقد كانت العقلية العربية قبل الاسلام أسمى وأرفع من أن تتدنى الى تلك المراتب التي يصفها (فيليب حتي) فقد كانت العقلية العربية عقلية فذة نادرة قد اختارها الله لأن تكون في قوم يخرج منهم أفضل خلقه وأكرمهم، فالله سبحانه وتعالى قد هيأ العرب لأن يكونوا سادة العالم بعقليتهم و بخلقهم الكريم القويم فيكونوا أمة وسطا بين الناس: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس». (٤)

(١) الأنعام: آية ١٤١

(٢) لوبون: جوستاف ــ حضارة العرب ــ ص٨٨ القاهرة ١٩٦٩م.

(٣) د. شعوط: ــ أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ــ ص٢٥.

(٤) سورة البقرة ــ آية ١٤٣ .

فعرب الحجاز أنفسهم كانوا أهل ثراء وأهل أموال فقد ذكر القرآن الكريم ذلك حيث قال: «تبت يدا أبي لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب(١)» وقال: «ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده(٢)» وقال: «خذ من أموالهم صدقة(٣)».

وهذا عثمان بن عفان وثراؤه المعروف، فهذا دليل على ثراء القوم ومن غير المعقول أن تتكون عندهم هذه الثروة من المال الا بالتجارة أو الصناعة وهما من أهم مميزات ودعائم الحضارة في العالم.

ومن أين أتت لهم هذه الأموال إن لم يكونوا قد مارسوا إحدى هاتين الدعامتين؟

ويقول الدكتور جواد علي (بالنسبة لعرب الحجاز وثرائهم):
«ووجدت قريش نفسها حرة مستقلة وفي وضع يمكنها من استغلال مواهبها في التجارة فقامت بمهمة الوسيط، تنقل تجارة اليمن الى أسواق فلسطين وتنقل تجارة بلاد الشام وحوض البحر المتوسط الى الحجاز ونجد واليمن وبذلك حصلت على أرباح طائلة عظيمة جعلتها من أغنى العرب عند ظهور الاسلام. وصيرت مكة مركزا خطيرا من مراكز الثروة والمال في جزيرة العرب في ذلك الحين». (٤)

ولو لم تكن لديهم أموال كثيرة ومكدسة لما قال تعالى: «خذ من أموالهم صدقة». (٥) وكما قال تعالى: «والذين يكنزون الذهب والفضة»(٦). كل ذلك دليل على ثراء القوم وتحضرهم.

فلو كانت الأمة العربية أمة متأخرة كما يصفها (حتي) وغيره من المغرضين، لما اختارها الله ليكون منها سيد الرسل صلى الله عليه وسلم، وليس من المعقول أنها كانت أمة همجية ثم قفزت تلك القفزة التي وصلت بها الى قمة المجد بمجرد ظهور الاسلام!

فهل يختار الله عز وجل من أمة منحطة متخلفة عقليا واجتماعيا وماديا أشرف الأنبياء؟!

فلو كان عرب الحجاز أمة جاهلة بشؤون دنياهم لما قال الله سبحانه وتعالى «يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون»(٧)

وذكر ذلك لوبون فقال: «فان أمكن ظهور حضارة أمة ولغتها بغتة على مسرح التاريخ لا يكون هذا الا نتيجة نضج بطيء ولا يتم تطور الأشخاص والأمم والنظم والمعتقدات الا بالتدرج».(٨)

---

(١) سورة اللهب — آية ١، ٢.
(٢) سورة الهمزة — آية ١، ٢.
(٣) سورة التوبة — آية ١٠٣.
(٤) د. علي: جواد — المفصل في تاريخ العرب — جـ٧ ص ٢٨٥ بيروت ١٩٦٨م.
(٥) سورة التوبة — آية ١٠٣.
(٦) التوبة — آية ٣٤.
(٧) سورة الروم — آية ٧.
(٨) لوبون: جوستاف — ص ٨٨.

و يقول «سيديو» في هذا الصدد : «ان وجود العرب في مركز تجارة الجنوب والشرق مكنهم من النظر في معارف جميع الأمم المجاورة فاتفقت لهم بذلك ثقافة عقلية لم يظهر مثلها في جبال أورال وجبال التاى». (١)

و يذكر نجيب محمد البهيني : «ان الجماعة البشرية لا يمكن أن تنتقل طفرة من حالة الفوضى وعدم الاستقرار والتفرقة التي ترتبط بشريعة الغاب الى حالة من النظام المثالي الذي لا يكاد يتصل به مثال». (٢)

واذا انتقلنا من أقوال المؤرخين المختلفة التي أعطت للعرب حقهم واتجهنا ببحثنا الى أصالة اللغة التي كان يتحدث بها هؤلاء العرب، فنجد أن اصالة اللغة العربية دليل على متانة الشخصية العربية التي استطاعت أن تسود العالم ما يزيد على ستة قرون، فاللغة العربية هي التي نزل بها القرآن المعجزة.

فاذا كانت لغة أمة ما في أحد عصورها ضعيفة المادة ضيقة المجال، كان ذلك برهانا على ضيق أفق تلك الأمة في تلك الفترة من حياتها، وضعف معارفها وقواها العقلية.

وعلى عكس ذلك اذا كانت غزيرة المادة ودقيقة الأداء تتسع لشتى الأفكار والمعاني غنية في المفردات، مرنة في الاشتقاق والاقتباس، فان ذلك يكون دليلا على نشاط الذهن وسعة الأفق وقوة الأفكار والتجارب والحيوية العقلية. (٣)

و يقول رينان : «ومن أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب فهم سره انتشار اللغة العربية غنية آية في الغنى، كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ ذلك العهد الى يومنا هذا أدنى تعديل مهم فلا يعرف لها طفولة ولا شيخوخة». (٤)

و يقول المستشرق البريطاني (آربرى) : «واللغة العربية عبقرية التركيب صلدة البناء ورقيقة الاحساس في وقت معا».

«وليس من أدب غربي يستطيع بحال أن يعدل العربية في ميادين النحو وعلوم البلاغة وتدوين المعاجم وكل فروع الدراسة اللغوية». (٥)

---

(١) ل. سيديو — تاريخ العرب العام — ص ٣٢ — القاهرة ١٣٨٩.

(٢) مجلة كلية الآداب — المجلد ١٤ جـ١ ص ٩١ — عدد مايو ١٩٥٢ المقال للدكتور نجيب محمد البهيتى. (البيئة التي نشأ فيها الشعر الجاهلي وتياراته الفكرية).

(٣) د. شعوط : ابراهيم — أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ — ص ٣٦.

(٤) مقال (مفاهيم خاطئة عن تاريخ العرب في الجاهلية) للدكتور شعوط : ابراهيمم — مجلة جامعة الملك عبد العزيز — عن المستشرق رينان : ورينان فيلسوف فرنسي (١٨٢٣—١٨٩٢م) دخل المدارس اللاهوتية، تضلع في اللغات الشرقية حتى صار من ثقاتها، أخذ بمذهب حرية الفكر ورحل الى الشرق ونزل لبنان، عنى بالعقائد الاسلامية انتخب عضوا في المجمع اللغوي الفرنسى عام ١٨٧٨م.

(٥) د. آربرى — أ. ج. — المستشرقون البريطانيون — ص ٩.

٢

يذكر فيليب حتي في كتابه «تاريخ العرب» العبارة التالية:
«ولقد تزوج النبي من نحو اثنتي عشرة زوجة بعضهن بدافع الحب»*

فمن تلك التي يعنيها (حتي) بقوله؟

لا شك أن (فيليب حتي) يقصد ما كتبه بعض المؤرخين والمفسرين من أنها هي السيدة زينب بنت جحش، ونحن حينما نرد على فيليب حتي وعلى من نقل عنهم من المؤرخين والمفسرين نحمله تبعة نشر هذه التهمة التي كان يجب أن يحققها بالأسلوب العلمي الحديث، فلا يقع فيما وقع فيه بعض المؤرخين والمفسرين المسلمين، ونرد على هذه الفرية بما يأتي:

إن عرب الجاهلية قد درجوا على تقاليد في مجتمعهم الجاهلي تقوم على ما يأتي:
أولا: ان القرشية لا تتزوج الا قرشياً مهما كان شأن غير القرشي.
ثانيا: ان الابن المتبنى كانت له جميع حقوق الابن من النسب.
ثالثا: اذا حدث وتزوجت قرشية بغير قرشي هانت منزلتها فلا يقربها شريف.

وأراد المولى سبحانه وتعالى من رسوله أن يغير هذه العادات وتلك التقاليد بما يتفق مع مبادىء الاسلام.

فبالنسبة للتفاخر بالأحساب والأنساب فقد ألغاه الاسلام وجعل مكانه التفاضل بالتقوى والأخلاق الفاضلة، فقال تعالى: «ان أكرمكم عند الله أتقاكم»، وقال الرسول: «لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى».. و بالنسبة للابن المتبنى فان الاسلام جعله غريبا عن أبيه بالتبني فقال تعالى: «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله».(١) وقال سبحانه وتعالى أيضا «ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله».(٢)

و بالنسبة للمرأة التي تهون منزلتها اذا تزوجت من غير قرشي فان الاسلام يعيد اليها كرامتها وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم بكل ذلك ليمحو ما كانت عليه الجاهلية و يضع المبادىء الجديدة في الاسلام، فبدأ بخطبة القرشية لغير القرشي، فكانت القرشية هي بنت عمة

(*) حتي: تاريخ العرب المطول ص ١٢٠ ـــ أنظر النسخة العربية المترجمة ص ١٦٦.

(١) سورة الأحزاب ـــ آية ٤٠.

(٢) سورة الأحزاب ـــ آية ٥ .

الرسول ومن القمة في قريش فتكون تحت مولاه ــ ولتكون تحت زيد ابن الرسول بالتبنى ــ فتتحطم الفوارق بالأصل والحسب و يصبح التفاضل بمعايير أخرى جديدة تقوم على المبدأ الالهي الجديد هو: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» فيخطب زينب لزيد، يخطب قرشية من القمة لغير قرشي بل مولى، فتثور الكبرياء في نفس زينب وأخيها فيرغمان بالقرآن وتنقطع المجادلة والممانعة بقوله تعالى: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعصى الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا». (١)

خضعت زينب للأمر الالهي فسلمت لزيد جسدها ولكن قلبها عصاها، وظلت نافرة من قسوة التجربة وغرابة التطبيق، فلا تستطيع أبدا أن تتصور أن هناك كفاءة بينها و بين زيد، وكان زيد يعاني من تلك العوامل النفسية عند زينب أشد ما يعانيه المعذبون في حياتهم الزوجية.

وتعالت زينب بنسبها وأبت كرامة زيد هذا التعالى ليقضى الله أمراً كان مفعولا، فتسرب الفساد الى العشرة بين زينب وزيد، ويحصل الفراق، و يأتي من هنا أمر آخر لا بد من تحقيقه في المجتمع ولكن موعد هذا الأمر لم يكن معروفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وان كان يعلم أن زيدا سيطلق زينب، وانه سيتزوجها بعد زيد(٢) ليقضى على فكرة تحريم زواج الوالد من زوجة ابنه بالتبنى اذا طلقها.

ولكن متى ذلك ؟ هذا الذي لم يعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك كان دائما يقول لزيد حينما يشكو له «أمسك عليك زوجك واتق الله» لأنه خشى مقالة قريش في خروجه عن المألوف فنزل العتاب من الله عز وجل في قوله تعالى: «واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله، وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه». (٣)

وكان الغرض من ذلك ابطال عادتين جاهليتين في وقت واحد:

١ ــ عدم المساواة بين الابن بالتبني والابن بالنسب وكان ذلك تطبيقا عمليا لقوله تعالى: «وما جعل ادعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل». (٤)
«ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» (٥)
وقوله في المحرمات عن النساء «وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم». (٦)

---

(١) سورة الأحزاب ــ آية ٣٦ .
(٢) العامرى: عماد الدين يحيى بن أبي بكر ــ بهجة المحافل جـ١ ص ٢٨٩ بيروت
(٣) سورة الأحزاب ــ آية ٣٧ .
(٤) سورة الأحزاب ــ آية ٤ .
(٥) سورة الأحزاب ــ آية ٤٠ .
(٦) سورة النساء ــ آية ٢٣ .

٢ ــ أن يغير نظرة المجتمع الى المرأة المتزوجة من غير القرشي فأى مثل يقتدى أروع من أن يتزوج الرسول الكريم من امرأة قد تزوجت برجل غير قرشي بل مولى

هذه هي صورة زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش كما يصورها الدكتور ابراهيم شعوط في كتابه.(١)

وهنا أطلق المرجفون لخيالهم العنان واخترعوا قصة مؤداها أن الرسول صلى الله عليه وسلم قام بزيارة (زيد) في بيته بعد زواجه منها فلم يجده، و بينما هو كذلك حرك الهواء ستار البيت فرأى الرسول صلى الله عليه وسلم من زينب ما أعجبه واستقر حبها في قلبه، فانصرف وهو يقول: «سبحان مقلب القلوب» فسمعت زينب تلك التسبيحة ثم أخبرت بها زيدا وعرف الحقيقة.

وكان كلما ذهب الى الرسول يشكوها يقول له عليه الصلاة والسلام: «أمسك عليك زوجك واتق الله». ولم يكتف المرجفون بذلك بل كان لا بد لهم من البحث عن دليل يؤيدون به قصتهم ــ ففسروا قوله تعالى «وتخفى في نفسك ما الله مبديه» بأن الذي أخفاه مقصود به الحب ــ لتتم لهم الحبكة القصصية.

هكذا قالوا، ومن المؤسف أن بعض المفسرين تبعهم، وقلة من المؤرخين ساروا في ركابهم.(٢)

إن ردنا على هذه الفرية من زاو ية العقل والمنطق لا يحتاج الى كبير عناء:

١ ــ أليست زينب بنت جحش ابنة عمة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام؟ وألم يكن يراها قبل زواجها الأول؟ خاصة أن آيات الحجاب لم تكن قد نزلت قبل هذا الزواج فكانت الرؤية مباحة ــ ان صح ادعاؤهم عن هذه الرغبة ــ فلم تأخر في اعلانها؟ ولم أخفى حبه لها؟ ألم يكن زواجه بها حينذاك ممكنا؟

٢ ــ وتفسيرهم الباطل لقوله تعالى: «وتخفى في نفسك ما الله مبديه» يحمل في طياته دليل بطلانه لأن الذي أبداه الله هو الزواج لا الحب.(٣)

ولنا ملاحظة هنا على الطبرى في هذه القصة حين ذكرها في تفسيره ولم يذكر شيئا مما قاله غيره عن الحب من رسول الله صلى الله عليه وسلم لزينب ولكنه حين ذكرها في تاريخه

---

(١) د. شعوط: ــ أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ــ ص ٧٥ ــ ٧٨.

(٢) الزمخشرى: أبو القاسم ــ تفسير الكشاف جـ٢ ــ ص ٢١٣ ــ بيروت دار الفكر أبو السعود: محمد جـ٤ ــ ص ٢١٢ ــ القاهرة دار السعادة/ تاريخ الطبري جـ٢٢ ص ١٣ ــ القاهرة دار المعارف المصرية/ ابن الأثير: علي بن محمد الكامل في التاريخ جـ٢ ــ ص ١٢١ بيروت ١٣٨٦/ لو بون: جوستاف ــ حضارة العرب ــ ص ١١٢/ حسين: طه ــ على هامش السيرة ــ جـ٣ ص ٢٢٧ القاهرة ــ الطبعة الثامنة.

(٣) الطبرى ــ مجمع البيان ــ جـ٢٢ ص ١٤٠ بيروت ١٣٨٠/ قطب: سيد ــ في ظلال القرآن ــ جـ٢٢ ص ٢٧ بيروت ١٣٨٦/ الخازن: علاء الدين علي بن محمد ــ تفسير الخازن ــ جـ٤ ص ٢٦٣ بيروت ــ دار الفكر/ تفسير البغوى: أبو محمد الفرا ــ جـ٤ ص ٢١٦ بيروت دار الفكر/ ابن كثير: أبو الفدا اسماعيل البداية والنهاية جـ٤ ص ١٤٥ ــ بيروت ١٩٧٤م/ العامرى: بهجة المحافل ــ جـ٢ ص ٢٨٩.

(تاريخ الأمم والملوك) خاض مع الخائضين بنقله عن وهب بن منبه فاعتمد عليه فيما خاض فيه، وهذا يدل على أن هذه الرواية وضعها خصوم الاسلام في كتب المسلمين.

٣) يقول ابن الخطيب في هذا الموضوع مؤلف كتاب « حقائق ثابتة في الاسلام »:
« إن يوسف الممتلىء شبابا وفتوة تختلي به امرأة مشبعة الجمال والفتنة وهي في نفس الوقت ملكته وسيدته فيستغيث بربه و يولى هاربا مما عساه أن يوقعه في الاثم، ولم يكن في ذلك الوقت نبيا ولا رسولا.

و يأتي محمد بن عبد الله امام الرسل وسيد الخلق فتفتنه امرأة هي في مرتبة زوج الابن فلا يلجأ الى مولاه ليحفظه، ولا يهرب مما عساه أن يحط من قدره كبشر. فلم يبلغ شأن يوسف عليه السلام؟! (١)

أما التفسير الحقيقي لقوله تعالى « وتخفى في نفسك ما الله مبديه »، أى تخفي في نفسك زواجك منها حيث قال تعالى: « زوجناكها » حسب رواية على بن زين العابدين — وقد أبداه الله له من قبل — فكان عتاب الله لنبيه على قوله لزيد: « أمسك عليك زوجك » وهو يعلم أنها ستكون من أزواجه (صلى الله عليه وسلم) حيث أخبره الله عز وجل بذلك. (٢)

و يقول الشيخ ابراهيم شعوط: (فكيف تؤخذ هذه القصة المأخذ الدنيء وكيف تصور بصور قصص الغرام والوله؟ وكيف يرويها رواة مسلمون في كتب انتشرت في كل أنحاء العالم من غير تدبر فيما تهدف اليه، دون أن يدركوا أنه يكفي لتفنيدها قوله تعالى لرسوله « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ») ؟(٣)

ففي الآية الكريمة ذكر صريح لسبب تزويج زينب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اسقاط حرج المؤمنين من زواج نساء أولادهم بالتبنى بعد أن يكون هؤلاء الأولاد قد قضوا من أزواجهن كل غرض. (٤)

فكان لزاما على (فيليب حتي) أن يقرأ هذه الآيات وأن يتدبر معناها ليفيد منها فكثيرا ما اعترف بالقرآن — كتابا معجزا — (٥) وهذا الاعتراف كان يقتضيه التدبر والامعان.

---

(١) ابن الخطيب: محمد محمد عبد اللطيف — حقائق ثابتة في الاسلام — ص ١٤، ١٥ القاهرة ١٣٩٤هـ

(٢) الطبرى — مجمع البيان — جـ٢٢ ص ١٤٠/ بيروت ١٣٨٠/ قطب: سيد — في ظلال القرآن — جـ٢٢ ص٢٧ — بيروت ١٣٨٦/ تفسير الخازن جـ٤ ص٢٦٣ تفسير البغوى — جـ٤ ص٢١٦/ ابن كثير — البداية والنهاية — جـ٤ ص ١٤٥ العامرى — بهجة المحافل — جـ٢ ص ٢٨٩.

(٣) سورة الأحزاب — آية ٣٧.

(٤) د. شعوط: أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ — ص ٨٢.

(٥) حتي: — تاريخ العرب المطول — انظر النسخة العربية المترجمة جـ١ ص١٧٧.

ومن أجل هذا يحق لنا أن نعتبر كلامه في هذا الموضوع فرية.. يقول الامام الخازن في هذا الصدد: وأصح ما في هذا الباب أن الله عاتبه وقال: (لم قلت امسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك؟) وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء: وهو مطابق للتلاوة لأن الله تعالى أعلم نبيه أن يبدي و يظهر ما أخفاه، ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى: «زوجناكها» فلو كان الذي أضمره الرسول صلى الله عليه وسلم محبتها وارادة تطليقها لكان يظهر ذلك، لأنه لا يجوز أن يخبره أن الله سيظهره ثم يكتمه ولا يظهره. فدل ذلك على أنه انما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجته، وإنما أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيدا: «ان التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي».(١)

٤ــ لو صح ما ادعاه المدعون من حب النبي (صلى الله عليه وسلم) لزينب.. فلم يكن في الامكان بعد ذلك (ومحمد القدوة عند أصحابه والمثل الأعلى لهم) أن يبقى في مكان الصدارة، يحتل أروع ما في قلوبهم، و يبقى صحابته من حوله يلتفون به و يثقون به، ألم يكن منطقيا وقد رأوا منه هذا، أن ينفضوا من حوله؟ أو تقل الثقة به فتتزعزع مكانته؟ ان شيئا من ذلك لم يحدث حتى زيد بن حارثة نفسه ــ وهو أولى الناس بأن يحمل راية الانشقاق ــ بقي على اخلاصه بل اشتد اخلاصه بعد هذا الزواج للنبي صلى الله عليه وسلم.

(وحتي) نفسه يذكر ذلك في كتابه حيث يقول:

«ولم يحدث أن اعتبر شخص واحد عند طائفة من طوائف الجنس البشري المثل الكامل للانسان فقلدت أفعاله بمنتهى الدقة كما حدث لمحمد» (٢).

٥ــ هذا ردنا على ما قيل، ونحن لا نستبعد أن ما نسب الى بعض المؤرخين أو المفسرين قد دس عليهم في كتبهم ــ وهذا أقرب الى المنطق ــ فمن غير المعقول أن يتسرب الشك الى ذهن أحد من أولئك العلماء الأفاضل في شخصية الرسول (كالزمخشري) و يتهمه بهذه التهمة التي يجل عنها مقامه الكريم ومكانته السامية.



---

(١) تفسير الخازن ــ جـ٤ ص ٢١٦ ــ بيروت دار الفكر.

(٢) حتي: ــ تاريخ العرب المطول (أنظر النسخة العربية المترجمة جـ١ ص ١٦٦).

٣

يذكر (فيليب حتي) عن أحوال المسلمين بعد موقعة (أحد) ما يأتي:

«ولكن انتصار المكيين لم يدم فما لبث الاسلام أن استرجع قواه وتحول ـ بعد الهزيمة ـ تدريجيا من دور الدفاع الى دور الهجوم وأصبح انتشاره دائما مؤكدا». *

عبارة (حتي) جاوزها التوفيق في وصف ما أراد، لأنه ـ على ما يبدو ـ يريد أن يقول إن الاسلام بدأ وجوده بالهجوم على كل من خالفه، ولكنه حين أراد التعبير عن ذلك قال: «ما لبث الاسلام أن استرجع قواه» فلم تكن للاسلام قوة فقدها حتى يسترجعها، وانما بدأ الاسلام بالدعوة وعرض الفكرة بالحسنى وظل هكذا طوال ثلاثة عشر عاما في مكة وليس لدى المسلمين قوة حتى يستعملوها وأملى عليهم القرآن الكريم طريقة التفاهم مع قريش بكل أساليب السلم والهدوء والاقناع وتحمل الأذى والصبر والصمود.

وربما كان قصد (حتي) أن الاسلام انتشر بالسيف، وهذه قضية تبناها كثير من خصوم الاسلام.

وللرد على هذه القضية نقول:

إن الدعوة الاسلامية لم تقم على العنف، ولم تعتمد في أسلوبها باديء ذى بدء على السيف، ولكنها اتخذت المنطق سبيلا للاقناع، وكان منهج الرسول المعلم فيها قوله تعالى: «وجادلهم بالتي هي أحسن». (١)

ولو نظرنا الى القرآن الكريم والذي نزل في مكة في فترة بلغت ثلاثة عشر عاما لرأينا أن أوامر الله عز وجل لنبيه لم تكن الا في الاطار اللين لدعم العقيدة ونشر الدعوة.

ولما تم نشر الدعوة بالحجة والمنطق، ازداد الضغط على من أسلم وخاصة المستضعفين منهم أمرهم الرسول بالهجرة الى الحبشة ثم الى المدينة، و بدأ الوضع في التغير لمواجهة تلك الضغوط على الدعوة وأصبح أمل معتنقي الاسلام والعقيدة أن يتمكنوا من الدفاع عنها، ولكن كيف السبيل والأوامر الالهية كلها توصي بأن يكون الدفاع بالتي هي أحسن؟ وظلت الأمور الخاصة بالمسلمين هكذا حتى قوى الاسلام وأعزه الله بالمهاجرين والأنصار، وصارت المدينة دار اسلام ومعقلا يلجأ اليه أحباب الله، وصار عندهم من العدد ما يكفي للذود عن حوزتهم والمدافعة عن أنفسهم.. هنا

(*) حتي: ـ تاريخ العرب المطول ص١١٧ (أنظر النسخة العربية المترجمة جـ١ ص ١٦١).

(١) سورة النحل ـ آية ١٢٥ .

أذن الله لنبيه بالقتال ونزل قوله تعالى: «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير». (١)

نعم، أذن للذين ظلموا بالقتال ولكن لم يترك الأمر فوضى، بل ربط هذا الأمر بقواعد وفصل هذه القواعد تفصيلا واضحا فقال: «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم». (٢)

«وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها وأجعل لنا من لدنك وليا وأجعل لنا من لدنك نصيراً». (٣)

من هذه الآيات يتضح لنا أن الاسلام قد فصل في موضوع القتال، تفصيلات تبين الدوافع والمبررات التي توجب على المسلم القتال، والوقوف في وجه أعداء الاسلام والدفاع عن النفس وعن العقيدة، وعن معتنقي العقيدة، فالقتال الذي أمر به الاسلام كله قتال دفاع، وليس قتال هجوم كما يصفه خصوم الاسلام وما تضمنته عبارة (حتي).

ولم يذكر القرآن الكريم سببا غير هذا يدفع بالمسلمين لخوض المعارك واراقة الدماء، فالمسلمون لم يخرجوا الا لنشر الدعوة والدفاع عنها ومجاهدة من يرفضها أو الموت في سبيلها، وهذا ما أيده (حتي) نفسه ليسجل على نفسه تعصبا مقيتا على الاسلام والدعوة الاسلامية حيث يقول:
«وللجهاد كما لغيره من فرائض الاسلام وعقائده شروط وأحكام، منها أن الجهاد يسبقه أولا دعوة غير المسلمين الى دين الاسلام فان استجابوا فلا جهاد ولا قتال». (٤)

ولم يحثهم للقتال من أجل مغنم بل هو دفاع عن الحق لاظهاره كما أراده الله ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم، يؤيد هذا الواقع التاريخي فيما قبل (أحد) وما بعدها.

ومن المعروف أن آيات الجهاد لم تنزل الا عندما استقر المقام بالمسلمين في المدينة فخيِّل (لحتي) أن المسلمين قد تحولوا من دور الدفاع في مكة الى دور الهجوم في المدينة، وهذه الفكرة خاطئة، فموقف المسلمين كان دائما موقف دفاع وليس موقف هجوم، وكل المعارك التي حدثت بين المسلمين والمشركين من بدر وأحد كانت دفاعاً من المسلمين وهجوماً من المشركين.

---

(١) سورة الحج ــ آية ٣٩ .

(٢) سورة البقرة ــ آية ١٩٠، ١٩١.

(٣) سورة النساء ــ آية ٧٥ .

(٤) حتي: فيليب ــ خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى ــ جـ١ ص ٢٤١ بيروت ١٩٧٥.

وسجلت المعارك للمسلمين وهم في موقف الدفاع النصر ضد هجوم خصومهم سواء كانوا من العرب أو الفرس أو الروم، لأن خطوط الدفاع تنقسم الى قسمين: خط دفاع قريب وهو الالتحام بالعدو في المعركة.وخط دفاع بعيد وهو ضرب من يعين الخصم ويمده بالأسلحة أو بالرجال مهما كانت أرضه بعيدة، فقبل أحد و بعدها كان المسلمون في دور دفاع ولم يكونوا في دور الهجوم مصداقا لقوله تعالى «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم». (١)

و يصدق قول الأستاذ العقاد حين يذكر: «إن أكثر البلاد عددا من المسلمين هي أقل البلاد غزوات اسلامية». (٢)



(١) سورة الأنفال ــ آية ٦٠.

(٢) العقاد ــ عباس محمود ــ ما يقال عن الاسلام ــ ص ١٣٥.

٤

يذكر (فيليب حتي) في كتابه عن المعجزات فيقول:
«وفي علـم الالهـيات القرآني (أي في علوم القرآن) ليس محمد الا بشرا معجزته الوحيدة هي اعجاز القرآن» . *

إن هـذا الـقول يخالف الواقع، فالمعجزات النبوية التي أجراها الله سبحانه وتعالى على يد رسوله ونـبـيـه محـمـد معجزات كثيرة لا حصر لها، ولكن الذي يبدو أن «حتى» فهم رأى الأحناف خطأ حين قـالوا: إنه لم يبق بعد وفاته صلى الله عليه وسلم من معجزاته غير القرآن وهذا لا يعني انكارهم للمعجزات التي جرت على يده في حياته صلى الله عليه وسلم.

فـالمـعـجـزة هـي الأمـر الخـارق لـلـعـادة مـقـرونا بالتحدي سالما عن المعارضة وهي اما حسية أو عقلية. (١)

وهي نوعان: نوع من مثل ما عند البشر، أى من مثل لغتهم العربية لكنهم عند التحدي عجزوا عـنـه، وتعجيز الله لهم عنه دال على صدق نبيه كطلب الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه أن يأتوا بمـثـل آيـات الـقرآن فعجزوا عن أن يأتوا ولو بمثل أقصر سورة رغم أنهم أهل البلاغة والفصاحة، وأن القرآن قد نزل بلغتهم وهذا ما اعترف به (حتي) نفسه في نفس الصفحة.

أما النوع الآخر فهو الخارج عن قدرة البشر عامة، فقد أجرى الله الكثير منه على يد نبينا الكريم كـانـشـقـاق الـقمر الى فلقتين(٢)، وقد ورد ذلك في القرآن نفسه الذي يعترف به (حتي) كمعجزة فـلـتـكن آياته حجة عليه.. قال تعالى: «اقتربت الساعة وانشق القمر»(٣) فانشقاق القمر معجزة حـدثت في عهده صلى الله عليه وسلم وقد أكدها القرآن الكريم والسنة، ففي صحيح البخاري عن ابـن مـسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقتين: فلقة فوق الجبل، وفلقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اشهدوا)، وعن أنس قال: سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر(٤).

ومـن المـعـجـزات التي وردت في القرآن أيضا معجزة الاسراء «سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله».

(*) حتي: ــ تاريخ العرب المطول ص ١٢٩ (انظر النسخة العربية المترجمة جـ١ ص ١٧٧).

(١) السيوطي: جلال الدين ــ الاتقان في علوم القرآن ــ جـ٢ ص ١١٦ دار الفكر بيروت.

(٢) ابن كثير ــ البداية والنهاية ــ جـ٣ ص ١١٨.

(٣) سورة القمر ــ آية ١.

(٤) العامرى ــ بهجة المحافل ــ ص ٢١٣ جـ٢.

ومن المعجزات الخارجة عن قدرة البشر أيضا نبع الماء من بين أصابعه الشريفة فقد ورد في صحيح البخاري عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، أنه قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الوضوء فلم يجده، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في ذلك الاناء فأمر الناس أن يتوضأوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضأوا منه عن آخرهم». (١)

ومن المعجزات ما يعترف بها بعض المستشرقين أيضا منهم «درمنجم» الذي يعترف بمعجزة الغار فيقول: «هذه الأمور الثلاثة هي وحدها المعجزة التي يقص التاريخ الاسلامي نسيج العنكبوت، وهوى حمامة، ونماء شجرة، وهي أعاجيب ثلاث لها كل يوم في أرض الله نظائر». (٢)

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم أخباره بما سيقع في غزوة (مؤتة) حين استعمل صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة، وقال: «ان أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب فان أصيب جعفر فعبد الله ابن رواحة». وقد حدث بالفعل مثلما أخبر، فقد وصل الخبر من السماء في ساعته الى النبي صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر وأمر فنودي: الصلاة جامعة: فاجتمع الناس فقال: «باب خير (ثلاثا) أخبركم عن جيشكم هذا الغازي انهم لقوا العدو فقتل زيد شهيدا فاستغفر له، ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا فاستغفر له، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل شهيدا». (٣)

وقصة سراقة التي تكفي لأن تكون دليلا واضحا على صدق دعوته: ومجمل القصة أن قريشا لما علمت بخروج النبي من مكة جعلت لمن يأتي بالنبي صلى الله عليه وسلم جائزة (مائة ناقة) فتبعهم سراقة بن مالك جعشم المدلجي فلحقهم وهم في أرض صلبة فقال أبو بكر: يا رسول الله أدركنا الطلب فقال: «لا تحزن ان الله معنا» ودعا عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فارتطمت فرسه الى بطنها وثار من تحتها مثل الدخان فقال: ادع لي يا محمد ليخلصني الله ولك على أن أرد عنك الطلب فدعا له فتخلص فعاد يتبعهم فدعا عليه الثانية فساخت قوائم فرسه في أرض أشد من الأولى فقال: يا محمد قد علمت أن هذا دعاءك عليَّ فادع لي ولك عهد الله أن أرد عنك الطلب فدعا له فخلص فلما أراد أن يعدو عنه قال له الرسول: كيف بك يا سراقة اذا سورت بسوارى كسرى؟ قال كسري ابن هرمز وقد تحقق لسراقة هذا الوعد في عهد عمر بن الخطاب. (٤)

---

(١) صحيح البخارى ــ جـ٤ ــ ص٢٣٣ ــ القاهرة ــ دار الشعب.

(٢) هيكل: محمد حسنين ــ حياة محمد ــ ص٢١٢ القاهرة ١٩٦٥م.

(٣) صحيح البخارى جـ٥ ص١٨٢ ــ، تاريخ الطبرى ــ جـ٣ ص٣٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ــ جـ٢ ص٢٣٧ ــ ابن كثير ــ البداية والنهاية جـ٤ ص٢٤١ ابن هشام: أبو محمد عبد الملك ــ السيرة النبوية ــ جـ٢ ص٧ القاهرة ١٩٧٤م.

(٤) صحيح البخارى جـ٥ ص٧٦، الكامل في التاريخ جـ٢ ص١٠٥، ابن الوردى: زين الدين عمر ــ تتمة المختصر في أخبار البشر جـ١ ص١٧٤ بيروت ١٩٧٠م.

الفصل الثاني

بعض آراء «حتي» في عصر الراشدين والرد عليها

١

يقول (فيليب حتي) في حديثه عن خلافة أبي بكر:

«ولعل مبايعة أبي بكر كانت مطابقة لمشروع دبر قبل ذلك بينه و بين عمر بن الخطاب وأبي عبيدة ابن الجراح». *

المبايعة في رأى (حتي) كانت نتيجة اتفاق مسبق ــ ونحن نناقش هذا الرأى فنقول:

أولا: متى كان الاتفاق وأين؟ ــ إن «حتي» لم يقدم دليلا واضحا يدعم به رأيه، ولعل ادعاءه هذا واضح في عبارته فهو لم يجزم ولكنه قال «ولعل» و يبدو أن (حتي) قد اعتمد في رأيه على آراء بعض المستشرقين الذين قالوا بهذا الرأى ــ دون أن يقدموا لنا الدليل أيضا ــ أمثال الأب «هنرى لامنس» من أعداء الاسلام.

إن الدليل الذي نعنيه هو شهادة شاهد أو جمع من الثقات يعتمد رأيهم أو قول مكتوب صحيح الأسانيد، وكل هذا غير موجود فالادعاء اذن باطل، واذا كان تصورا وتقديرا فهو تصور باطل وتقدير غير عادل.

ثانيا: إن واقع العصر يأبى ما ادعاه «حتي» فلم يكن عصر الصحابة رضوان الله عليهم ذلك العصر الذي يدفع أبناءه للتهافت على المناصب أو لاحراز الجاه وانما كان عصر ايمان ومُثل وكان المؤمنون يسعون الى مرضاة الله ــ (وهذا ما أيده (حتي) في نفس الصفحة أثناء حديثه عن طبيعة العصر وعن طريقة حياة الخلفاء ــ لكن المغرضين تصوروه عصر تكالب وتطاحن على المناصب انطلاقا من مفهوم عصرهم الذي يعيشونه.

ثالثا: إن أحد الثلاثة الذين تم الاتفاق بينهم ــ وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ــ قد أذهله موت الرسول صلى الله عليه وسلم، وقالت الشهود: ان عمر حين بلغه خبر الوفاة خرج وقال: «ان رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ــ وانه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران ــ والله ليرجعن رسول الله صلى الله

(*) حتي: تاريخ العرب المطول ص ١٤٠ (انظر النسخة العربية المترجمة جـ١ ص ١٩١).

عليه وسلم فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أنه مات»([1]). هذا هو عمر أحد ثلاثة يزعم المستشرقون أنهم أطراف الاتفاق.

هل يتصور عاقل أن يصدر هذا القول عن عمر؟ ــ الذي قالوا عنه انه قد أبرم عهدا أو ميثاقا مع اثنين آخرين أحدهما هو الخليفة ــ ان وقع وقع الخبر عليه كان كالصاعقة التي أخرجته عن طبيعته، فكيف يتم له ولأمثاله أن يقر اتفاقا على شيء لم يكن يتصوره ولم يخطر بباله؟

رابعا: لو تصورنا جدلا أن أبا بكر كان عليما بهذا الاتفاق المزعوم، هل كان معقولا ــ وهو ينتظر المنصب الجديد ــ وقد علم بمرض الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخرج الى السنح([2]) لو كان يطمع في الخلافة أو كان يحرص عليها لمنعته هذه الرغبة من الخروج، حرصا على تحقيق هدفه خاصة أنه يعلم ما سيكون عليه الأمر من اضطراب يتطلب وجوده ليمسك بزمام الأمور، فخروجه الى (السنح) ينفي شبهة الاتفاق؟

لعلنا حينما نشير بايجاز الى مجمل ما حدث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم يتضح لنا كيف تمت البيعة لابي بكر دون اتفاق مسبق بين أحد.

إن الروايات كلها تجمع على أن أبا بكر وعمر بلغهما أن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لاختيار الخليفة منهم فذهبا الى السقيفة على غير اتفاق([3]) فالتقيا بأبي عبيدة مصادفة في الطريق، وروايات بعض المؤرخين ان عمر لما سمع بخبر السقيفة ذهب الى طلب أبي بكر ولم يكن معه أبو عبيدة أو أنهما ذهبا اليه معا ([4])

وهناك تراجعوا الكلام فقال الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر كلاما كثيرا مصيبا منه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الأئمة من

---

(١) البخارى جـ٤ ص١٩٥، الطبرى جـ٣ ص٢٠٠٠، الكامل جـ٢ ص٢١٩، البداية والنهاية جـ٥ ص٢٤٢، ابن خلدون جـ٣ ص٦٣، ابن هشام جـ٤ ص٢٢٤.

(٢) البخارى جـ٤ ص١٩٣، الطبرى جـ٣ ص٢٠٠٠، الكامل جـ٢ ص٢١٩، البداية والنهاية جـ٥ ص٢٤٢، ابن خلدون. جـ٢ ص٦٣

(٣) الطبرى جـ٣ ص٢٠٥و الكامل جـ٢ ص٢٢٣، البداية والنهاية جـ٥ ص٢٤٦، السيرة لابن هشام جـ٤ ص٢٢٧.

(٤) الكامل جـ٢ ص٢٢٢، السيرة لابن هشام جـ٤ ص٢٢٥.

قريش »(١). وقال: «أوصيكم بالأنصار خيرا: ان تقبلوا من محسنهم وتتجاوزوا عن مسيئهم »(٢) ثم قال: ان الله سمانا الصادقين في قوله: «للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا و ينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون »(٣) وسماكم المفلحين قال تعالى: «والذين تبوَّأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »(٤) وقد أمركم الله أن تكونوا معنا حيثما كنا فقال: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ». (٥) ثم قال: «وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر،أوأبي عبيدة أمين هذه الأمة ». (٦)

فقام عمر وقال: أيكم يطيب نفسا أن يخلف قدمين قدمها النبي صلى الله عليه وسلم(٧) ــ يشير بذلك الى قوله صلى الله عليه وسلم «مروا أبا بكر أن يصلي بالناس »(٨) ــ فتذكر الأنصار و بايعوا أبا بكر.

وفي رواية لابن سعد (ان عمر فاتح أبا عبيدة قبل ذلك فقال له: «ابسط يدك لأ بايعك فأنت أمين هذه الأمة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبوعبيدة: ما رأيت لك فهمه قبلها منذ أسلمت ــ أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين اذ هما في الغار؟). (٩)فاذا صحت هذه الرواية فهي تنفي ما قيل عن تفاهم هؤلاء الرجال الثلاثة على مبايعة أبي بكر وتعاقب الخلافة بعده.

ونقول أيضا: متى كان التفاهم المزعوم؟ أقبل أن يمرض الرسول صلى الله عليه وسلم يعقل عاقل أن يجتمع صفوة أصحابه والمؤمنون برسالته للتآمر على وراثته واغتنام موته؟ ان جاز في عقل عاقل هذا، فمن أدراهم؟ وقد ينزل القرآن برأى يخالف ما اتفقوا عليه كما أنهم لا يدرون أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أوصى في الخلافة بأمر غير الذي اتفقوا عليه. (١٠)

---

(١) البخارى: فضائل الصحابة ــ جـ٤ ص ١٩٤.
(٢) صحيح البخارى ــ مناقب الأنصار ــ جـ٤ ص ٢٢٧.
(٣) سورة الحشر ــ آية ٨.
(٤) سورة الحشر ــ آية ٩.
(٥) سورة التوبة ــ آية ١١٩.
(٦) ابن العربي: أبوبكر ــ العواصم من القواصم ص ١٠ القاهرة ١٣٨٧.
(٧) الطبرى جـ٣ ص ٢٠٢، ابن الأثير ــ جـ٢ ص ٢٢٠، البداية والنهاية لابن كثير جـ٥ ص ٢٤٧.
(٨) البخارى: فضائل الصحابة.
(٩) ابن سعد: محمد بن منيع ــ الطبقات الكبرى جـ٣ ص ١٨١ بيروت ١٣٨٠.
(١٠) المصدر السابق جـ٣ ص ٢٠ ــ ٢١.

٢

يذكر (حتي) في كتابه عن سياسة عمر في ادارة الدولة فيقول:

«وجعل الدستور العسكري الاشتراكي لعمر سموا للعروبة كما ضمن للمؤمن الأعجمي درجة أسمى من غير المؤمن». *

نقول في الرد على ما ذكره (فيليب حتي) في هذه النقطة:

في الواقع ان سياسة عمر كانت سياسة فريدة من نوعها، فقد استعمل عمر في ادارة الدولة الاسلامية من القوانين والنظم ما صار فيما بعد قاعدة للنظم السياسية في ادارة الدولة قرونا من الزمان، فكان عمر رجل دولة بحق، جعل في الدولة من حرية الفرد ما يلائم الدين. ولا يخرج عن اطاره الذي رسمه القرآن والسنة فكانت الحرية تتمثل في كل شيء من سياسة عمر، فالشورى كانت أساس الحكم في سياسته فكان لا يمنعه شيء من أن يستشير الحليم والشديد حتى الأحداث والأعداء جعل منهم منهلا للاستشارة لنظام حكمه.

فأي عسكرية في حكم قوامه الشورى بين الحاكم والمحكوم؟ فلو كان دستور عمر عسكريا لما اعتبر سلطة القضاء أعلى من سلطته وهو الحاكم، حينما رفض العباس أن يعطيه بيته لتوسعة المسجد، وترك العباس يختار القاضي الذي يريد. (١)

ولو كان نظام عمر دستورا عسكريا لما قال لأصحابه: «أني أخاف أن أخطىء فلا يردني أحد منكم تعظيما لي». فيقول حذيفة: «والله لو رأيناك خرجت عن الحق لرددناك اليه». (٢)

ولم يكن الأمر قاصرا على حذيفة الصحابي الجليل بل نراه أيضا يخضع و يعترف بالحق عليه من امرأة تصوبه اذا أخطأ (ركب عمر منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أيها الناس ما اكثاركم في صداق النساء، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصداقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك. فلا أعرفن ما زاد رجل في صداق امرأة على أربعمائة درهم ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم، قال: نعم، فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟ قال: وأى ذلك؟ فقالت:

(*) حتي: تاريخ العرب المطول ص ١٧٢ (أنظر النسخة العربية المترجمة ص ٢٣٠ جـ١).

(١) خالد: محمد خالد ـــ خلفاء الرسول ـــ ص ٢٠٥ ـــ بيروت.

(٢) المصدر السابق ص ١٩٥.

أما سمعت الله يقول: «وآتيتم احداهن قنطارا» ؟(١) فقال: اللهم غفرا، كل الناس أفقه من عمر).(٢)

و يقول أيضا: أحب الناس اليَّ من رفع اليَّ عيوبي.(٣)
و يقول: (أيما عامل لي ظلم أحدا فبلغني مظلمته فلم اغيرها فأنا ظلمته)(٤)

كان عمر يأمر عماله أن يوافوه بالمواسم فاذا اجتمعوا قال: أيها الناس اني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم، انما بعثتهم ليحجزوا بينكم وليقسموا أفياءكم بينكم فمن فعل به غير ذلك فليقم. فما قام أحد الا رجل واحد قام فقال: يا أمير المؤمنين ان عاملك فلانا ضربني مائة سوط، قال عمر لعامله: فيم ضربته؟ ثم قال للشاكي، قم فاقتص منه، فقام عمرو ابن العاص، فقال: يا أمير المؤمنين، انك ان فعلت هذا يكثر عليك و يكون سنة يأخذها من بعدك فقال: كيف لا أقيد وقد رأيت رسول الله يقيد من نفسه، قال: فدعنا فلنرضه، قال: دونكم فارضوه، فافتدى منه بمائتي دينار، كل سوط بدينارين. (٥)

أما كون دستور عمر نظاما اشتراكيا، فالاسلام لم يعرف الاشتراكية التي نسمعها في عصرنا الحاضر والتي يقصدها (حتي) وان الاشتراكية هذه لم تظهر الا في القرن التاسع عشر، وانما الذي عرفه عمر والاسلام انما هو العدالة الاجتماعية والمساواة الحقة في المعاملة بين الناس، لأن الاشتراكية التي يقصدها (حتي) ليس لها مفهوم متفق عليه فهي تفسر في كل مجتمع بتفسير غير الذي يعرفه المجتمع الآخر، أما العدالة الاجتماعية والمساواة الحقة فمفهومها واضح من الكتاب والسنة، اما سار عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده لم يختلف في مفهومها أحد وهذا ما يظهر من وصاياه لقضاته وعماله حيث قال: «اس بين الناس في مجلسك، ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك».(٦)

و يقول لعمرو بن العاص: «يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا» ؟! (٧)

فالعدالة الاجتماعية التي يعرفها عمر هي العدل واحترام الحقوق بين كل الرعايا، أما المساواة في الأرزاق الذي يقال ان الاشتراكية الحديثة تكفل ذلك فهذه لم يعرفها عمر لأن الله سبحانه

---

(١) سورة النساء: آية ٢٠.
(٢) تفسير ابن كثير: أبو الفداء ــ جـ١ ص٤٦٧ ــ دار الفكر ــ بيروت. القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد ــ الجامع لأحكام القرآن ــ جـ٣ ص٩٩ بيروت ١٣٨٧.
(٣) طبقات ابن سعد جـ٣ ص٢٩٣.
(٤) المصدر السابق ص٣٠٥.
(٥) المصدر السابق ص٢٩٣، ٢٩٤.
(٦) العقاد ــ عبقرية عمر ص١٢٠.
(٧) المرجع السابق ص١١٠.

وتعالى قسم الأرزاق بين العباد، وانما كل ما عمله عمر هو أنه حاول أن يرفع من مستوى الفقراء بحثهم على العمل والكسب من أجل حمايتهم وصيانتهم من ذل الفقر، وان كانت الاشتراكية الشيوعية تقرر التفاوت في الدخل إلا أنها لا تسمح بالكسب المتزايد المترتب على كسب الفرد الخاص.

ولو عرف عمر الاشتراكية المزعومة التي يزعمها (حتي) لما ميز بين الناس في العطاء، وفقا لموقفهم السابق من الدعوة الاسلامية، و بلائهم في سبيلها(١) وكل ما فعله عمر هو أنه أخذ من فضول أموال الأغنياء ووزعها في وجوه البر والخير، كما أنه لم يأخذ الا بحذر وعقل، فلم يفقر غنيا ولم يغن فقيرا على حساب افقار غيره وانما أخذ الفضل من الأموال و وزعها بقدر ما يسد رمق الفقراء والمساكين.

أما قول (حتي) أن عمر جعل الدستور العسكري الاشتراكي سموا للعروبة ومعنى ذلك أنه كان يقصد مكافأة العرب، فكان هذا أمرا ضروريا لأنه لم يكن هناك سوى العنصر العربي الذي يتولى فتح البلاد ونشر الدعوة فكان طبيعيا أن تكون القيادة ومصالح الدولة في يد العرب، أما من جهة المعاملة لغير العرب فان نظام القضاء الذي وضعه عمر كان كفيلا بحفظ حقوق العرب وغيرهم على قدم المساواة، فقد كتب الى أبي موسى الأشعرى: انه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائجهم، فاكرم من قبلك من وجوه الناس، و بحسب المسلم الضعيف من العدل، ان ينصف في الحكم وفي القسم.(٢)

وكان عمر رضى الله عنه يطوف في الأسواق، و يقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم مهما اختلفت جنسياتهم.(٣)

ومع أن العنصر العربي هو الذي كان يحمل لواء الدعوة والجهاد في سبيلها فان عمر حينما فتحت مصر أبقى على بعض العمال البيزنطيين في مصر فور الفتح (٤)وذلك لمعرفتهم بشؤون البلاد أكثر من غيرهم من العرب الداخلين على البلاد حديثا.

وان ما كان من اعتماد عمر على العنصر العربي، فليس معناه رفعا لشأنهم على سائر الأجناس وانما لأن غير العرب كانوا أحد رجلين:

١ــ رجل أسلم ولم يرسخ الاسلام في نفسه، فكيف يأمنه على شؤون الأمة و يثق به؟

٢ــ رجل لم يسلم وهو أشد خطرا.

---

(١) طبقات ابن سعد جـ٣ ص٢٩٦، ٢٩٧، الطماوى: سلمان ــ عمر بن الخطاب ص٤٠٨ ــ بيروت ١٩٦٩م.

(٢) تاريخ الطبرى ــ جـ٤ ص٢٠٣.

(٣) تاريخ الطبرى ــ جـ٤ ص٢١٣.

(٤) الغزالي: التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام ــ ص ٥٩ ــ القاهرة ١٩٦٥م.

٣

و يذكر (حتي) عند سرده لأسباب الفتح الاسلامي. فيعزوها الى دوافع اقتصادية فيقول: «لم تكن الحماسة الدينية بل الحاجة الاقتصادية هي التي دفعت بمعاشر البدو، الذين تكونت منهم أكثر جيوش الفتح، الى ما وراء تخوم البادية، الى الأراضي الخصبة في الشمال». *

ونحن نقف مع (حتي) قليلا أمام هذا الخبر لنبين للقارىء الى أى حد كان (حتي) مخطئا وحقودا.

إن (حتي) ينكر الحماسة الدينية في الفتح الاسلامي الأول، لأنه يجهل حقيقة الدافع الديني لدى المسلمين ومدى ايمان هؤلاء الأوائل بوجوب تحمل هذه المسؤولية لأنهم آمنوا بقول ربهم «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين لله»(١) كما آمنوا بقوله تعالى: «وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا»(٢) «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين». (٣)

ومن هنا نجد أن الفاتحين خرجوا لأنهم مكلفون بايصال هذا الدين الى أهل الأرض كافة لأن رسولهم أرسل للناس كافة.

فهم اتباعه والواجب عليهم أن يبدأوا من حيث وقف نبيهم لأنهم مؤمنون بأن تبليغ الرسالة الى الأمم الأخرى مهمة قد نيطت بهم وأمانة قد ألقيت على عاتقهم فهم المكلفون بنشرها ولهذا خرجوا.

فالغاية من الخروج والجهاد هو بث الدعوة ونشر الدين الاسلامي في جميع أنحاء الدنيا لأنه دين الله «ان الدين عند الله الاسلام». وليس البحث عن مواطن الخصب فيما وراء تخوم البادية القفار الى حيث منازل المطر، أو منابت الكلأ كما يزعم (حتي).

ونحن نقول: لو خرج المسلمون بغية الثراء والغنى لاكتفوا بأرض الشام وطاب لهم المقام هناك ولكنهم لم يخرجوا لهذا وهو ما يؤيده المستشرق «موسل» في رده على زميله «كيتاني الايطالي»: «ان الجيوش التي اشتركت في فتح العراق والشام وفلسطين لم تكن حجازية أو نجدية فحسب بل فيها قبائل عراقية وشامية»(٤) وهو يعني بذلك أن الدعوة هي الهدف الأسمى وحدها.

فلو كان الدافع هو الجوع والفقر الذي زعمه (حتي) لما خرج أهل الشام وأهل العراق مع الجيوش الاسلامية! ولما خرج العرب من الشام للقتال ما داموا قد بلغوا أرض الخصب والرخاء!

(*) حتي: تاريخ العرب المطول ص ١٤٤ (أنظر النسخة العربية المترجمة صفحة ١٩٥).

(١) سورة البقرة ــ آية ١٩٣.

(٢) سورة سبأ ــ آية ٢٨.

(٣) سورة الأنبياء ــ آية ١٠٧.

(٤) علي: جواد ــ تاريخ العرب قبل الاسلام ــ جـ١ ص ٢٥٠.

و يستشهد الدكتور عبد المنعم ماجد بمستشرقين آخرين في هذا الصدد فيقول: «فليس لدينا ما يدل على أن حركة الفتح العربي سببها الجفاف أو الجوع». (١)

وقصارى القول ان رسالة الاسلام رسالة عامة لكافة البشر قال تعالى: «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين»(٢) «وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً»(٣).

ورسالة هذا شأنها، لا بد أن يحملها أصحابها الى كافة البلاد وأن يرتفع صوتها في كل مكان وفي كل أرض سواء كانت خصبة أم كانت قفرة.

هذا منطق الدعوة، وهذا سبيل الدعاة.

ومن التجنى على هذه الدعوة السامية أن تتهم بمثل هذا الاتهام، كما أننا نرى أن من واجب المؤرخ الحياد والاستشهاد بآراء المحايدين.

ومن هنا لا نضع في الاعتبار استدلال (حتي) بما جرى بين رستم قائد الفرس و بين المغيرة ابن شعبة مبعوث المسلمين، لأنه ذكر قول رستم فقط: «لقد علمت انه لم يحملكم على ما أنتم فيه الا ضيق المعاش وشدة الجهد ونحن نعطيكم ما تشبعون به ونصرفكم ببعض ما تحبون». ولم يذكر رد المغيرة عليه. وكان الانصاف يقتضيه أن يسجل ما قاله المغيرة وهو: «ان الله بعث الينا نبيه صلى الله عليه وسلم فسعدنا باجابته واتباعه، وأمرنا بجهاد من خالف ديننا «حتى يعطو الجزية عن يد وهم صاغرون». ونحن ندعوك الى عبادة الله وحده، والايمان بنبيه صلى الله عليه وسلم فان فعلت والا فالسيف بيننا و بينكم»(٤). هذا النص الذي أخفاه (حتي) حتى تتوه الحقيقة و يظهرها في مظهر الاستجداء من أجل الحاجة والجوع، ومتناسيا بذلك واجبه كباحث صادق.

هذا هو منطق القوة وقوة الايمان، وقوة العقيدة، وليس منطق الاستجداء أو الطمع.



---

(١) ماجد: عبد المنعم ــ التاريخ السياسي للدولة العربية ــ جـ١ ص١٦٥ القاهرة ١٩٦٥م عن (Arabian, P. 7: Huwyyin. Islamat the Cvassaoods, London. 1923. P. 2, O.L.Lear ys.

ونحن قد ذكرنا رأى د. عبد المنعم ماجد في هذه النقطة رغم أنه أحد المتأثرين بالمستشرقين لأنه قال كلمة الحق في هذا الموضوع.

(٢) الأنبياء آية ١٠٧.

(٣) سبأ آية ٢٨.

(٤) البلاذري : أبو الحسن أحمد بن يحيى ــ فتوح البلدان ــ ص٢٥٧ القاهرة ١٩٥٩م، تاريخ الطبرى ــ جـ٣ ص٤٩٦، تاريخ ابن الأثير ــ الكامل في التاريخ جـ٢ ص٤٦٥.

٤

ثم يعود و يستطرد (حتي):

إن من الدوافع التي دفعت المسلمين الى الفتح هي الجزية فيقول: «فان العرب في حروبهم خارج الجزيرة كانوا يعرضون على أهل الكتاب من يهود ونصارى أمرا ثالثا غير القرآن والسيف، هو أقرب الى مطامع المحاربين وأصلح لهم من كلا الأمرين الأولين ــ الجزية..»(*)

ونحن حين نرد على (فيليب حتي) نقول: إن العرب الفاتحين قد فرضوا الجزية على اليهود والنصارى ولكننا نختلف معه في أن الجزية كانت مطمعا للمحاربين وانما اختارها أهل الكتاب لأنها في نظرهم أيسر من دخولهم في الاسلام أو الدخول في حرب مع المسلمين:

١ــ فلم تكن الجزية مطمعا ماديا للمسلمين فرضوها من تلقاء أنفسهم على أهل الكتاب وانما هي شريعة السماء في قوله تعالى «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون».(١)

و بهذا نزل الكتاب، وما كان لمؤمن أن يخالف ما أمر به الله ومن هنا كان تطبيق الجزية طاعة لأمر الله وتنفيذا لقانون سماوي.

٢ــ ولو كان فرض الجزية مطمعا ماديا لفرضه المسلمون من البداية ولأخذوا من يهود بني قينقاع، و بني النضير، و بني قريظة، لكنهم تركوهم لأن الآية الكريمة لم تكن قد نزلت(٢) وما يقال عن هؤلاء يقال عن أهل خيبر الذين أقرهم الاسلام على فلاحة الأرض وهادنهم هدنة مطلقة.(٣)

٣ــ كما أن الاسلام لم يطلق فرض الجزية في جميع الأحوال وانما خصها بحالات معينة واشترط لفرضها شروطا، فللجزية شروط و واجبات فهي لا تفرض على أهل الكتاب الا برفضهم الدخول في الاسلام فان قبلوا الاسلام فلا جزية ولا قتال، وان رفضوا الدخول في الاسلام فلا اكراه في الدين، وما عليهم الا أن يدفعوا جزية رمزية مقابل عدم اشتراكهم في صف الجندية، وذلك بسبب واضح لعدم اشتراكهم والاعتماد عليهم في الحروب، ولكن يدفعون هذه الضريبة مقابل سلامتهم وعدم اشتراكهم في القتال كما أنها تكون مقابل حفظهم

(*) حتي: تاريخ العرب المطول ص١٤٣ (انظر النسخة العربية المترجمة ص١٩٥).

(١) سورة التوبة ــ آية ٢٩

(٢) آية الجزية لم تنزل الا في السنة التاسعة بعد الهجرة (ابن تيمية ــ الجواب الصحيح ص٦٥).

(٣) ابن تيمية ــ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ ص ٦٥ القاهرة ٧٩هـ.

وأمانهم في داخل الدولة الاسلامية الجديدة، هم وأهليهم وأموالهم. وخير دليل على ذلك ما فعله أبو عبيدة بن الجراح لما علم بأن هرقل قد جهز لمهاجمة المسلمين كتب الى عمال المدن المفتوحة في الشام يأمرهم برد الجزية الى أهلها وكتب للناس يقول: «انما رددنا عليكم أموالكم لأنه بلغنا ما جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم وإنا لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن على شرط ما كتب بيننا ان نصرنا الله عليهم»(١). الجزية ضريبة على رؤوس الأشخاص الذين يستطيعون خوض المعارك ولا يدخلونها لاختلاف دينهم فتؤخذ منهم مقابل أمان المسلمين لهم.(٢)

ولو نظرنا الى الجزية من حيث قيمتها المادية لوجدناها مبلغا رمزيا لا يحمل الطامع (اذا صح هذا التعبير) على التضحية بروحه في سبيل الحصول عليه، فضلا عن سقوطه اذا اعتنق أهل تلك البلاد الاسلام.

و يتضح الأمر أكثر من ذلك وتسقط شبهة الطمع اذا عرفنا على من تجب، فهي تجب على الرجل البالغ الحر العاقل القادر وتسقط عن النسوة والأطفال والعبد المملوك ودون الحلم كما أنها تسقط عن بعض القساوسة.(٣) وهنا نجد من المنصفين المستشرقين مثل د. أ. س. ترتون يذكر في كتابه الذي أسماه (أهل الذمة في الاسلام) (ان المسلمين لم يلزموا أهل الذمة ببيع ماشيتهم لسدها اذا لم يجدوا غيرها).(٤)

ومن هنا نجد أن رحمة الفاتحين بأهل البلاد قد اضعفت حجم الجزية لدرجة أنها أصبحت لا تعتبر شيئا مهما بالقدر الذي تصوره (حتي) الذي يدفع المسلمين الى القتال.

كما أن (حتي) عندما أراد ذكر الآيات التي اعتمد عليها في دعم رأيه هذا نجده ينقلها مبتورة حتى يشوه بها حقيقة الجزية فينقل عنها قوله تعالى: « قاتلوا... من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»(٥) محاولا بذلك اعطاء القارىء

---

(١) جمال: مفتريات على الاسلام ــ ص٦٧ ــ القاهرة ١٣٩٥.

(٢) الماوردي: علي بن محمد بن حبيب ــ الأحكام السلطانية ص١٤٣ القاهرة ١٣٨٦هـ.

(٣) أبو يوسف: يعقوب بن ابراهيم ــ الخراج ــ ص ١٣٢ القاهرة ١٣٩٢هـ.

(٤) د. ترتون. أ. س. ــ أهل الذمة في الاسلام ــ ص ٢٣٠ــ٢٧٢.
ارثر ستانلي ترتون ولد سنة ١٨٨١ تعلم في كلية مانسفيلد والقديسة كاترين واكسفورد وجوتنجن، وعلم في مدرسة الأصدقاء في برمانا بلندن وعين مساعد أستاذ للعربية في جامعة أدنبرة عام ١٩١١، وقد وجه جل اهتمامه للفقه وحاور رهبان الموارنة في قراءة السريانية وترجمتها الى العربية وله عدد ضخم من المؤلفات في مختلف الأحوال الشرقية وعدة بحوث وتحقيقات على بعض المؤلفات الاسلامية ومن أشهر مؤلفاته الخلفاء ورعاياهم من غير المسلمين ــ طبعة اكسفورد ١٩٣٠ وقد نقله الى العربية الأستاذ حسن حبشي ــ القاهرة ١٩٤٩.

(٥) حتي: ــ تاريخ العرب المطول ــ ص ١٩٥.

صورة مشوهة عن حقيقة الفتح الاسلامي وأهدافه ظنا منه أنه يستطيع الطعن في الاسلام حتى يدخل الشك في ذهن القارىء.

وكان من واجب الأمانة العلمية على (حتي) أن يذكر الآية كاملة وهي توضح طبيعة أخذ الجزية ووجوب فرضها وهي في قوله تعالى: «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون». (١)

ومن هنا يتضح أن الجزية ليست هي الهدف الذي وضعه الفاتحون نصب أعينهم انما خرجوا لأنهم يؤمنون بأن الله لو هدى رجلا واحدا لكان خيرا لهم من حمر النعم فهذا هو الأجر والأصلح لهم وليس الجزية التي زعمها (حتي).



(١) سورة التوبة ــ آية ٢٩.

٥

ولا يكتفي بذلك بل يعود و يذكر (حتي) في أثناء حديثه عن أسباب الفتح الاسلامي وانتشاره فيقول:

«وقد اعتنق معظم سكان الشام والجزيرة وفارس العقيدة الجديدة لرغبتهم في الخلاص من الجزية ولمشاركة الطبقة الحاكمة ولاية الأمور» (*) — قضية الموالى —

في هذه النقطة، قد كفانا مؤونة الرد على «فيليب حتى» مستشرق مسيحي، هو السير توماس أرنولد(١) في حديث له عن الدعوة الاسلامية وأسباب انتشارها فيقول: «إن حالة الكنيسة الشرقية التي تدهورت في ذلك الوقت من الناحية الخلقية والروحية لابد أن تكون قد دفعت كثيرين الى أن يلتمسوا جوا روحيا أسلم وأصح في ذلك الدين الاسلامي».(٢)

ثم يستطرد فيقول: «وليس هناك شاهد من الشواهد يدل على أن ارتدادهم عن دينهم القديم ودخولهم في الاسلام على نطاق واسع كان راجعا الى اضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم المسلمين بل لقد تحول كثير من القبط الى الاسلام قبل أن يتم الفتح، وسار كثير من القبط على نهج اخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة».(٣)

ومن هنا يتضح أن السبب الأساسي الذي دفع أهل البلاد من المسيحيين الى الدخول في الاسلام هو حسن معاملة الحكام المسلمين ورحمتهم بأهل البلاد المفتوحة، وقد رأى أهل تلك البلاد أخلاق المسلمين وما هم عليه من نهج كريم ومعاملة حسنة سواء فيما بينهم، أو فيما يتعلق بالآخرين من غير المسلمين، ورأوا فيهم الصدق والأمانة كما رأوا في دينهم البساطة والوضوح الذي لم يعرفوه في مسيحيتهم الغامضة كما يذكر المستشرق الايطالي كيتاني حيث يقول: «إن انتشار الاسلام بين نصارى الكنائس الشرقية انما كان نتيجة شعور بالاستياء من السفسطة* المذهبية».(٤)

و يدلى المستشرق الانجليزي «ريلز» برأي آخر يدحض رأى زميله الأستاذ (حتي) فيقول في

(*) حتي: — تاريخ العرب المطول ص ١٤٥ (أنظر النسخة العربية المترجمة ص ١٩٧).

(١) توماس أرنولد — الدعوة الى الاسلام — ص ٨٩ القاهرة ١٩٧٠م

مستشرق انجليزي (١٨٦٤—١٩٣٠) تعلم في كمبردج، قضى عدة سنوات في الهند أستاذا بها وتقلب في عدة مناصب علمية فيها، هو أول من جلس على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية في لندن (١٩٠٤) وزار مصر عام ١٩٣٠، وكان معجبا بالاسلام ومعجبا من علومه منصفا له في أبحاثه عنه.

(العفيفى: جـ٢ ص ٥٠٤).

(٢) السفسطة: هي الادعاء الباطل الذي يقصد به تمويه الحقائق «وهي كلمة يونانية الأصل»(المنجد ص ٣٣٧).

(٣) أرنولد: — الدعوة الى الاسلام — ص ١٢٤.

(٤) الغزالي: — مع الله — ص ١٦٤، انظر أرنولد: توماس — ص ٨٩.

كتابه (معالم تاريخ الانسانية): «إن انتشار الاسلام كان يشبه ثورات على التقاليد السالفة ونضوجا في الوعي الانساني وتطلعا الى نور جديد». (١)

هذه هي الحقيقة..
اما أن تكون الجزية سببا في دخول الاسلام للأمم المغلوبة فهذا منطق بعيد التصديق.

فهذا هو عمر بن عبد العزيز يكتب الى أحد عماله وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن يقول له: «كتبت تسألني عن أناس من أهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس، وعليهم جزية عظيمة وتستأذنني في أخذ الجزية منهم.. وان الله جل شأنه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم داعيا الى الاسلام ولم يبعثه جابيا». (٢)

كيف يغير المرء عقيدته و يتركها لينجو من دفع مبلغ زهيد (قدره ثمانية وأربعون درهما من الموسر وأربعة وعشرون من المتوسط واثنا عشر من الفقير المعدم) في العام. (٣)

كيف يترك عقيدته ليتخلص من الجزية وهو يعلم أنها كانت تؤخذ منه مقابل الأمان على روحه وأهله وماله وأنه بدخوله الاسلام سيفرض عليه الجهاد و يعرض نفسه للقتل و يرفع عنه ذلك الأمان.

أى الطريقين يكون أسلم.. أمان مقابل مال يسير؟ أم تعرض للقتل حين يخرج للقتال والجهاد مقابل الاعفاء من هذا المبلغ الرمزي؟.. إذاً لم تكن الا العقيدة هي التي دفعته الى الدخول في الاسلام.

على أنه لم يكن هناك الزام لغير القادر (الفقير)(٤)، وكانت ترد الى أصحابها اذا لم يستطع المسلمون تحقيق الأمان لهم، كما فعل أبو عبيدة مع أهل الشام حينما عجز عن صد هرقل. (٥)

كما أنهم لم يكونوا مجهدين في دفعها، انما كانت تؤخذ على الرجل القادر دون النسوة والأطفال أو الرجال المسنين(٦)، أى أنها كانت تؤخذ من الذي يستطيع أن يحمل السلاح فكانت تؤخذ منه بدلا من دخوله أرض المعركة. كما أنه هو ذاته اذا ادعى عدم القدرة على دفعها رفعت عنه. (٧)

---

(١) أرنولد: — الدعوة الى الاسلام — ص ٨٩.

(٢) أبو يوسف: — الخراج — ص ١٤٢.

(٣) الماوردى — الأحكام السلطانية — ص ١٤٤، الفراء: محمد بن الحسين ص ١٥٥.

(٤) الماوردى: الأحكام السلطانية ص ١٤٥، أبو يوسف: الخراج ص ١٣٢ تريتون: د. أ. س. — أهل الذمة في الاسلام — ص ٢٣٠.

(٥) حمال: مفتريات على الاسلام — ص ٢١١.

(٦) الفراء: الأحكام السلطانية ١٥٤، الماوردى: الأحكام السلطانية ص ١٤٤، أبو يوسف: الخراج — ص ١٣٢ د. تريتون — أهل الذمة في الاسلام ص ٢٣٠.

(٧) الفراء: الاحكام السلطانية ١٥٥، الماوردى: الاحكام السلطانية ص ١٤٢، د. تريتون — أهل الذمة في الاسلام ص ٢٣٠.

فالجزية تؤخذ من أهل الذمة كما تؤخذ الزكاة من المسلمين، ولم تكن تمثل مورداً لبيت المال بل كانت تعطى للجند المسلمين وليست على هيئة عطاء بل على هيئة أرزاق لأنها كانت تجبى نظير حماية الجند المسلمين لأهل الذمة.

وقد ذهب عدد من الفقهاء الى أن ما يؤخذ من زكاة المسلمين يزيد على ما يؤخذ من أهل الذمة في حين يحظى الجميع بحماية الدولة الاسلامية ورعايتها على قدم المساواة والعدل والرحمة.(١)

كذلك يجب على المسلم أن يدفع ربع العشر من ماله كله اذا كان نقدا لا من أرباحه وحدها، فلو كان هناك ذمي ومسلم يملك كل واحد منهما مليون درهم، لا تأخذ الدولة من هذا الذمي الا ثمانية وأربعين درهما فحسب ـــ وهو نصاب الغني ـــ بينما تأخذ من المسلم خمسة وعشرين ألف درهم زكاة لماله.

هذه هي حقيقة الجزية التي يزعم أعداء الاسلام أنها كانت مظهر الاستيلاء على أموال غير المسلمين، فقد كانت في الواقع مظهر رحمة وحماية وعفة من أموال غير المسلمين مع تمتعهم بكل ما يتمتع به المسلمون من حماية لأموالهم وممتلكاتهم وأرواحهم وعقائدهم، وتمتع بحق التكافل الاجتماعي عند المرض والشيخوخة والعجز عن العمل.(٢)

و يقول الشيخ الغزالي في هذا الصدد: إن المصريين رغم انهزامهم العسكري أمام الرومان وسقوط واديهم الخصيب في يد الدولة الجشعة، و بقائهم ستة قرون في قبضة حكامهم الغرباء أبوا برغم هذا أن ينهزموا روحيا أمام قوى الفاتحين و بقوا على دين غير دين الرومان ثم على مذهب غير مذهب الرومان.. وتحملوا في ذلك طوفانا من الدم جعلوه بداية لتاريخهم ثم سلسلة من التضحيات العقيمة لم يجد شيء منها في ثني عزائمهم عن العقائد التي ارتضوها، فهل يصح في الأذهان أن قوما يظلون القرون على هذه الصلابة ثم بغتة يبيعون دينهم لأنهم يرفضون البقاء عليه نظير ثمن بخس دراهم معدودة؟(٣)



(١) أنظر د. الريس: محمد ضياء الدين ـــ الخراج في الدولة الاسلامية حتى منتصف القرن الثالث الهجرى ـــ ص ٢٢٤ـــ٢٢٨ القاهرة ١٩٥٧م.

(٢) جمال: أحمد محمد ـــ مفتريات على الاسلام ـــ ص ٢٢٣، ٢٢٤.

(٣) الغزالي: ـــ مع الله ـــ ص ١٦٤ ـــ القاهرة ١٩٥٩.

٦

يذكر (حتي) في معرض حديثه عن خلافة علي بن أبي طالب فيقول:
«وكانت مشكلة علي الأولى هي التخلص من منافسيه في الوظيفة الكبرى (الخلافة) التي تولاها، وهما: طلحة والزبير اللذان كان يمثلان الحزب المكي وانضمت عائشة أم المؤمنين زوج الرسول المفضلة الى صفوف المتمردين ضد علي في البصرة، وكان قد سبق لها أن تسترت عن التمرد ضد عثمان». (*)

ثم يستطرد فيقول:
«وكرهت عائشة عليا كرها شديدا لكرامتها المجروحة للحادثة التي جرت لها يوم أن تخلفت من ركب النبي، وارتاب علي في اخلاصها حتى نزل الوحي ببراءتها». (*)

وكلام فيليب حتي يقتضينا الرد عليه في أربع نقاط هي:
١ــ تخلص علي من منافسيه في الوظيفة الكبرى (الخلافة) التي تولاها وهما: طلحة والزبير.
٢ــ انضمام السيدة عائشة الى صفوف المتمردين ضد علي في البصرة
٣ــ ان السيدة عائشة تغاضت أو تسترت على الثائرين ضد عثمان.
٤ــ ان الذي دفع السيدة عائشة للخروج ضد علي هو حادثة الإفك.

(١) أما الرد على النقطة الأولى فنقول:
إن (حتي) عندما يذكر أن عليا قد اهتم أول شيء بمسألة القضاء على طلحة والزبير لا ندري كيف تجرأ على هذا القول ولا أى المصادر اعتمد عليها؟! فهذا لم نعرف شيئا عنه ولم تذكر كتب التاريخ المعتمدة أن عليا قد جهز جيشا للقضاء على طلحة، والزبير، كما أنهما لم يتركا المدينة الى مكة انكارا على البيعة لعلي أو من أجل تكوين حزب مخالف للخلافة، بل خرجا من أجل أن يبحثا عن حل يقضيان به على الفتنة والغوغاء التي عمت المدينة.

وهذا يتضح من قولهما لعائشة حين سألتهما عن سبب المجيء الى مكة وكان جوابهما أن قالا: «انا تحملنا هروبا من المدينة من غوغاء واعراب وفارقنا قوما حيارى، لا يعرفون حقا ولا ينكرون باطلا ولا يمنعون أنفسهم»(١) ثم خرجا الى البصرة مصطحبين معهما السيدة عائشة رجاء أن يرجع الناس الى أمهم فيرعون حرمة النبى واحتجوا عليها بقوله تعالى (لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس)(٢) وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم في الصلح وأرسل فيه، فرجت المثوبة.(٣) وذلك رغبة منهم في القضاء على الفتنة التي ظهرت في الشام من أجل المطالبة بدم عثمان.

(*) حتي: تاريخ العرب المطول ص ١٧٩ (انظر النسخة العربية المترجمة ج١ ص ٢٣٨).
(١) الطبرى جـ١ ص ٤٥٠، ابن الأثير ــ الكامل في التاريخ جـ٣ ص ٢٠٧ــ٢٠٨
(٢) سورة النساء ــ آية ١١٤
(٣) ابن العربي ــ العواصم من القواصم ــ ص ١٥٢

أما الآراء المختلفة التي يزعمها البعض، وانها كانت هي السبب في الخروج الى البصرة ومنها:

أ ــ أنهما خرجا انكارا لبيعة علي لأنهما بايعا مكرهين.

ب ــ أو لأن أول من بايع هو طلحة و يده مشلولة.

جـ ــ وعلى قول آخر أنهما خرجا مطالبين بدم عثمان.

فهذه الآراء والأقوال أقوال مختلقة لا صحة لها ولا نصيب لها من الواقع بدليل ما يأتي:

١ ــ فأما انهما خرجا انكارا لبيعة علي وأنهما بايعاه مكرهين، فالحقيقة أنهما هما أول من عرض على علي الإمامة، وقالا له: «انا لا نعلم أحدا أحق بها منك ولا أقدم سابقه ولا أقرب قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم». (١)

٢ ــ أما النقطة الثانية فيقول فيها ابن العربي: «وأما قولهم «يد شلاء» لو صح فلا متعلق لهم فيه، فان يدا شلت في وقاية رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم لها كل أمر و يتوقى بها من كل مكروه». (٢)

٣ ــ أما القول بأنهما لم يخرجا الا من أجل الأخذ بثأر عثمان فهذه فرية ملفقة فهما يعرفان حق المعرفة أن المطالب بدم لا يصح أن يحكم على المطلوب منه، وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه الخروج عليه. (٣)

(٢) أما النقطة الثانية وهي القول بانضمام عائشة الى مقاومي علي فهذا قول لا تؤيده المصادر والمراجع التاريخية:

وفي الحقيقة أن السيدة عائشة قد لاقت من محاولات الطعن في شخصيتها والنيل منها الكثير.. وهذه حقيقة لا بد منها لأنها رضى الله عنها قد كانت أحب النساء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد حظيت بالشيء الكثير من الحب والتقدير منه صلى الله عليه وسلم، مما أوغر قلوب الحاسدين عليها فحاولوا أن يسلبوها شيئا من هذا التقدير وأن يضعوها في درجة غير التي وضعها فيها الله ورسوله وهيهات أن يستطيعوا ذلك، والله الذي حفظها من أفك المنافقين قد نجاها وحفظها من افتراءات المؤرخين، وشاء الله العلي القدير أن يحفظ لها بين ثنايا أسطر التاريخ من الأدلة والبراهين ما ينفي عنها كل افتراء وزيف، فقد قال عنها عروة بن الزبير: «لولم يكن لعائشة من الفضائل الا قصة الافك لكفاها ذلك فضلا وعلو مجد فانها نزل فيها من القرآن ما يتلى الى يوم القيامة». (٤)

---

(١) ابن العربي ــ العواصم من القواصم ــ ص ١٤٤، انظر تاريخ الطبري جـ٤ صفحة ٤٢٧ــ٤٢٨.

(٢) ابن العربي ــ العواصم من القواصم ــ ص ١٤٤.

(٣) ابن العربي ــ العواصم من القواصم ــ ص ١٦٤.

(٤) الذهبي: شمس الدين أبو عبدالله ــ طبقات الحفاظ ــ جـ١ ص٢٧ بيروت دار احياء التراث.

فإن الحقيقة التي ينبغي أن تعرف عن خروج السيدة عائشة مع طلحة والزبير فانها تستند الى ما ورد من نصوص في المراجع والمصادر التاريخية التي يمكن الاعتماد عليها والتي لها قيمتها في عرف المؤرخين ونظرهم، وخلاصتها أنها خرجت للصلح بين طائفتين متنازعتين من المسلمين والأدلة على ذلك ما يأتي:

١) يذكر ابن العربي أنهم خرجوا في جمع طوائف المسلمين وضم نشرهم وردهم الى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا وهذا هو الصحيح ولا شيء سواه. (١)

٢) إن الإمام عليا رضى الله عنه لما أرسل القعقاع بن عمرو لهم يسألهم عن سبب شخوصهم الى البصرة، بدأ القعقاع بالسيدة عائشة رضى الله عنها فسلم عليها وقال: أى أمة، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أى بنى اصلاح بين الناس.. فلما سأل القعقاع طلحة والزبير أمتبعان هما أم مخالفان فقالا: متبعان. (٢)

٣) لما خرجت السيدة عائشة مع طلحة والزبير فأتت الحفير فأتاها أهل البصرة وسألوها عن سبب حضورها فقالت: (والله ما مثلي يغطي لبنيه الخبر، ان غوغاء المدينة ونزاع القبائل قد غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدثوا فيه وآووا المحدثين فاستوجبوا لعنة الله ولعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما نالوا من قتل امام المسلمين بلا تره، ولا عذر، فاستحلوا الدم الحرام وسفكوه وانتهبوا المال الحرام وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء وما الناس فيه وراءنا وما ينبغي لهم من اصلاح هذه القصة، وقرأت «لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس»(٣) فهذا شأننا الى معروف نأمركم به ومنكر ننهاكم عنه). (٤)

٤) و يقول ابن العربي: (فخرج طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين ــ رضي الله عنهم ــ رجاء أن يرجع الناس الى أمهم فيرعوا حرمة نبيهم واحتجوا عليها بقوله تعالى «لا خير في كثير من نجواهم». (٥)

٥) و يروى عاصم بن كليب الجرمي عن أبيه فيقول: (.. فقال لنا أصحابنا من أهل البصرة: ما سمعتم اخواننا من أهل الكوفة يريدون و يقولون؟ فقلنا يقولون: خرجنا للصلح وما نريد قتالا). (٦)

---

(١) ابن العربي ص ١٥١.
(٢) تاريخ الطبرى جـ٤ ص ٤٨٨.
(٣) سورة النساء ــ آية ١١٤.
(٤) ابن الأثير جـ٣ ص ٢١١.
(٥) ابن العربي ص ١٥٢.
(٦) تاريخ الطبرى ــ جـ٤ ص ٤٩٢.

٦) يروي الطبري أن أحد أجناد طلحة والزبير وهو أبو الحرباء سأل الزبير بن العوام أن يرسل ألف فارس الى علي فقال الزبير: «يا أبا الجرباء أنا لنعرف أمور الحرب، ولكنهم أهل دعوتنا، وهذا أمر حدث في أشياء لم تكن قبل اليوم وهذا أمر من لم يلق الله عز وجل فيه بعذر انقطع عذره يوم القيامة ومع ذلك انه قد فارقنا وأفدهم على أمر، وأنا أرجو أن يتم لنا الصلح فابشروا واصبروا».(١)

٧) و يذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مختصر سيرة الرسول عن ذلك فيقول: «والتقى الفريقان كل منهم لا يريد الا الاصلاح ولكن في العسكر ناساً من الخوارج فخافوا تمالؤ العسكرين عليهم، فتحيلوا حتى أثاروا الحرب بينهم من غير رأى».(٢)

٨) و يروى صاحب فتح البارى في شرحه لصحيح البخاري و يقول: «ان أحدا لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا عليا في الخلافة، ولا دعوا لأحد منهم ليولوه الخلافة».(٣)

فهذا هدفهم حين الخروج ولم يكن لديهم غيره، وكادوا ينجحون في مهمتهم لولا أن كان في الجيش جماعة من قتلة عثمان فخافوا على أنفسهم الوقيعة وخشوا إن حصل الصلح أن يفتضح أمرهم فتشاوروا في الأمر واتفقوا على أن يفاجئوا كلا الطرفين و يقتلوا منهم فيسيء بعضهم الظن بالآخر فيفسد الصلح و ينجوا هم بأنفسهم.. وهذا ما حفظته لنا كتب التاريخ أيضا..

فيروى الطبري في هذا الصدد عدة أقوال تثبت ذلك:

١ــ فيقول الطبري: إنه بعد أن انتشر خبر الصلح و باتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعاقبة من الذي اشرفوا عليه، و بات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها حتى اجتمعوا على انشاب الحرب في السر.(٤)

٢ــ كما يروى أيضا أن الثوار قالوا بعد علمهم بالصلح: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم ورأي الناس فينا والله واحد وأن يصطلحوا فعلى دمائنا فهلموا، فلنتواثب على علي نلحقه بعثمان فتعود فتنة.(٥)

٣ــ و يروى أيضا عن شريح بن أوفى أن الثوار قالوا: أبرموا أموركم قبل أن تخرجوا.. فانا عند الناس بشر المنازل، فلا أدرى ما الناس صانعون غدا اذا ماهم التقوا.(٦)

---

(١) تاريخ الطبرى ــ جـ٢ ص٤٩٥.

(٢) ابن عبد الوهاب: محمد ــ مختصر السيرة ــ ص٤٩٤ ــ القاهرة ١٣٧٩هـ.

(٣) على شعوط: ــ كتاب أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص١٧٢.

(٤) الطبرى جـ٤ ص٥٠٦.

(٥) الطبرى جـ٤ ص٤٩٣.

(٦) الطبرى جـ٤ ص٤٩٤.

٤ــ كما روى أيضا عن عبد الله بن سناء المعروف بابن السوداء فقال: يا قوم ان عزكم في خلطة الناس صانعوهم واذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر، فاذا من أنتم معه لا يجد بدا من أن يمتنع، و يشغل الله عليا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون فأبصروا الرأى، وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون. (١)

هذا ما كان من شأن طلحة والزبير والسيدة عائشة ــ رضى الله عنهم ــ وموقفهم من علي ابن أبي طالب، لا كما ذكره (فيليب حتي) من غير أن يدرس القضية دراسة علمية دقيقة.

(٣) وأما قول (حتي) ان عائشة قد تسترت أو تواطأت مع الثائرين على عثمان بن عفان، فالحقيقة أن السيدة عائشة لم تكن قد تسترت على الثائرين ضد عثمان كما يزعم (حتي) بل إنها قد أسفت وندمت كل الندم على موت عثمان فهي القائلة: «واغضب لكم من السوط ولا أغضب لعثمان من السيف؟ استعتبتموه حتى اذا تركتموه كالقند المصفى ومصيتموه موص الاناء، وتركتموه كالثوب المنقى من الدنس، ثم قتلتموه» قال مسروق قلت لها: عملك: كتبت الى الناس تأمرينهم بالخروج عليه، قالت عائشة: «والذي آمن به المؤمنون، وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوادا في بياض». قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها (٢) وهذا الأرجح والأصح، فعائشة لم تصل الى هذه المنزلة بأن تكتب وتحرض الناس على الخروج على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم نر هناك سببا يدفع بأم المؤمنين أن تؤلب على أولادها المبشرين بالجنة وهي زوجة المصطفى، فهي القائلة عندما وصلت المربد لغرض الصلح كما تقدم: «وكان الناس يتحدثون على عثمان و يذرون على عماله و يأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم، فننظر في ذلك، فنجده بريئا نقيا تقيا، ونجدهم فجرة غدرة كذبة وهم يحاولون غير ما يظهرون». (٣)

(٤) أما ادعاء (حتي) في أن السبب الأساسي في خروج أم المؤمنين رضى الله عنها الى البصرة هو الحقد الذي تركه ارتياب علي في سلوكها رضي الله عنها (حديث الافك) فهذا ادعاء باطل ومردود، لأن عليا رضى الله عنه لم يبد ارتيابا ولن يكون في سلوك رجل كعلي أن يرتاب في سيدة مثل عائشة.

فموقف علي بالنسبة للسيدة عائشة في حديث الافك كان موقفا صريحا لم يظهر فيه شك أو ارتياب بالنسبة لها، ولم يصدر عنه ما يجعل السيدة عائشة تحقد عليه فعندما سأله الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن رأيه في عائشة أشار عليه بما يطمئن الرسول صلى الله عليه وسلم و يوصله الى

---

(٢) الطبرى جـ٤ ص ٤٩٤.
(٢) ابن العربي ــ العواصم من القواصم ــ ص ١٣٦.
(٣) ابن الأثير ــ جـ٣ ص ٢١٣.

براءة عائشة قبل الوحي حيث قال له: (يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال: أى بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت: له بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمطه، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الدواجن فتأكله).(١)

أى شيء هنا يدعو الى الحقد؟ وهو الذي أشار على الرسول بهذا الرأي الذي كان من نتيجته أنها ذكرت بخير ونفى عنها السوء.

كما أن قلب السيدة عائشة قد كان مليئا بالإيمان وليس به مكان للحقد أو الضغينة على مسلم فضلا عن علي صاحب الرأى والمكانة والسبق في الاسلام.

فلو كان في قلب عائشة مكان للحقد لكان حسان بن ثابت أولى به من علي بن أبي طالب، فيروي أبو الأعلى المودودي في تفسير سورة النور مدى تقدير السيدة عائشة لحسان بن ثابت فيقول: (وكانت عائشة رضى الله عنها دوما تبدى عطفها على حسان بن ثابت ولا تقابلهم الا بالاحسان والتواضع وتلقى له الوسادة عندما يدخل عليها مع أن حسانا من الذين أذاعوا حديث الافك — ولما ذكَّرها بعض الناس مرة بما فعل قالت: «انه كان يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم» وقالت مرة أخرى: «ما سمعت بشعر أحسن من شعر حسان ولا تمثلت به الا رجوت له الجنة»).(٢)

و يعلق الدكتور ابراهيم شعوط على ذلك فيقول: (فاذا كان هذا هو موقفها من حسان، الذي خاض مع الخائضين، وقالت في شأنه انه كان يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفلا يكون تقديرها أكبر لعلي بن أبي طالب، الذي كان يريد تفريج كرب الرسول صلى الله عليه وسلم واخراجه من الهم الذي شغله بقوله: «النساء غيرها كثيرات(٣)» ولم يرد طعنا في عائشة بمقدار ما كان يريد ابعاد الحزن عن الرسول صلى الله عليه وسلم).(٤)

وقد سجلت كتب التاريخ رأي السيدة عائشة في علي بصورة صريحة، فقالت للناس بعد موقعة الجمل(بالنسبة لعلي):«يا بني لا يعتب بعضنا على بعض انه والله ما كان بيني و بين علي في القديم الا ما يكون بين المرأة واحمائها، وانه على معتبتي لمن الاخيار» فقال علي: صدقت و برت وانها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة. (٥)

(١) صحيح البخاري — جـ٦ ص ١٥١.

(٢) المودودي: أبو الاعلاء — تفسير سورة النور ص ١٢٤ — بيروت دار الفكر.

(٣) ابن الأثير جـ٣ ص١٩٧.

(٤) د. شعوط: — أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ — ص ١٧٠.

(٥) ابن الأثير جـ٣ ص٢٥٨.

فـان فـريـة متهافتة مثل هذه الفرية بعد ما عرفنا معاملتها لحسان بن ثابت و بعد ما عرفنا صفح أبيها عن مسطح بن أثاثه أحد أقاربه الذي كان ينفق عليه من ماله وكان من الخائضين في حديث الافك، فحلـف أبـو بكر ألا ينفق عليه من ماله بعد ذلك، ولكن لما نزل قوله تعالى «ولا يأتل أولو الـفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم». (١)

وسـمـعها أبو بكر رضي الله عنه، فقال: «إني لأحب أن يغفر الله لي» وأعطى مسطحا أكثر مما كـان يعطيه.. ولا شك ــ والولد سر أبيه ــ أنها سمعت قوله تعالى: «ألا تحبون أن يغفر الله لكم» وآثرت أن يغفر الله لها بعفوها عن المسيء بدليل عفوها عن حسان. (٢)

كـيـف لا تـصـفح وقلبها كله مفعم بالعلم والايمان؟ كيف لا تصفح عن أبنائها المؤمنين وهي أمـهـم المـقـربـة مـن نـبـيـهـم حيث قال حين سئل: (يا رسول الله، أي الناس أحب اليك.. قال: عائشة.)(٣)

و يـروى هـشـام عـن أبيه قال: ما رأيت أحدا من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال وحـرام ولا بـشـعـر، ولا بـحـديث العرب ولا بالنسب من عائشة(٤) وكانت عائشة من أعلم الناس يسألها أكابر الصحابة(٥) و يروى أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه قال «ما أشكل علينا ــ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ــ حديث قط فسألنا عائشة الا وجدنا عندها منه علما». (٦)

فهل يوجد مكان للحقد في قلب قد ملىء علما وايمانا؟

اذا لم يبق بعد ذلك الا أن نؤمن دائما، بأن السيدة عائشة أم المؤمنين وسيدة نساء العالمين أبعد ما تكون عما نسب اليها في هذه الدعوى بالنسبة لعلي رضي الله عنه. (٧)



---

(١) سورة النور ــ آية ٢٢.

(٢) د. شعوط: ــ أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ــ ص ١٧١.

(٣) ابن ماجة: ابو عبدالله محمد بن يزيد ــ سنن بن ماجة جـ١ ص٣٨ بيروت ١٣٧٢.

(٤) طبقات الحفاظ للذهبي ط ١ ص٢٧.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) د. شعوط: ابراهيم ــ ص ١٧١.

الفصل الثالث

بعض آراء "حتي" في عصر بني أمية وبني العباس والرد عليها

١

لقد أخذ (حتي) على معاوية عدة أمور منها:

أولا: حمله الحسن على التنازل

ثانيا: جعل الخلافة ملكا عضوضا بتولية ابنه يزيد.

(واعتزل في المدينة الى حياة الراحة والمتعة وهي خطوة أغراه بها ضمان معاوية بأن يقدم له هبة وعطاء عظيمين، واشترط الحسن أن يحمل اليه خمسة ملايين درهم من بيت مال الكوفة). (*)

إن «فيليب حتي» حين قرأ ما روته بعض الكتب العربية من اغراء معاوية للحسن بالمال نظير تنازله عن الخلافة ولم يدلل أن هذه الروايات التي وردت في الكتب التي نقل عنها لم تكن على درجة وافية من الحقيقة لوجود روايات أخرى بجانبها تناقضها ولم يكن رواتها ممن يوثق بهم، فكان من واجبه كباحث أن يدرس المراجع الأخرى التي ذكرت ما يخالف ذلك حتى يصل الى حقيقة ثابتة.

ونحن نذكر الروايات التي تجاهلها «حتي» لنبين للقارىء أن ما ذهب اليه (حتي) غير صحيح فنثبت هذه الروايات التي تدل على أن الحسن قد تنازل عن حقه في الخلافة حقنا للدماء لا نظير مبلغ من المال يتقاضاه من معاوية.

ومن هذه الأقوال التي تثبت أن الحسن قد تنازل حقنا للدماء:

١ــ أن الحسن أرسل الى معاوية يبذل له تسليم الأمر اليه على أن تكون له الخلافة بعده وعلى ألا يطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه (دم عثمان). (١)

٢ــ لما رأى الحسن أن الأمر عظيم تراق فيه الدماء ورأى اختلاف أهل العراق سلم الأمر الى معاوية وعاد الى المدينة. (٢)

٣ــ وكان الحسن يقول: «ما أحببت أن ألي أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أن يراق في

(*) حتي: ــ تاريخ العرب المطول ــ ص ١٩٠ ــ (أنظر النسخة العربية المترجمة جـ١ ص ٢٥٢).

(١) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن ــ أسد الغابة ــ جـ٢ ص ١٢ دار الشعب القاهرة.

(٢) أسد الغابة جـ٢ ص ٢١١.

ذلك محجمة دم ». ([1])

٤ــ ان الحسن قال لعبد الله بن جعفر: انى رأيت رأيا أحب أن تتبعني عليه قلت: ما هو؟ قال: رأيت أن أعمد الى المدينة فأنزلها وأخلى الأمر لمعاو ية فقد طالت الفتنة وسفكت الدماء وقطعت السبل فقال عبد الله بن جعفر جزاك الله خيرا. ([2])

٥ــ فلما وافقه أخوه الحسين على التنازل لمعاو ية، بعد معارضة بسيطة، قام الحسن وقال: «يا أيها الناس أني كنت أكره الناس لأ ول هذا الحديث وأنا أصلح آخره لذى حق أديت اليه حقه، أحق به منى أو حق حدث به لصلاح أمة محمد صلى الله عليه وسلم. ([3])

٦ــ و يقول ابن الجوزى: «ثم بايع الناس الحسن بن على رضى الله عنهما، ثم كره سفك الدماء فتخلى عن الأمر لمعاو ية وانخلع و بايعه». ([4])

٧ــ و يعلق المستشرق ولهاوزن على التنازل و يقول: «ولم يكن الحسن يرغب في الحرب وأن من قواته أر بعين ألف رجل يتحمسون للقتال». ([5])

وهنا ظهرت المعجزة النبو ية في قوله صلى الله عليه وسلم: «ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». ([6])

فهذا هو الدافع الذي دفع بالحسن الى التنازل وهو رغبة منه في حقن دماء المسلمين، ولم شعث الأمة وجمع كلمتها وابعادها عن الفرقة التي تمزق أواصرها، وليس العطاء المادي الذي ظنه (حتي) وغيره من المغرضين أو الناقلين، ثم أى شرف أعظم من شرف من سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم «سيدا»؟! فهذا يكفيه فخرا وشرفا من الخلافة.

ولم يكن تنازل الحسن عن الخلافة تخليا عن واجب أو اهمال حق الأمة المحمدية أو تركها لغير كفء فهو بتنازله هذا كان يرى في معاو يةالكفءلهذه المسؤولية الأمين على مصالح الأمةكما كان يرى في ذلك في نفسه.

وهذا ما يظهر من تعليق الحافظ ابن حجر على حديث (ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) فيقول ابن حجر: (تساوى بينهم في الاسلام ــ وقال فئتين ــ ولم يذكر مرجحا لاحداهما اعلاما باستوائهما في أصل الثواب). ([7])

---

(١) أسد الغابة جـ٢ ص ١٤.

(٢) ابن حجر العسقلاني ــ الاصابة ــ جـ١ ص ٣٣١، و يزيد تهذيب التهذيب جزاك الله عن أمة محمد خيرا وأنا معك على هذا الحديث جـ٢ ص ٢٩٩.

(٣) ابن الجوزى: جمال الدين أبو الفرج ــ تلقيح فهوم أهل الأثر ــ ص ٨٢ القاهرة ٧٥م.

(٤) ابن حجر العسقلاني ــ تهذيب التهذيب ــ جـ٢ ص ٣٠٠.

(٥) ولهاوزن: يوليوس ــ الدولة العربية وسقوطها ــ ترجمة يوسف العشى ص ٨٧ دمشق ١٩٥٦م.

(٦) البخارى ــ كتاب «فضائل الصحابة» جـ٤ ص ٢١٦.

(٧) ابن حجر الهيثمى ــ تطهير الجنان ــ ق ١٢.

٢

«ورغم مناقب معاوية الا أنه لم يكن مفضلا عند كثير من المؤرخين الذين وصلت كتبهم الينا فقد اعتبروه أول ملك في الاسلام ... واتهموه بأنه جعل الخلافة ملكا (أي سيادة دنيوية)». (*)

إن (حتي) عندما نقل عن ابن خلدون فانه لم يفهم رأى ابن خلدون في هذا الموضوع أو فهمه ولكنه تجاهل ما قصده ابن خلدون، تاركا واجبه كباحث يجب عليه النقل بأمانة حتى يظهر الحق ويذهب الباطل.

فابن خلدون عندما ذكر هذا نراه يقول بعد ذلك: «فقد رأيت كيف صار الأمر الى الملك وبقيت معاني الخلافة، من تحرى الدين ومذاهبه والجرى على منهاج الحق». (١)

ونراه أيضا في مكان آخر من مقدمته نفسها يعلل قيام معاوية بهذا الأمر فيقول: (إن الذي دعا معاوية لايثار ابنه يزيد بالعهد دون سواه انما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس، واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بني أمية وبنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم، وهم عصبة قريش، وأهل الملة أجمع، وأهل الغلب منهم فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها. وعدل عن الفاضل الى المفضول حرصا على الاتفاق، واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع). (٢)
ولكن (حتي) تجاهل هذا كله واكتفى بهذه الكلمة فقط محاولا الطعن في خليفة مثل معاوية رضى الله عنه، وفي الحقيقة أن البعض الذين حاولوا الطعن في معاوية من هذه الزاوية، قد وصفوه بالخروج عن المألوف فاعتبروا تولية معاوية لابنه يزيد الخلافة خروجا عن سابقيه وانه قد ابتدع بدعة لم يعرفها المسلمون وأنه قد قضى على نظام الخلافة الاسلامي واستعاض عنه بنظام الملك الكسروى وبفعله هذا قد قام بعملين منكرين معا:
الأول: انه عين الخليفة قبل الوفاة.
الثاني: انه لم يختر غير ابنه يزيد مع وجود الصحابة.

وقبل أن نعرف الدوافع التي دفعت بمعاوية لسلوك هذا المسلك نرى أنه من الواجب علينا أن نعرف: من هو معاوية؟؟

إن المنصفين الذين تحدثوا عن معاوية في ضوء العدل والحق يضعونه في المكان اللائق به:
١ــ يقول القاضي ابن العربي: «واما معاوية فعمر ولاه وجمع لها الشامات كلها وأقره عثمان بل انما ولاه أبوبكر الصديق رضى الله عنه لأنه ولى أخاه يزيد واستخلفه يزيد فأقره عمر

(*) حتي: ــ تاريخ العرب المطول ــ ١٩٧ (أنظر النسخة العربية المترجمة ص ٢٦٠).
(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٥.
(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٢١٠.

لتعلقه بولاية ابي بكر لأجل استخلاف واليه له فتعلق عثمان بعمر وآقره فانظروا الى هذه السلسلة.. ما أوثق عراها ولن يؤتى مثلها أبدا بعدها»!(١)

٢ـ و يذكر البلاذري «ان النبي صلى الله عليه وسلم ولى معاو ية شيئا من عمله قبل أن يوليه أبو بكر وعمر».(٢)

٣ـ و يقول عنه ابن عباس رضى الله عنهما: «ما رأيت أحدا أخلق بالملك من معاو ية».(٣)

٤ـ و يروى عنه سعد بن أبي وقاص وهو أحد العشرة: «ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب ــ يعنى معاو ية ــ».(٤)

٥ـ و يروى الامام الترمذي أن عمر بن الخطاب لما عزل عميراً بن سعد الانصاري الأوسى عن حمص وولى معاو ية مكانه قال الناس: عزل عمير وولى معاو ية فقال عمير في خلفه على عمله: لا تذكروا معاو ية الا بخير فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اهد به.(٥) وعمير كان من الزهاد وقد وصفه عمر بن الخطاب بأنه نسيج وحده.(٦)

٦ـ و يقول الامام ابن تيمية عن معاو ية: (كانت سيرة معاو ية مع رعيته من خيار سير الولاة وكانت رعيته يحبونه وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم و يصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم و يبغضونكم وتلعنونهم و يلعنونكم»).(٧)

٧ـ إن معاو ية رضى الله عنه يعد من رواة الحديث وقد روى عنه من الصحابة طائفة وجماعة من التابعين بالحجاز والشام والعراق(٨).. فقد ذكر ابن حزم أنه روى مائة وثلاثة وستين حديثا.(٩)

ونحن عندما نجد أحدا من الصحابة راو ية لحديث رسول الله لا نحتاج لكثير من الجهد في اثبات عدالته و بلوغه صفة الكمال، وانه قد بلغ حدا من الثقة التي لا تقبل شكا ولا يليق معها الجدل في

(١) ابن العربي ــ العواصم من القواصم ــ ص ٨١.
(٢) البلاذري ــ فتوح البلدان ــ ص٤٨.
(٣) الطبرى ــ جـ٥ ص٣٣٧.
(٤) ابن كثير جـ٨ ص١٣٣.
(٥) ابن العربي ص٨٣ الهامش.
(٦) المصدر السابق.
(٧) منهاج السنة جـ٣ ص١٨٩.
(٨) د. شعوط ــ أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ الاسلامي ــ ص٢٣٤.
(٩) مخطوط أسماء الصحابة والرواة و بالكل واحد من العدد ــ بن حزم الظاهرى رقم الايداع ٢٥٤ دار الكتب المصرية ص١٢.

شأن رواة الحديث وخاصة اذا كانوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . (١)

٨ــ و يروى الأوزاعي فيقول عن معاو ية : «ادركت خلافة معاو ية جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينتزعوا يداً من طاعة ولا فارقوا جماعة ، وكان زيد بن ثابت يأخذ العطاء من معاو ية». (٢)

٩ــ و يصفه أبو الدرداء لأهل الشام فيقول : «ما رأيت أحدا أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمامكم هذا ــ يعنى معاو ية ــ»(٣)

١٠ــ و يروى ابن تيمية قال : كنا عند الاعمش فذكروا عمر بن عبد العزيز وعدله فقال الأعمش : فكيف لو أدركتم معاو ية؟ قالوا : في حلمه؟ قال : لا والله في عدله؟. (٤)

١١ــ و يقول ابن حجر الهيثمي عن معاو ية : «فوجبت محبته (معاو ية) لهذه الأمور التي اتصف بها بالاجماع منها شرف الاسلام وشرف الصحبة وشرف النسب وشرف مصاهرته له صلى الله عليه وسلم المستلزمة لمرافقته له صلى الله عليه وسلم ولكنه معه فيها وشرف العلم والحلم والامارة ثم الخلافة بواحدة من هذه تتأكد المحبة لأهلها فكيف اذا اجتمعت؟». (٥)

١٢ــ و يقول ابن حجر أيضا : «وقد شكا أهل الأقطار كثيرا من ولاتهم الى عمر وعثمان فعزلا عنهم من شكوهم وان جلت مراتبهم وأما معاو ية فأقام في امارته على دمشق والشام هذه المدة الطو يلة فلم يشك أحد منه ولا اتهمه أحد بجور ولا مظلمة». (٦)

هذا معاو ية وهذا وضعه بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين معاصريه تقدير وثقة واعجاب فهل يجدر به أن يحيد عن الصواب؟

أما عن اختياره خليفة له قبل وفاته فنقول : إنما الذي فعله من تعيين الخليفة قبل الوفاة انما فعله اقتداء بما فعل أبو بكر من اختيار الخليفة للمسلمين قبل وفاته ، وبما قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين قيل له اعهد بالخلافة فقال : «ان أعهد فقد عهد من هو خير منى وان أترك فقد ترك من هو خير منى» وانما فعل ذلك أبو بكر وعمر لعلمهما انهما مسؤولان أمام الله عن اختيار خليفة المسلمين قبل وفاتهم .

---

(١) د. شعوط ــ ص ٢٣٤.

(٢) ابن عبد البر ــ الاستيعاب جـ٣ ص ١٤٢ القاهرة ــ دار الشعب .

(٣) أحمد بن عبد الحليم ــ منهاج السنة جـ٣ ص ١٨٥ ــ القاهرة ١٣٢١.

(٤) المصدر السابق .

(٥) ابن حجر الهيثمي : تطهير الجنان واللسان عن الخطورة والتفوه بثالب معاو ية بن أبي سفيان ــ مخطوط رقم ٢٥٠ ابداع . مكتبة الجامعة بمكة ق٣ .

(٦) المصدر السابق ق١٢ .

وكذلك فعل معاوية خشية أن تقع الفتنة بعد وفاته في اختيار من يخلفه فيتصدع بنيان الدولة وتتفرق وحدة الأمة كما حدث بعد وفاة عثمان.

إنما الذي فعله من تعيين الخليفة قبل الوفاة انما فعله بقوة ايمانه وصدق سريرته ولقد كان لديه الدافع لذلك وما يجيز له ذلك.. فلو أردنا أن نعرف ما هو الدافع الذي دفع بمعاوية للتعيين قبل وفاته؟ وهل كان له دليل يعتمد عليه لتعيين خليفة للمسلمين قبل وفاته؟ لوجدنا أن الدافع والدليل موجودان، وليس معاوية ذلك الذي يتخلى أو يحيد، فالدافع الذي دفع بمعاوية الى اختيار خليفة وتعيينه في حياته هو قوة ايمان معاوية وحرصه الشديد على هذه الأمة، وانه وجد نفسه مكلفا بها فهو وليها، والأمين على مصالحها، فان كان هذا في حياته فلا بد من أن يسأل عنه حتى بعد وفاته، ولا بد له أن يطمئن على أمنها. وأن يقوم على حفظ مصالحها.

فمعاوية كان يرى ذلك كله من واجبه، فخاف أن يتخلى عن شيء منه وخشي على الأمة أن تقع في فتنة وافتراق كلمة، مثلما حدث بعد عثمان وكان يريد أن يضع حلا لمسألة الخلافة وايجاد سلطة دائمة للاسلام، و بصنيعه هذا أبعد الأمة عن شر الاختلاف.. فهل ينكر عليه ذلك؟ .. إن السابقين لم يضعوا قانونا لانتخاب الخلفاء ولم يرسموا قاعدة ثابتة يلتزم بها المسلمون، فليس في تصرف معاوية خروج على المألوف ولا مجاوزة لقاعدة، لكنه اجتهاد ترسم فيه طريق من سبقوه وذلك ما فعله أبو بكر حين اختار عمر للخلافة من بعده بمحضر من الصحابة فأجازوه ولم ينكروه — وهو دليله في عمله هذا — فهم يعلمون أن طاعة الخليفة واجبة عليهم فيما يراه صالحا لهم فهم راضون بأبي بكر راضون بمن اختاره لهم من بعده وهم أيضا رضوا بمعاوية ووثقوا به، فلا بد أن يثقوا فيما ينظر لهم من مصلحة.

ونعتمد في تأييد وجهة نظرنا هذه على ما أورده ابن خلدون في مقدمته حيث قال: «ولا يتهم الإمام في هذا الأمر إن عهد إلى أبيه أو ابنه، لأنه مأمون على النظر لهم في حياته، فأولى الا يحتمل فيها تبعة بعد مماته».

ثم يقول: وان كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك، وحضور أكابر الصحابة لذلك، وسكوتهم عنه، دليل على انتفاء الريب عنه فليسوا ممن تأخذهم في الحق هوادة وليس معاوية ممن تأخذه العزة في قبول الحق فانهم (كلهم) أجل من ذلك وعد التهم مانعة منه. (١)

---

(١) مقدمة ابن خلدون جـ٢ ص٥٥٣.

ولعل ما حمل معاوية من تولية ابنه يزيد انه لم يقدمه على غيره لمجرد أنه ابنه وان عاطفة الابوة هي التي دفعته الى ذلك، وانما اختاره لما عهد فيه من كفاءة وفضل وعدل، فقد روى عنه أنه قال في احدى خطبه عند بيعة يزيد: «اللهم ان كنت انما عهدت ليزيد لما رأيت من فضله فبلغه ما أملت وأعنه، وان كنت انما حملني على ذلك حب الوالد لولده وانه ليس بأهل فأقبضه قبل أن يبلغ ذلك». (١)

ولماذا لم يختر معاوية الا يزيدا ولم يختر أحدا من الصحابة فنقول: إن هذا لا ينقص صحة بيعة يزيد فقد قال الفقهاء في ذلك وأجازوا بيعة المفضول مع وجود الأفضل. (٢)



(١) العصامي: عبد الملك بن حسن: سمط النجوم العوالي جـ٣ ص ٥٤ المكتبة السلفية ــ القاهرة.

(٢) ابن العربي ص ٢١١.

٣

أما الفرية التي افتراها (حتي) على عبد الملك بن مروان فهي أنه:
«قد ابتنى في بيت المقدس قبة الصخرة وكان غرضه أن يحول اليها أفواج الحجاج من مكة والتي استقر بها منافسه ابن الزبير». (*)

قبل أن أبدأ في الرد على (حتي) رأيت أن أبين من هوعبد الملك بن مروان في أوثق المراجع وعند أعدل الرواة.

١ــ قيل لابن عمر: من نسأل بعدكم؟ قال: ان لمروان ابنا فقيها فسلوه. (١)

٢ــ وقال عنه ابن عمر أيضا: «ولد الناس أبناء وولد مروان أبا». (٢)

٣ــ و يصفه صاحب فوات الوفيات أنه كان عابدا ناسكا. (٣)

٤ــ و يدعوه أهل الأثر أنه من أفقه أهل المدينة فقال أبو الزياد: «فقهاء المدينة أربعة: سعيد ابن المسيب، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن زويب وعبد الملك بن مروان»(٤)

٥ــ وقال جرير بن حازم: سمعت نافعا يقول: «لقد رأيت المدينة وما بها أشد تشميرا ولا أفقه ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك» وقال: «ولا أطول صلاة ولا أطلب للعلم». (٥)

٦ــ و يروى ابن حجر في تهذيب التهذيب أيضاً عن اسماعيل بن خالد قال: «ما جالست أحداً الا وجدت لى الفضل عليه الا عبد الملك فانى ما ذاكرته حديثا الا زادني فيه». (٦)

٧ــ وهذا مالك (٧) رضى الله عنه قد احتج بقضاء عبد الملك بن مروان في موطأه وأبرزه في جملة قواعد الشريعة. (٨)

(*) حتي: تاريخ العرب المطول ــ ٢٢٠ (أنظر النسخة العربية المترجمة ص٢٨٦).
(١) ابن حجر ــ تهذيب التهذيب ــ جـ٦ ص ٤٢٢.
(٢) الكتبي ــ محمد بن شاكر ــ فوات الوفيات جـ٢ ص ٣٢ بيروت ١٩٧٣، ابن كثير جـ٩ ص ٦٢.
(٣) المصدر السابق جـ٢ ص ٣١.
(٤) ابن الأثير جـ٤ ص ٥٢٠، فوات الوفيات جـ٢ ص ٣١.

(٥) ابن الأثير جـ٤ ص ٥٢٠.
(٦) ابن كثير جـ٩ ص ٦٢.
(٧) هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحى الحميرى (٩٣ــ١٧٩هـ) أمام دار الهجرة واليه تنسب المالكية (أنظر الاعلام جـ٦ ص ١٢٨).
(٨) موطأ مالك جـ٢ ص ١١٦، ص ١٤٦ ــ القاهرة ١٣٧٠.

هذا هو عبد الملك كما تراه أوثق المراجع وأعدل الرواة.
ثم بعد ذلك نرد على افتراءات (حتي) ونقول:

إن (حتي) في فريته هذه قد اعتمد على ما انفرد به اليعقوبي[1] من هذه الرواية فلم يذكرها أحد غيره، فلا ينبغي الأخذ بها لما عرف من تشيع هذا الكاتب وما عرف من الخصومة القائمة بين أهل السنة والشيعة.

تلك التهمة التافهة أملاها على اليعقوبى حقده على بنى أمية و بصفة خاصة على عبد الملك لأن اليعقوبى شيعى متطرف يعمل دائما على طمس كل مكرمة لبنى أمية.[2]

وإنما اعتبرنا ما نقله (حتي) في هذه القضية فرية لأنه من مصدر غير موثوق به، وكان جدير به أن يرفضها لمجرد أن ناقلها هو اليعقوبى، ولكن رغبته في تشويه سمعة عبد الملك بن مروان هي التي جعلته يركز على هذه الرواية دون تحقيق.

ومع ذلك فان أحد الذين تأثروا بالمستشرقين في كتبهم ــ وهو الدكتور عبد المنعم ماجد ــ يقول في هذه الرواية: (ونحن لا نستطيع أن نقبل الرواية القائلة أن عبد الملك قصد من بناء مسجد الصخرة جعل الناس تحج اليه، ومنعهم من الحج الى مكة، من أجل ابن الزبير فليس لدينا أى اشارة عن ذلك في سير عبد الملك، ولا سيما أنه كان لبنى أمية أيام ابن الزبير لواء يحجون في ظله). [3]

و يذكر المقدسى أن سبب بناء عبد الملك لمسجد الصخرة هذه ألا يترك المسلمين يبهرون ببناء كنيسة القيامة.[4]

فاتهام (حتي) لعبد الملك بتحويل الحجيج الى بيت المقدس، يؤدي الى تكفير عبد الملك لأنه صرف الناس عن البيت الى مكان آخر كما أراد أن يصنع أبرهة، ومع ذلك لم يذكر أحد من المسلمين أن عبد الملك خرج عن الاسلام واذا كانت قبة الصخرة تحل محل الكعبة فأين الصفا والمروة الذي لا يتم الحج إلا بالسعى بينهما، وأين عرفات الذي قال فيه المصطفى «الحج عرفة».

---

(١) اليعقوبي: أحمد بن اسحاق ــ تاريخ اليعقوبى جـ٢ ص ٢٦١ بيروت ١٣٧٩.
(٢) د. ابراهيم ــ أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ــ ص٣١٣.
(٣) د. ماجد ــ عبد المنعم ــ التاريخ السياسي للدولة العربية ــ جـ٢ ص١٨٩ أنظر طبقات ابن سعد جـ٥ ص١٠٤.
(٤) المقدسى: أبو عبدالله محمد بن أحمد ــ أحسن التقاسيم ــ هامش ص١٦٨ــ١٩٠٦.

٤

ونجد بعد ذلك اتهام (حتي) لعبد الملك وابنيه الوليد وهشام في صفحة ٢٢٧ بتناول الخمر حيث يقول عن عبد الملك:(*)

«أما عبد الملك فيشرب الخمر في الشهر مرة بكثرة يجعله لا يفيق نفسه الا باستخدام المغنيات».

و يقول عن الوليد:

«فكان فيما روى يشرب يوما و يدع يوما».

وعن هشام:

«واعتاد هشام الشرب يوم الجمعة بعد الصلاة».

فواضح أن هذه فرية مردودة عليه لأننا لو نظرنا الى مرجع (حتي) الذي اعتمد عليه لوجدناه أبا الفرج الأصفهاني في كتابه «الأغاني» الذي قال فيه: انه كتاب يتوخى ما فيه رونق يروق الناظر و يلهى السامع، فما دام هذا هو شأن صاحب الأغاني (وفيليب حتي) يعرف هذا الطابع فما كان ينبغي أن يجعلها قضية و يزكيها هو في كتابه لتشيع بين قرء هذا الكتاب سواء باللغة العربية أو الانجليزية، و يكفينا هذا ردا على (حتي) في هذه القضية ومن هنا تنهار كل اتهاماته في موضوع شرب الخمر الذي نحاه على عبد الملك، والوليد، وهشام، لأن المصدر الوحيد الذي اعتمد عليه وهو نفس المصدر الذي يعلم أن صاحبه لا يقصد منه ذكر الحقائق التاريخية، انما يقصد أن يذكر ما فيه من رونق يروق الناظر و يلهى السامع.



(*) حتي ــ ص٢٢٧ (النسخة العربية المترجمة ص٢٩٥).

٥

يذكر (حتي) في معرض حديثه عن الاسطول الاسلامي في عهد معاوية بن أبي سفيان فيقول: «وليس هناك مجال للشك في أن بحارة هذا الاسطول كانوا من الشاميين اليونانيين ــ الأروام ــ الذين مارسوا ركوب البحر. أما أعراب الحجاز دعامة الاسلام، فقد كان لديهم المام بسيط بركوب البحر». (*)

هذه القضية التي ينكر فيها عروبة أهل الشام تقتضينا أن نرد على (حتي) بأن أهل الشام كانوا من الجنس العربي منذ القدم وكانت تقوم في بلاد الشام دولة عربية من قبل الاسلام وهي دولة الغساسنة وهؤلاء كان لهم علم كبير بأمور البحر، وان دخولهم في سلطان الدولة اليونانية أو البيزنطية لا يخرجهم عن جنسيتهم العربية المعروفة، و يكفينا لاثبات عروبة أهل الشام وعلمهم بالبحر، ما ذكره جوستاف لوبون حيث قال: «انه لا أحد ينكر مهارة عرب الشام في تجارة البحر الأبيض». (١)

أما لو كان قصده من ذلك هو تقسيم أهل سوريا وجعلهم أرواما وعربا وخص معرفة أمور البحر بالأروام وأنكرها على العرب السوريين، لكفانا أن نقول إنه لا أحد ينكر مهارة عرب الشام في تجارة البحر الأبيض وانهم قاموا خير قيام بعمل الوسطاء بين تجار الشرق والجنوب و بين تجار أوربا في الشمال، كما أن أهل سوريا بحكم الموقع الجغرافي على البحر المتوسط وامتداد السواحل على هذا البحر بحكم الطبيعة ينشيء عندهم العلم بالبحر وطريقة استغلاله في استخراج ما فيه من ثروات سمكية واستعماله للتجارة والاتصال بالبلاد الواقعة على هذا البحر فهم بحق سادة البحر الأبيض المتوسط. (٢)

أما الفرية الأخرى وهي دعواه بأن أهل الحجاز لم يكن لديهم المام بشؤون البحر و يدعى كما ادعى غيره أنهم لا يعرفون البحر ولا علاقة لهم به، وان سفنهم هي الجمال فقط وان بحارهم هي الرمال.. وقالوا ان الجمل هو سفينة الصحراء، ومن هذه العبارة استنتج المستشرقون منها وفهموا أن العرب لا يعرفون شيئا عن السفن ولا ركوب البحر. والحقيقة أن تشبيه العرب للجمل بالسفينة لا يعني عدم معرفتهم بالبحار بل هو نفسه دليل على المعرفة الحقة لأنهم لو لم يعرفوا قيمة السفينة ما شبهوا الجمل بها فتشبيههم اياه بها دليل على ادراك قيمتها وهو بالتالي دليل على معرفتهم بالبحر وخبرتهم فيه، نضيف الى ذلك الموقع الجغرافي للبلاد الواقعة على البحر وان امتداد ساحل البحر

(*) حتي ــ تاريخ العرب المطول ص ١٩٤ ــ (أنظر النسخة العربية المترجمة ٢٥٦.
(١) لوبون ــ ص ٤٦٥.
(٢) لوبون ص ٥٥٨.

الأحمر من شمال الجزيرة الى جنوبها يزيدهم معرفة بعلم البحار وان العرب في الجزيرة العربية كانوا على علم تام بأمور البحار في سفرياتهم وفي معاشهم ومنافعهم المادية. ونجد في القرآن الكريم آيات لا حصر لها في ذكر البحر وفضل الله على العرب في تسخير البحر لهم ليأكلوا منه لحما طريا و يستخرجوا منه حلية يلبسونها.

كما أن القرآن الكريم الذي أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم يخاطب به العرب الذين يعيشون في الجزيرة العربية قد ذكر البحر ومنافعه وما فيه من خيرات في سوره المكية والمدنية مخاطبا بها المؤمنين و بدهى أن ذكر هذه الآيات التي اشتملت على ذكر البحر تؤكد لنا علم هؤلاء المخاطبين به وانتفاعهم منه.

فاننا نجد القرآن الكريم قد أشار في السور المكية والمدنية على السواء الى معارف العرب عن البحر والسفن. فقال تعالى:
«قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين». (١) (مكية)

«وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون». (٢) (مكية)

«هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين». (٣) (مكية)

«الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار». (٤) (مكية)

«وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون». (٥) (مكية)

«ربكم الذي يزجى لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما». (٦) (مكية)

---

(١) سورة الأنعام ــ آية ٦٣.
(٢) سورة الأنعام ــ آية ٩٧.
(٣) سورة يونس ــ آية ٢٢.
(٤) سورة ابراهيم ــ آية ٣٢.
(٥) سورة النحل ــ آية ١٤.
(٦) سورة الاسراء ــ آية ٦٦.

«وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه، فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا» . (١) (مكية)

«أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله، تعالى الله عما يشركون» . (٢) (مكية)

«ألم تر أن الفلك تجرى في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته» . (٣) (مكية)
«ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام» . (٤) (مكية)

«الله الذي سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» . (٥) (مكية)

«وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه، وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» . (٦) (مكية)

«ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها و بث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخَّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون» . (٧) (مدنية)

«ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجرى في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم» . (٨) (مدنية)

«وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام» . (٩) (مدنية)

فهذه الآيات كلها قد نزلت في أهل الحجاز، وما نزلت فيهم الا لتذكرهم بنعمة الله عز وجل عليهم، ولولا أنهم يعرفون البحر ولهم فيه طول باع ومصالح تعود عليهم بالنفع والخير العميم لما ذكرهم بفضل البحر عليهم، ولكن ما كان ذلك الا لمعرفتهم به ولحاجاتهم الماسة اليه ولا تصالهم

(١) سورة الاسراء ــ آية ٦٧ .
(٢) سورة النمل ــ آية ٦٣ .
(٣) سورة لقمان ــ آية ٣١ .
(٤) سورة الشورى ــ آية ٣٢ .
(٥) سورة الجاثية آية ١٢ .
(٦) سورة فاطر ــ آية ١٢ .
(٧) سورة البقرة ــ آية ١٦٤ .
(٨) سورة الحج ــ آية ٦٥ .
(٩) سورة الرحمن ــ آية ٢٤ .

وكانت مكة ذاتها تسعى للحصول على ضمانات لتأمين تجارتها البحرية مع الدول المجاورة لبلاد العرب(١)، وقد نجحوا في ذلك مع بيزنطة(٢)، وكانت على علاقة تجارية بحرية مع أهل مصر من قبل الاسلام.(٣)

وليست هذه العلاقات البحرية الحجازية قاصرة على أهل الشمال، فقد كانت لمكة وأهلها علاقات بحرية قبل الاسلام مع أهل الحبشة أيضا.

فكانت مكة على اتصال وثيق ببلاد الحبشة و يدل على ذلك وجود طائفة من الصناع تعرف بالأحابيش أو عبدان مكة.(٤)

ولو أن البعض ينكر أن الأحابيش كانوا من أهل الحبشة ، الا أن المستشرق اليسوعي الأب (لامانس) يؤكد أنهم من الأحباش.(٥)

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما رأى الحليس بن علقمة وهو سيد الأحابيش وقد أرسلته قريش للتفاوض مع الرسول يوم الحديبية قال: «إن هذا من قوم يتألهون» ـــ أى يتعبدون ـــ ذكر ذلك الامام الطبرى في هامشه.(٦) وهذا يعني أنه من غير بقية القوم. أى قريش. ولو كان الأحابيش أحباشاً فقد تعربوا وأصبحوا عرباً.

وعن الأحباش عرف أهل الحجار أيضا بعض الأدو ية.(٧)

واننا نلاحظ أن أثر هذه العلاقات الحبشية القرشية قد تجلى في الهجرة الى الحبشة، فالمسلمون عندما اضطهدوا من قبل أهليهم الذين لم يصدقوا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لم يكن منهم الا أن لجأوا الى الحبشة. فلماذا لم يلجأ أولئك العرب الا الى الحبشة؟. ان تصرفهم هذا يعني أنهم ما أقدموا على الهجرة الى الحبشة الا وهم عارفون سبلها والطرق المؤدية اليها، فهم لم يذهبوا الى بلد يجهلونه ولكن لا بد أن تكون لهم به علاقات حسنة يستطيعون بواسطتها أن يهيئوا لأنفسهم جوا هادئا آمنا فيه. كما كانوا يعرفون حالة الأمن فيها وعدالة ملكها ولذلك نصحهم الرسول بقوله:

«لو خرجتم الى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا».(٨)

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المقريزى ـــ الخطط ـــ جـ٢ ص ٢٩.

(٤) عبد العزيز سالم ص ٢٢٣.

(٥) د. العبادى: عبد الحميد ـــ مجلة كلية الآداب عدد مايو ٥٢ مجلد ١ جـ١ ص ٩٥.

(٦) سيرة ابن هشام جـ٣ ص ٢٠٠، تاريخ الطبرى جـ٢ ص ٦٢٨.

(٧) البازرى: أبو الحسن أحمد بن يحيى ـــ أنساب الاشراف جـ١ ص ٥٤٦ القاهرة ٥٩م.

(٨) سيرة ابن هشام جـ١ ص ٢٨٠.

الدائم به بحكم الموقع الجغرافي، واحاطة البحر بالجزيرة العربية من نواحيها الشرقية والجنوبية والغربية.

وهذه الآيات السالفة الذكر هي التي تخص أهل الحجاز فقط، بينما يوجد الكثير الذي فيه لفظ بحر ولكن لم أذكرها لأنها لا تخص أهل الحجاز، ولكن لو لم يكن أهل الحجاز يعرفون البحر لما قص الله عليهم قصص الأقوام الذين لهم علاقة بالبحر.

فمن هذه الآيات الشريفة يتضح لنا مدى علاقة أهل الحجاز ومكة بالبحر وقوة صلاتهم وغزارة معرفتهم به.

و يقول الدكتور «جواد على» في هذا الصدد: ولجزيرة العرب سواحل طويلة تحيط بها من جميع جوانبها الثلاثة.. وقد عرف أهل السواحل البحر وعركوه، وعملوا على استغلال ثرواته قدر طاقاتهم، وتعاملوا مع أهل السفن الذين كانوا يقصدونها من مسافات بعيدة وركب جمع منهم السفن للاتجار مع السواحل المقابلة لهم فباعوا في أسواقها واشتروا.(١)

وفي الواقع أن مكة بالذات كان لها عظيم صلة بأمور البحر و بأهله، فقد كان الحجاز جسرا يربط بلاد الشام وحوض البحر المتوسط باليمن والحبشة والصومال، والسواحل المطلة على المحيط الهندي، وكان لذلك أعظم الأثر في قيام مدن تجارية بالحجاز، تعتبر محطات تجارية واقعة على هذا الطريق البري، وفي قيام موانىء تجارية بالحجاز مثل الشعيبة(*) فقد كان مرفأ أهل مكة.(٢)

كما كان أهل مكة يقومون بدور الخفارة على التجارة البحرية المتجهة الى الشمال(٣)، فكانت لهم علاقة مع أهل الشمال من غير العرب، فقد سعى أهل بيزنطة للاستعانة بالقرشيين كوسطاء للتجارة الهندية.(٤)

---

(١) جواد على ـــ المفصل في تاريخ العرب جـ٧ ص ٢٤٤.

(*) الشعيبة: مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز والشعيبة كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة. وقال ابن السكيت: الشعيبة قرية على شاطىء البحر على طريق اليمن (ياقوت الحموى ـــ معجم البلدان جـ٣ ص ٣٥١ بيروت ١٩٥٧م).

(٢) الازرقى: أبو الوليد محمد بن عبدالله ـــ أخبار مكة جـ١ ص ١. القاهرة ١٣٥٢هـ جواد على ـــ المفصل جـ٧ ص ٢٥٩.

(٣) زيدان: جورجي ـــ العرب قبل الاسلام ص ١٨٠ دار الهلال القاهرة.

(٤) سالم: عبد العزيز ـــ تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٢٢٤ الاسكندرية ١٣٩٣.

ولو لم يكن لأهل الحجاز عزيز صلة بأهل الحبشة، وعظيم قدر عند أهلها من الناحية الاقتصادية لما تجرأ القرشيون على تبليغ التهديدات للنجاشي بتسليمهم اللاجئين (المهاجرين). (١)

فأهل الحجاز كانوا على صلة دائمة بالبحر وأهله، وكانوا أهل بحر وتجار بحر والا لما كانت هذه العلاقات البحرية البيزنطية القرشية، الحبشية القرشية. لو لم يكن لأهل الحجاز كبير المام بأمور البحر لما كان النصر المؤزر في معركة ذات الصواري التي حصلت في عهد عثمان وكان معظم جندها من الصحابة من مهاجرين وأنصار أي من أهل الحجاز.

أما الأقوال التي تذكر أن عرب الحجاز كانوا يخافون البحر معتمدين على تردد عمر بن الخطاب في بادىء الأمر في فتح مصر فليس لها أصل يعتمد عليه، لأن عمر لم يكن يخاف البحر بل كان التردد بسبب رغبته في دعم الجيش الاسلامي في بلاد الشام لمحاربة الروم فخشي عمر أن يوزع قوة المسلمين في جبهتين بعيدتين في وقت واحد. (٢)

أما رواية ابن خلدون التي ذكرها على لسان عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب بوصف البحر فليس لها ما يؤيدها من الواقع، وخاصة و بعدما سردنا من الأدلة من آيات القرآن الكريم وآراء بعض من المؤرخين والجغرافيين، ومما نلاحظه أن عمر بن الخطاب لم يكن بحاجة الى من يعلمه بشؤون البحر وقد كان سفيرا لقريش في الجاهلية يذهب الى الشام واليمن والحبشة مارا بالبحار المختلفة. كما أنه شارك في غزوة تبوك حيث عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سكان خليج العقبة صلحا.

ولو كان عمر يخاف البحر لما طلب من عمرو بن العاص بعد الفتح اعادة فتح القناة القديمة التي كانت تصل القلزم (البحر الأحمر) بالنيل لارسال القمح الى الحجاز(٣)، فعمر هو أول من حمل الطعام في السفن من البحر.

وهنا أيضا يسعفنا «بروكلمان» الذي نرد على افتراءاته بما يؤيد رغبة عمر في فتح مصر وعلمه ببحارها وأنهارها، فقال: «بعث عمر بالزبير، أحد أصحاب رسول الله المقدمين على رأس قوة مؤلفة من خمسة آلاف رجل ابتغاء نجدة عمرو»(٤).



---

(١) سرور: جمال الدين ــ الحياة السياسية في الدولة العربية ــ ص٤٧

(٢) عثمان: حسين ــ البحر الأحمر كطريق تجارى في عهد البيزنطيين والعرب والمماليك ص٦٨ القاهرة ١٣٥٨.

(٣) طبقات ابن سعد جـ٣ ص ٢٨٢.

(٤) بروكلمان ص ١٠٠.

٦

أما عن الدولة (العباسية) فيذكر (حتي) في حديثه عن البرامكة وقصة العباسة أخت الرشيد وزواجها الصورى من جعفر البرمكي، ليحل له النظر إليها وما أسفر عنه الزواج من انجاب طفل دون علم الرشيد ويجعل (حتي) هذه القصة سببا من أسباب النكبة فيقول:

«والسبب الذي يذكره المؤرخون عادة أن الخليفة الرشيد سمح لجعفر، باعتباره نديما له، بأن يتزوج أخته المفضلة العباسة دون معاشرتها، ولكن الرشيد اكتشف بعد ذلك عندما حج أن العباسة قد ولدت سرا من جعفر غلاما وأنها أخفته عند حواضن في مكة». (*)

وللرد على هذه الفرية ـــ ونقول فرية لأنه اشترك مع المفترين في ترويجها دون التحقق في مدى صحتها ـــ نقول:

إن قصة العباسة وزواجها من جعفر قد لاقت رواجا في مجال الأدب الرخيص، وقد جعل كتاب القصة منها أساسا لقصصهم، ومنهلا يستقون منه الخيال لكتابة القصص الغرامية الخرافية التي لا أساس لها من الصحة. لا فرق بين عربي ومستشرق، فنرى جورجي زيدان يكتب بالعربية في كتابه (العباسة) و (لا هارب) بالفرنسية و (فون هامار) بالألمانية. (١)

وفي الواقع أن نكبة البرامكة قد أذهلت الناس خاصة أن الرشيد لم يذكر لها سببا حتى مات ودفن سره معه، فهو القائل: «لو أعلم أن قميصي يعلم ذلك لأحرقته». (٢)

فالسبب الرئيسي لنكبة البرامكة لم يستطع أحد أن يعرف حقيقته الى الوقت الحاضر. وكل ما ذكر من أسباب ليس الا توهمات، وتوقعات، طرأت لدى البعض فأسند تلك الحادثة إلى تلك التوقعات، و يقول د. حسن الباشا في ذلك: «والأسباب المباشرة لهذا التحول وتلك النكبة غير معروفة على وجه التحقيق، كما أن دوافعه الكامنة أو الأسباب غير المباشرة وتفسيراتها ذكرت فيها آراء مختلفة(٣) بل أن معظم الذين ذكروا أن هذه القصة لم يؤكدوا صحتها مثل: الطبرى (فنراه يؤكد الاختلاف في صحتها(٤) و يقول ابن كثير: «ومن العلماء من أنكر ذلك». (٥) وكذلك بعض المؤرخين الذين يعرفون العراق وأخباره لقربهم من عهد الرشيد لا ذكر لها في كتبهم مثل الدينورى. (٦)

(*) حتي: ـــ تاريخ العرب المطول ص٢٩٦ (أنظر النسخة العربية المترجمة ص ٢٢).

(١) عبد الله عنان: محمد ـــ تراجم اسلامية ـــ ص ٢٠ ـــ هامش الكتاب القاهرة ١٣٩٠هـ.

(٢) ابن كثير جـ١٠ ص ١٨٩.

(٣) الباشا: حسن ـــ دراسات في تاريخ الدولة العباسية ص ٣٢ القاهرة ١٩٧٥م.

(٤) الطبرى جـ٨ ص ٢٨٧ ـــ تاريخ الطبرى.

(٥) ابن كثير ـــ البداية والنهاية ـــ جـ١٠ ص ١٨٩.

(٦) الدينورى ـــ الامامة والسياسة ـــ جـ٢ ص ١٩٩ القاهرة ١٣٨٨هـ.

و يقول الجهشياري: «قال عبيد الله بن يحيى بن خاقان: سألت مسروراً الكبير وهو الذي قتل جعفراً بيده بأمر من الرشيد ــ أيام المتوكل وكان قد عمر اليها ومات فيها ــ عن سبب قتل الرشيد لجعفر وايقاعه بالبرامكة فقال: كأنك تريد ما تقول العامة فيما ادعوه من أمر المرأة، فقلت له: ما أردت غيره فقال: لا والله ما لشيء من هذا أصل».(١)

وأبطلها ابن خلدون حيث قال: «انما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال الجباية».(٢)

و يروى الجاحظ «ان مسروراً الخادم قال: «أشهد بالله لكنت من الرشيد وهو متعلق بأستار الكعبة بحيث يمس ثوبي ثوبه، وهو يقول في مناجاته ربه «اللهم اني استخرتك في قتل جعفر ابن يحيى» ثم قتله بعد خمس سنين أو ست».(٣)

وفي العقد الفريد أن الرشيد شك في البرامكة لفرية ما، وكان قتلهم بعد ست سنوات من ذلك اليوم.(٤)

وذكر د. شاكر مصطفى «ان النكبة لم تكن بسبب ثورة عاطفية، ولكن اصرار الرشيد عليها منذ سنة ١٨٧ الى سنة ١٩٣ لا يدع مجالا لمثل هذا الفرض. فهم لم يقتلوا جميعا فلم يقتل جعفر فقط، وقد بقي منهم ومن أنصارهم في السجون بقية حتى موت الرشيد فلو كان الأمر نزوات نفسية لسكنت هذه النزوات في الست السنوات التي تلت النكبة.»(٥)

فلو كان سبب القتل تدنيس شرف وهتك عرض لما انتظر الرشيد هذه الفترة التي تتراوح بين خمس سنوات و بين ست. وكذلك أنكرها المحدثون من المؤرخين مثل محمد عبد الله عنان حيث يرجع النكبة الى استئثار البرامكة بكل سلطان في الدولة ولا نراه يذكر شيئا عن قصة العباسة.(٦)

وإننا نقف مع (فيليب حتي) ومن سار في ركابه فنقول إن هذه التهمة الخاصة بنكبة البرامكة عن طريق زواج العباسة واتصالها بجعفر سرا دون علم الرشيد قد ذكرتها بعض المراجع العربية نقلا عن روايات غير موثوق بها وقد أنكرها بصورة قاطعة عدد كبير من المراجع والمصادر العربية الموثوق بها، فكان لزاما على (حتي) وهو يكتب بطريقته العلمية الحديثة أن يستوعب ما قيل في المراجع العربية حتى يمكن معرفة الحقيقة في هذه القضية.

---

(١) الجهشياري: أبو عبدالله محمد بن عبوس ــ الوزراء والكتاب، القاهرة ١٣٥٧.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٥.

(٣) الجاحظ: أبو عثمان عمر بن بحر ــ التاج في أخلاق الملوك ص ٦٦ القاهرة ١٣١٢.

(٤) ابن عبد ربه: أحمد الأندلسي ــ العقد الفريد ــ جـ٣ ص ١٦٣ ــ بيروت دار الشروق.

(٥) د. مصطفى: شاكر ــ دولة بنى العباس جـ١ ص ٤٦٦.

(٦) محمد عبدالله عنان ــ تراجم اسلامية ص ٢٤.

لكنه اعتمد على روايات لا أصل لها، رغبة منه في التشنيع على المسلمين والاساءة الى الاسلام في شخص خليفة المسلمين هارون الرشيد.

ومن أجل ذلك نحمله مسؤولية نشر هذه الفرية باعتباره يتحمل وزر نشرها دون التحقق من صحتها.

هذا الذي ذكرناه يدحض هذه الفرية من الناحية النقلية. ولو نظرنا الى المسألة من زاوية العقل والمنطق السليم، لرأيناها متنافية مع الواقع، والرشيد الرجل الفاضل الصالح الذي ذكر الرواة صلاحه وقوة ايمانه، وانه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة الى أن مات، و يتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم ويحج عاما، و يغزو عاما. والرشيد الورع المتمسك بدينه والعالم الفقيه ذو الصحبة الفاضلة من أهل العلم، يكفيه ذلك مانعا من أن يقدم على عمل مثل هذا بأن يمنع زوجا شرعيا من أن يتصل بزوجته ويجعله زواجا صوريا، من الناحية الشكلية فقط ليجعل من ذلك وسيلة لجلوس العباسة مع جعفر في مجلسه، وهذا أمر تأباه الشريعة الاسلامية كما تأباه على حالته هذه الغيرة العربية.

وفي مجال التحقيق العلمي قد أبعدها المؤرخون المحدثون و بعض المؤرخين القدامى، فلم يجدوا من الأدلة ما يجعل هذه القصة ذات بال حتى يثبتوها في كتبهم، ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر من القدماء: القلقشندى في كتابه «مآثر الأناقة» وسيد أمير علي في كتابه «مختصر تاريخ العرب»، وأحمد الرفاعى «عصر المأمون»، وجمال الدين سرور «تاريخ الدولة الاسلامية» وأسعد طلس و يوجينا غيانه في كتابها «تاريخ الدولة الاسلامية».

فنكبة البرامكة كانت لأسباب بعيدة كل البعد عن مسألة العباسة.



"القسم الثاني"

بعض آراء "كارل بروكلمان" في التاريخ الإسلامي والرد عليها

الفصل الأول : بعض آراء بروكلمان في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والرد عليها .

الفصل الثاني : بعض آراء بروكلمان في عصر الخلفاء الراشدين والرد عليها .

الفصل الثالث : بعض آراء بروكلمان في عصر بني أمية وبني العباس والرد عليها .

الفصل الأول

بعض آراء (بروكلمان) في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والرد عليها

١

يقول كارل بروكلمان عن الحجر الأسود وهو يتكلم عن الكعبة:
«وفي ركنها (الكعبة) الشرقي الحجر الأسود الذي هو بحق أقدم وثن معبود هناك». (*)

أحب أن أبدأ حديثي هنا بتعريف الوثن: وهو كل قطعة من خشب أو حجر أو فضة ينحت و يعبد من دون الله ولم تكن له صورة. (١)

لعل هذا التصوير للوثن قد يكون هو الدافع لبروكلمان بأن يجعل الحجر الأسود من ضمن الأوثان التي تعبد، وهو قد يعني بذلك أو يحاول أن يثبت وجود العبادة الوثنية في هذه البقعة من الأرض الاسلامية، والمعروف أن الوثنية والاسلام ديانتان أو عبادتان متباعدتان كل البعد عن بعضهما، فالوثنية هي عبادة الأحجار والأصنام المتعددة والاسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له وهذا مالا يخفى على عاقل، فكتب التاريخ مليئة بتلك الحروب التي خاضها المسلمون ضد الوثنيين، فكيف يكون في أرض الاسلام ومنبته وثن أو عبادة وثن؟ ومعلوم أيضا أن الاسلام قد سعى جاهدا في محاربة الوثنية القرشية من بداية الدعوة وحطم أصنام قريش وأزال أوثانها ودنس آلهتها المتعددة، ولو كان الحجر الأسود أحد الأوثان لما أبقى عليه الاسلام.

فالحجر الأسود موجود مع وجود الكعبة ولم يتجه اليه أحد من العرب بالعبادة، ولم يكن يوما من معبودات العرب فهو حجر لم تقدسه العرب، ولهذا لم يعرف ضمن الأصنام ولا الأوثان التي كان العرب يعبدونها، ومن أجل ذلك لم يأمر النبي بتحطيمه كما حطمت الأصنام والأوثان لأنه لم يخطر على بال أحد من العرب أنه يعبد كما تعبد الأصنام والأوثان.

(*) بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية ص ١١ (أنظر النسخة العربية المترجمة ص ٣١).

(١) ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ــ لسان العرب ــ جـ١٢ ص ٣٤٩ بيروت ــ دار صادر.

وكل ما فعله الاسلام هو أنه جعل الحجر في منزلة الكعبة من التقديس، فحيث يعظم البيت يعظم هذا الحجر.

وهو أمر تعبدى ليس للعقل فيه مجال وانما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم فوجب على المسلمين الاقتداء به.

ومن أجل ذلك قال عمر عندما قبله: «والله إني أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك». (١)

فليس كل حجر يوجد في بلاد العرب يعتبر معبودا لهم أو وثنا يعبد، فهناك حجر في منى يرجم في الوقت الذي يقبل فيه هذا الحجر فلو كان الأمر أمر حجر فقط لقدست جميع الحجارة في بلاد العرب.

لكن الذي نهى الله عنه هو ما كان معبودا لهم قبل الاسلام.

قال تعالى «فاجتنبوا الرجس من الأوثان». (٢) «يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون». (٣)

و يذكر ابن الأثير أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما طاف بالكعبة يوم الفتح، وكان عليها ثلا ثمائة وستون صنما، وكان بيده قضيب فكان يكسر به الأصنام وهو يقرأ «وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا» وأمر فأخذت وكسرت. (٤)

فلو كان الحجر الأسود منها لكسر معها، كما أن العبادة والدعاء والطلب كانت لله، ولم يحدث أن المسلمين قد طلبوا ودعوا الحجر الأسود في يوم من الأيام لقضاء حاجة من حوائجهم، بل لا يدعون ولا يلجأون الا الى الله عز وجل.

ولعلنا نقبل من (بروكلمان) عذره اذا اعترف بعجزه عن ادراك الحكمة الالهية لوجود الحجر الأسود، وتقبيله، لأن عمر بن الخطاب على علو مكانته وغزارة علمه وعمق تفكيره عجز عن ادراك هذه الحكمة وعبر عن عجزه بقوله: «لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك». (٥)

---

(١) النيسابورى: أبو الحسن مسلم بن الحجاج ــ صحيح مسلم ــ جـ٤ ص٦٧ دار الفكر ــ بيروت.
(٢) سورة الحج آية ٣٠.
(٣) سورة المائدة ــ آية ٩٠.
(٤) ابن الأثير ــ الكامل جـ٢ ص٢٥٢، ابن كثير ــ البداية والنهاية جـ٤ ص٣٠١ ابن خلدون ــ جـ٢ ص٤٤.
(٥) صحيح مسلم جـ٤ ص٦٧.

وهذا هو الفارق بين عمر «نموذج الاهتداء» و بين بروكلمان «نموذج الادعاء».

روى ابن ماجة في سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليأتين هذا الحجر يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به، يشهد على من يستلمه بحق». (١)

و يروى ابن ماجة أيضا عن عمر قال: استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر ثم وضع شفتيه عليه فبكى طو يلا ثم التفت فاذا هو بعمر بن الخطاب يبكي فقال: «يا عمر هنا تسكب العبرات». (٢)

أما عن أصله ومن أين أتى به فقد اتفقت معظم المراجع والروايات العربية على أنه ياقوتة نزلت من الجنة مع آدم عليه السلام، وقد أودعها الله جبل أبي قبيس أثناء طوفان نوح عليه السلام(٣) فيروى الترمذى في سننه ما يثبت ذلك عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بنى آدم». (٤)

وعن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب». (٥)

و يذكر الشيخ عبد الكريم محب الدين أن ابراهيم لما قام ببناء الكعبة انتهى الى مكانه فقال ابراهيم لاسماعيل: ائتني بحجر أضعه هنا ليكون علما للناس يبتدون منه الطواف، فذهب اسماعيل في طلبه فجاء جبريل الى سيدنا ابراهيم بالحجر الأسود. (٦)

وعلى كل حال ففكرة وثنية الحجر الأسود هي فكرة غربية بثتها حركة الاستشراق في كتب التاريخ الاسلامي وسعت لترويجها منذ زمن بعيد ولم يكن (بروكلمان) مبتدعا لها فقد سبقه اليها أمثاله من المستشرقين مثل «درايكت» حيث يقول: «الحجر الأسود وتقبيله من بقايا الوثنية

---

(١) ابن ماجة جـ٢ ص ٩٨٢.

(٢) ابن ماجة جـ٢ ص ٩٨٢.

(٣) الأزرقى جـ١ ص ٣٢٩ ــ القرشي: جمال محمد بن ظهير الله ــ الجامع اللطيف في فصل مكة وأهلها و بناء البيت الشريف ص ٣٣ بيروت ١٣٩٢، ابن أحمد الضباع: محمد ــ تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام ــ (مخطوط) رقم ٦٨ ص ٥، ابن حسن العجيبى: على ــ تاريخ مكة والمدينة والطائف ــ مخطوط رقم ٦١ بمكتبة الحرم ق ٥.

(٤) الترمذى: أبوعيسى محمد بن عيسى ــ سنن الترمذى جـ٣ ص ٢١٧ القاهرة ١٩٦٥م.

(٥) المصدر السابق.

(٦) ابن محب الدين الحنفى: عبد الكريم ــ اعلام العلماء الاعلام ببناء المسجد الحرام مخطوط رقم ٩٣ ق ٧ مكتبة الحرم المكي.

القديمة » (١) بل ان البعض من هؤلاء المستشرقين يعد الكعبة نفسها وثنا من الأوثان، مثل (بوشورت سمث) حيث يقول: « لكن المقدس الأكثر شهرة وقدما في القطر كان هو الكعبة وكان يدعى بيت الله وكان مبنيا على هيئة مكعب و يشكل الآلهة الحقيقية لجميع الجزيرة العربية ». (٢)

فليس أبعد عن الحقيقة والرسوخ في الظلم والبهتان من محاولة الصاق طقوس الوثنية بالاسلام أو مهادنته لعبدة الأوثان أو اعترافه بهذه الآلهة. فالحجر الأسود لم يعامل كوثن، والمسلم يعتبره حجرا لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر ولا يعتقد فيه أبدا ما يعتقده النصراني في « الايقونات » (٣) ولقد كانت شعائر المسلم ومفتاح دخوله الاسلام منذ نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى «يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فأهجر» (٤) وهي ثاني ما نزل من القرآن ــ شعار دخوله الاسلام قوله « لا اله الا الله محمد رسول الله » والرجز المأمور بهجره هو عبادة الأوثان والاشراك بالرحمن وكم حاول مشركو مكة أن يجدوا تساهلا من الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه آلهتهم ليكفوا عنه، ساوموه على صلح أن يعبدوا إلهه و يعبد آلهتهم فقال له ربه: « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين ». (٥) (٦)



---

(١) G.M. Draigcatt, Mohamet Founder of Islam - London, 1916, P. 2.

(٢) R. Bosuiath Smith, Mohommed an Mahnedanism, P. 86.

(٣) الايقونية هي كلمة يونانية تعنى الصورة أو التمثال ــ اشارة الى الصورة الموجودة في الكنائس ــ المنجد ص ٢٢ بيروت ١٩٦٠.

(٤) سورة المدثر: آية ١ ــ ٥.

(٥) سورة الكافرون.

(٦) أحمد حمانى ــ مجلة جوهر الاسلام ــ العدد الخامس من السنة الخامسة ص ٤٤، انظر ابن هشام ــ السيرة النبوية جـ٢ ص ١٠.

٢

ثم يتحدث بروكلمان عن مدى ايمان النبي صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل فيقول:

(إن العقيدة في الله كانت تملأ قلبه أكثر فأكثر وقد جعلته يرى أن الآلهة الأخرى لا وجود لها (باطلة) ولكن في السنوات الأولى من دعوته لا بد أنه اعترف بإلهات الكعبة الثلاث اللائي كان مواطنوه يعتبرونها بنات الإله. وقد وصفها في احدى تجلياته كأنها كائنات عالية (غرانيق) ترجى شفاعتها)(*)

هذا رأي بروكلمان كغيره من الزنادقة الذين وضعوا هذه الفرية ومن شايعهم من المستشرقين الذين روجوا لها وسعوا جاهدين في محاولتهم للطعن في أهم دعائم هذا الدين (القرآن) ومحاولتهم أن يتسرب اليه الشك في قلوب المسلمين حتى يضعف ايمانهم به مثل درايكوت. (١)

أما نحن المسلمين فلا ينبغي لنا أن نقول هذا، فمسألة الغرانيق مسألة مردودة ومكشوفة لدى كل باحث في هذا الباب، فهي فرية واهية، ذكرت في بعض كتب التفسير عند تفسير آية «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم»(٢) وبعض كتب السير والتاريخ عند ذكرهم رجوع المهاجرين الأول من الحبشة(٣)، فما كان ينبغي لبروكلمان أن يعتمد على هذه الرواية دون تحقيق.

ومناسبة هذه القصة عند مروجيها من المفسرين وتفسيرهم الخاطىء لآية «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في أمنيته» من سورة الحج ومن تبعهم من المؤرخين، فيقول: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعرض عنه قومه وشاقوه وخالفته عشيرته ولم تشايعه على ما جاء به تمنى ــ لفرط ضجره من أعراضهم ولحرصه وتهالكه على اسلامهم ــ ألا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم، فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة (النجم) وهو في نادى قومه وذلك التمني في نفسه فأخذ يقرأها فلما بلغ قوله «ومناه الثالثة الأخرى ــ (القى الشيطان في أمنيته) التي تمناها أى، وسوس اليه ما شايعها به، فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى أن قال: «تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى. (٤)

(*) بروكلمان: ــ تاريخ الشعوب الاسلامية ــ ص ١٣ (أنظر النسخة المترجمة ص ٣٤).

(١) أنظر G.M. Draigcatt, Op, Cit, P. 83

(٢) سورة الحج ــ آية ٥٢.

(٣) الحلبي: علي بن برهان الدين ــ السيرة الحلبية جـ١ ص ٣٣٤ بيروت دار الفكر سيرة ابن هشام جـ٢ ص ١٢.

(٤) الزمخشري ــ تفسير الكشاف جـ٣ ص ١٩ تفسير سورة الحج، طبقات ابن سعد جـ١ ص ١٨٨، الكامل لابن الأثير جـ٢ ص ٥٣.

ثـم بعد ذلك جاء جبريل ليستعرض معه سورة والنجم و بلغ الكلمتين (تلك الغرانيق العلى وان شـفـاعـتـهـن لـتـرتجى) فـقال له: ما جئتك بهاتين(١) فاستدرك الرسول وحزن حزناً شديداً. فقال واضعو هذه الفرية إن الله أنزل عليه قوله تعالى «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألـقـى الـشيطان في أمنيته»(٢) فسروا كلمة (تمنى) في الآية بمعنى (قرأ) وهذا مالا يوجد في فصيح لغة العرب ثم حاولوا أن يدعموا رأيهم هذا ببيت من الشعر وضعوه لهذا الغرض لا محالة وهو:

تمنى كتاب الله أول ليلة — تمنى داود الزبور على رسل(٣)

وقـالـوا: أنزل عليه أيضا قوله تعالى: «وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفترى علينا غـيـره واذا لاتخـذوك خـلـيـلا•ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا•اذا لاذقناك ضعف الحـيـاة وضـعـف الـمـمـات ثـم لا تجـد لك علينا نصيرا»(٤) فخاضوا في هذه الفتنة وزعموا بأن هذه الـوسـوسـة الـتـي تمـنـاها صلى الله عليه وسلم أنه سجد في نهاية سورة النجم وسجد كل من كان في الـنـادى مـن مـسـلـم ومـشـرك فـقالوا: ان الصلح تم بين الرسول ومشركي قومه، واتخذوا من رجوع المهاجرين الى الحبشة دليلا على صحة دعواهم.(٥)

نقول: كان على بروكلمان أن يستعمل الأسلوب العلمي الحديث في تفنيد هذه الرواية.

هكذا قالوا.. وهذه أدلتنا لتفنيد أباطيلهم:

أولا: سـيـاق الآيـات في سورة النجم: إن سياق الآيات في سورة النجم يجرى على نمط واحد وهو ذم وتحـقـير لـلأوثـان والأصـنـام دون انـقـطـاع، هكذا قال تعالى «أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخـرى، ألكـم الذكر وله الأنثى، تلك اذا قسمة ضيزى•ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم مـا أنـزل الله بـهـا مـن سـلـطـان إن يـتـبـعـون الا الـظـن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى». (٦)

فنرى أن موضوع الآيات تحقير للآلهة، فكيف يجوز له في القرآن أن يمجد هذه الآلهة ثم يبالغ بعد ذلك في تحقيرها والسخرية بها؟ فاذا تجاوزنا المعنى الى الأسلوب لنقارن بين القرآن و بين ما قالوا — وان كانت المقارنة غير واردة — لرأينا عجبا.

---

(١) طبقات ابن سعد جـ١ ص١٣٧.
(٢) سورة الحج — آية ٥٢.
(٣) ارجع في هذه القصة — وتفسير كلمة تمنى لكتاب «أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ» للدكتور شعوط ص٥٨—٦١.
(٤) سورة الاسراء — آية ٧٣ — ٧٥.
(٥) تفسير القرطبى — جـ٦ ص٨٠.
(٦) سورة النجم — آية ١٩، ٢٣.

القرآن ببلاغته في ذلك التقطيع بين الجمل وتوافق الفواصل، وهذا الانكار الساخر وتلك المقابلة بين الذكر والأنثى، والتعبير بكلمة (ضيزى) عن القسمة غير العادلة، وما في الكلمات من موسيقى وأسلوبى القصر المؤكدين للفكرة، هل يتناسب ذلك السمو البلاغي المعجز في آيات القرآن مع هذا الزيف المسف الذي ادعوا كذبا أنه جزء من التنزيل؟ (تلك الغرانيق العلا ...الخ).

أليس من التناقض أيضا قولهم: «ان زعماء قريش قد سجدوا في نهاية السورة. فكيف يسجد عاقل حينما يسمع ذم آلهته بقوله «ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان»؟

كيف مر على عقولهم هذا التناقض الواضح بين قوله، ان شفاعتهن لترتجى، وقوله بعدها «وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء و يرضى»؟ وكيف مر عليهم قوله «فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا»(١)؟ وكيف تنشرح صدورهم و يسجدون مع محمد عند انتهاء السورة وهو الذي قال بعد مدح الغرانيق (ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)؟(٢)

كيف يسمعون هذا كله ثم يصيحون و يسجدون بعد ذلك.؟!

و يقول صاحب تفسير البحر المحيط في آية «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته»: انها مسلاة للرسول باعتبار من مضى من الرسل والأنبياء كانوا حريصين على ايمان قومهم متمنين لذلك مثابرين عليه. كما أنه صلى الله عليه وسلم من أحرص الناس على هداية قومه وكان فيهم شياطين كالنضر بن الحارث يلقون لقومه وللوافدين عليه شبها يثبطون بها عن الاسلام ولذلك جاء قبل هذه الآية «والذين سعوا في آياتنا معاجزين» وسعيهم هذا بالقاء الشبه في من استمالوه ونسب ذلك الى الشيطان لأنه هو الغوى والمحرك لشياطين الانس للأغواء كما قال «لاغو ينهم».

فالشيطان هنا شيطان الانس والضمير في أمنيته عائد على الشيطان أى في أمنيته نفسه، ومفعول ألقى محذوف لفهم المعنى وهو الشر والكفر.. ومعنى فينسخ الله ما يلقى الشيطان أى يزيل تلك الشبه شيئا فشيئا حتى يسلم الناس كما قال تعالى: «ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا».(٣)

---

(١) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ الاسلامي ــ صفحة ٦٢

(٢) المرجع السابق

(٣) ابن حبان: محمد بن يوسف ــ تفسير البحر المحيط ــ جـ٦ ص ٣٨٠، ٣٨١ بيروت ــ ١٣٩٨

ثانيا: و بعيد كل البعد بل مستحيل أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد غير فيما أنزل عليه من وحى. تلاوة أو فهما. قال تعالى: «ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين، وانه لتذكرة للمتقين»(١)

وقد وصفه الله تعالى بقوله: «وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى»(٢) وكما قال تعالى: «قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع الا ما يوحى الى إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم»(٣) فكيف بعد هذه الآيات البينات يخطر على بال أحد من المتصفين أن يغير رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فيما أوحى اليه، فضلا عن أن الوحي هو الشيطان الذي ليس له سبيل على المؤمنين؟.

ثالثا: لا تناسق ولا ترابط بين أطراف القصة المفتراة، من الناحية الزمنية فسورة النجم صورة مكية والقصة التي نسجت حولها كانت مكة محيطها(٤)، وآية العزاء ــ في نظرهم ــ «وما أرسلنا من قبلك من رسول» هي في سورة الحج وهذه السورة مدنية(٥) بالاجماع ومع ذلك سمحت لهؤلاء المفترين سماجتهم أن يقولوا ما قالوا.(٦) فاذا كانت سورة الحج نزلت ــ كما زعموا ــ عزاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون العزاء بعد الحادث بسنوات وفي مكان غير المكان الذي نزلت فيه؟

رابعا: وقول المؤرخين ان عودة مهاجرى الحبشة كانت نتيجة هذا الصلح ونحن نقول لهم: إن عودة المهاجرين من أرض الحبشة لم تكن بسبب ذلك الصلح المزعوم، لكنها كانت لأحد احتمالين: اما لعلمهم باسلام عمر بن الخطاب و يقينهم بأن عمر سيكون شديدا على الكفار مثلما كان شديدا على المسلمين في كفره وفي هذا سند لهم وعون يمكن من أداء عبادتهم في طمأنينة وأمن.

وإما أن تكون لتلك الثورة التي حصلت يومئذ على النجاشي بالحبشة وقد يكون من أسبابها ان لم يكن سببها الوحيد ما أبداه من عطف على المسلمين(٧) وخير دليل على عدم وجود الصلح أنه لم يدخل أحد من المهاجرين مكة الا مستخفيا(٨) بل عادوا الى الحبشة مرة ثانية وانضم اليهم عدد كبير من المعذبين الذين فروا بدينهم من قريش.

إذاً لا صلة البتة بين مسألة الغرانيق و بين عودة المسلمين من الحبشة.

---

(١) سورة الحاقة ــ آية ٤٤ــ٤٨.
(٢) سورة النجم ٣، ٤.
(٣) سورة يونس ــ آية ١٤.
(٤) الزركشي: بدر الدين ــ البرهان في علوم القرآن ــ جـ١ ص١٩٣ القاهرة ١٣٧٦.
(٥) المرجع السابق ص١٩٤.
(٦) أحمد الحماني ــ مجلة جوهر الاسلام ص٤٥.
(٧) هيكل ــ حياة محمد ص١٦٣.
(٨) ابن هشام ــ السيرة النبوية جـ٢ ص١٢.

خامسا: هناك سبب آخر ذكره المرحوم الشيخ محمد عبده حين كتب عن قصة الغرانيق فقال: «إن وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرانيق لم يرد في نظمهم ولا في خطبهم ولم ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جاريا على ألسنتهم. وانما ورد الغرنوق والغرانيق على أنه اسم لطائر مائي أسود أو أبيض، والشاب الأبيض الجميل ولا شيء من ذلك يلائم معنى الآلهة أو وصفها عند العرب». (١)

سادسا: الفرية تتعارض مع العصمة النبوية ومع صفات النبوة وهي الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة.

فبعدما قدمنا من الأدلة والبراهين على كذب هذه القصة التي جعل الشيطان سبيلا لوجودها في تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم مع أننا قد عرفنا من القرآن الكريم أن الشيطان ليس له سبيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا على المؤمنين من منطوق هذه الآية «انه ليس له سلطان على الذين آمنوا». (٢)

وقال تعالى «ان عبادي ليس لك عليهم سلطان» (٣).
وقال تعالى «وما تنزلت به الشياطين».

وأخيرا، فكل ما تهدف اليه هذه القصة و يقصد اليه خصوم الاسلام هو أن يشككوا المسلمين في الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (القرآن الكريم) لأنه اذا ثبت أن الشيطان قد وضع كلمة أو حرفا فانه ستصبح كل كلمة في القرآن في مظنة أنها من وضع الشيطان وحاش لله أن يحدث ذلك.



(١) هيكل — حياة محمد ص ١٦٥، انظر لسان العرب جـ١٠ ص ٢٨٦.
(٢) سورة النحل — آية ٩٩.
(٣) سورة الحجر — آية ٤٢.

٣

يقول بروكلمان في التشكيك في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم:
(فكان يضج في نفسه هذا السؤال: الى متى يمدهم الله في ضلالهم، ما ادام هوعز وجل قد تجلى آخر الأمر للشعوب الأخرى بواسطة أنبيائه؟ وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنه قد يكون مدعوا الى أداء هذه الرسالة، رسالة النبوة، حتى أعلن ما ظن أنه سمعه كوحي من عند الله)(*)

محمد الرسول ــ في نظر بروكلمان ــ مدع نضجت فكرة النبوة في ذهنه ورأى نفسه صالحا لها وصدق نداء نفسه الداخلي وأعلن هذا الظن على الناس على أنه وحي من عند الله.

وقد تصدى للرد على بروكلمان عدد من كتاب المسلمين بوسائلهم وأساليبهم المختلفة.

فيقول الدكتور عمر فروخ في هامش من كتاب بروكلمان نفسه:(١)
«وما ذلك الا من قبيل التعصب الديني المبني على عداء سياسي. انهم ينكرون أن يكون محمد ذا نبوة صحيحة بينما هم يقرون بهذه النبوة نفسها لجميع أنبياء بنى اسرائيل».

كما يقول الشيخ الغزالي معلقا على نفس الموضوع:
«ونحن نتساءل هل هذا المستشرق ينكر الوحي جملة؟ إن كان الأمر كذلك فلا نبوات البتة، وسقطت ديانته قبل أن تسقط الديانة التي يهاجمها. وان كان يؤمن بالوحي و يصدق أنبياء اليهودية والنصرانية وحدهم ــ قلنا له ما سر هذه التفرقة؟ أهو تعصب لما ورثت عن آبائك وقومك؟ لك ذلك ــ ولكن لا نسمي هذا المسلك علما نزيها ولا بحثا محايدا».(٢)

لو أنكر بروكلمان نبوة محمد أو أراد أن يتجاهلها. فلماذا لم ينكر غيرها من النبوات؟ ولماذا لم يتجاهل نبوات بني اسرائيل؟ ألأن محمداً لم يكن من بني اسرائيل أم لأن محمداً أتى بكتاب كذب فيه افتراءات كتبهم وأبطل كل ما فيها من حشو وضعوه هم بأيديهم من أجل اشباع رغباتهم وقضاء مصالحهم التي يزعمونها؟

أم لأن محمداً أتى بكتاب بقي هذه الفترة من الزمن وهي ما يزيد عن ألف وثلا ثمائة سنة دون أن يمسه شيء من التغيير و بقي معجزة اعترف بها العدو قبل الصديق؟ أم لأن محمدا أتى بدين جعل من معتنقيه سادة على أهل الأرض قرونا عدة؟

(*) بروكلمان: ــ تاريخ الشعوب الاسلامية ــ ص١٣ (انظر النسخة العربية المترجمة ص٣٦).
(١) بروكلمان ص٣٦ هامش الكتاب.
(٢) الغزالي: ــ دفاع ضد مطاعن المستشرقين ــ ص٢٣.

أم كان لبروكلمان دليل قاطع على صحة نبوة عيسى وغيره من أنبياء بني اسرائيل وصحة كتبهم ولم يكن لديه الدليل بذلك على صحة نبوة محمد ؟(١)

أم من أجل أن نبوات بني اسرائيل كانت خاصة وجاءت رسالة محمد عامة فحسدوها ولم يقبلوها من محمد صلى الله عليه وسلم ؟

أفمن أجل هذا لم يستطع بروكلمان أن يصدق نبوة محمد ؟ أو أنه صدقها الا أن التعصب الديني أو الدوافع السياسية هي التي أجبرته على هذا الادعاء من انكار نبوته صلى الله عليه وسلم ؟

ونحن حين نرد على بروكلمان لا نعتمد في ردنا على القرآن الكريم لأنه لا يؤمن به، وانما نرد عليه بآراء بعض المستشرقين الذين لم يتأثروا بالتعصب الأعمى، ثم نرد على أهل التوراة بما جاء فيها وعلى أهل الانجيل بما جاء فيه. أما ردنا ببعض آراء المستشرقين في هذا الصدد فهو كما يأتي:

١ـ ذكر المستشرق جونسون عن حقيقة دعوته صلى الله عليه وسلم في كتابه «الديانات الشرقية» فقال: «وجاء بشريعة عامة اجتمع فيها ما تفرق من أنوار الهداية التي نزلت على قلوب الأنبياء. وهذه الرسالة هي الرسالة التي أداها بهمة وغيرة لا تعرف الأنانية، فلو ادعاها لما كانت جلية الشأن حتى نفخت الحياة في شعب غرق في سباته، وجمع بها شتات القبائل المتنازعة وخلق منها أمة يحدوها العمل و يطبعها بالنعيم الأ بدى».

٢ـ و يقول اللورد هدلى: «إن رسالة محمد رسالة إلهية صادقة لا ريب فيها هدى للمتقين، أوحى الله بها اليه فجاءت مخففة لصرامة أحكام التوراة مكملة لكتاب المسيح».

٣ـ و يقول (أونست رينان)(٢) في كتابه (تعليقاتى على تواريخ الأديان): «لقد دلتني تحرياتي العلمية والتاريخية على أنه لا صحة مطلقا لما أريد الصاقه بالنبي محمد من كذب وافتراء مصدرهما بعض المباينات العرفية والعادات القومية التي أراد بعض المتحاملين أن يتوجهوا بها الى الناحية التي تشفى سقام أذهنتهم الوقحة وتعصبهم الذميم».

٤ـ و يذكر المستشرق الانجليزي (هزج و يلز) «ان من أرفع الأدلة على صدق محمد كون أهله وأقرب الناس إليه يؤمنون به فقد كانوا مطلعين على أسراره ولو شكوا في صدقه لما اتبعوه».

---

(١) الغزالي: ــ دفاع ضد مطاعن المستشرقين ــ ص ٢٣.

(٢) فيلسوف فرنسي دخل المدارس اللاهوتية، وتضلع في اللغات الشرقية، رحل الى لبنان، عنى بالعقائد الاسلامية، ذكر له ثمانية وسبعين كتابا، وقال لولا ابن رشد لما فهمت فلسفة أرسطو. من اثارة تاريخ اللغات السامية تاريخ الأديان، تقدم الآداب الشرقية (العفيفى جـ١ ص ٢٠٢).

٥ــ أما الشاعر الفرنسي (لامارتين)(١) فيقول عن صدق دعوته: «إن حياة مثل حياة محمد وقوة كقوة تأمله وتفكيره وجهاده وثباته.. ان كل ذلك أدلة على أنه لم يكن خداعا أو يعيش على باطل، ومؤسس دين لا فرية فيه، وفاتح دولة في السماء من ناحية الروح والفؤاد».

٦ــ وللفيلسوف الروسى (تولستوى)(٢) رأي في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذ يقول: «و يكفيه فخرا أنه هدى مئات الملايين الى نور الحق، الى السكينة والسلام وفتح للإنسانية طريقا للحياة الروحية العالية، وهو عمل عظيم لا يقوم به الا شخص أوتي قوة والهاما وعونا من السماء».(٣)

هذه طائفة من آراء بعض المستشرقين الذين شهدوا بالحق وأدركوا بالبراهين الواضحة صدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم.

و يبقى لنا أن نرد على أهل التوراة بما جاء في توراتهم ونرد على أهل الانجيل الذين منهم بروكلمان بما جاء في انجيلهم إن كان يؤمن بما في الانجيل.

وأما ردنا على أهل التوراة فهو كما يأتي:

في التوراة

ورد في سفر ملاخى في الاصحاح الثالث عدد «١» من النسخة المحفوظة لدى اليهود نقلا عن الأستاذ محمد الطهطاوى «ها أنا سوف أرسل رسولي فيعزل طريقا بحضوري وحينئذ يأتي الى هيكله الولي الذي أنتم تلتمسون ورسول الختان الذي أنتم راغبون هو ذا آت قال الله رب الجيوش».(٤)

والمقصود برسول الختان هو محمد بن عبد الله.(٥)

---

(١) شاعر وروائي فرنسي ولد ١٧٩٠ وتوفي ١٨٦٩ شغل مناصب سياسية كثيرة كان يؤمن بمبادىء الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والسلام العالمي وأصبح رئيسا للحكومة المؤقتة بعد ثورة فبراير. من آثاره اعترافات ــ صدر في ١٨٤٩م، رواية جرازيلا ١٨٤٨م، سقوط الملاك ١٨٣٨م، (الموسوعة العربية الميسرة ١٥٤٣).

(٢) روائي وفيلسوف روسى، ولد سنة ١٨٢٨ وتوفى ١٩١٠م التحق بالجيش سنة ١٨٥١م، مر بازمة روحية كانت نتيجتها ارتداده الى الايمان بالمحبة المسيحية، آثاره الطفولة/ الصبا/ الشباب/ وملحمة أسماها الحرب والسلام وله كتاب آخر أسماه البعث ــ سنة ١٩٠٠م (الموسوعة العربية الميسرة ٥٦١) القاهرة.

(٣) ميخائيل: بشرى زخارى (محمد رسول الله هكذا بشرت به الأناجيل) ص٤٦ــ٥٤).

(٤) الطهطاوى: محمد عزت اسماعيل ــ محمد رسول الله في التوراة والانجيل والقرآن ص٢٧ القاهرة ١٩٧٢.

(٥) المرجع السابق.

في الانجيل

وردنا على أهل الانجيل بما جاء في انجيلهم، فان انجيل يوحنا جاء فيه قوله «وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتيه من ذاك يمجدني لأنه يأخذ من مالي ويخبركم».(١)

وهذه اشارة و بشارة للرسول عليه الصلاة والسلام حيث لم يأت نبي يمجد المسيح الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الذي مجد المسيح واعترف به. هذه البشارة تعنى بأن الرسول الذي سيأتي بعد المسيح لا يختلق ما يقوله لأنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ولكنه لا يتكلم الا بما يلقى عليه من وحي وانه سيخبر بأمور آتيه. وقد تحقق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام مثل قوله تعالى: «غلبت الروم في أدنى الأرض».

هذا هو محمد بن عبد الله في كتبهم وحسب آراء كتابهم ومؤرخيهم، فلم يبق بعد ذلك مجال لتصديق ما زعموه بعدما ذكرنا من الأدلة ومن نصوص التوراة والانجيل.



(١) انجيل يوحنا اصحاح ١٦ عدد ١٣ــ١٤.

٤

يقول كارل بروكلمان:

«وليس يجوز أن نطلق الحكم على دين محمد على أساس القرآن وحده طبعا. وليست المسألة مسألة نظام مرتب، اذا لم تكن الدقة والتماسك الفكري أقوى جوانبه على الاطلاق ولم يكن عالمه الفكري من ابداعه الخالص الا إلى حد صغير، فقد انبثق في الدرجة الأولى عن اليهودية والنصرانية فكيفه محمد تكييفا بارعا وفقا لحاجات شعبه الدينية». (*)

في عبارة بروكلمان تناقض واضح، فصدرها يناقض عجزها، كيف لا يكون التماسك الفكري والدقة قوية في القرآن، بينما يكون النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد كيّف معلوماته عن اليهودية والنصرانية تكيّفا بارعا؟ أليس من المنطق أن يكون القادر على تكييف معلوماته تكييفا بارعا قادرا أيضا على تحقيق الدقة؟ وإلا فكيف يكيفها؟

فاذا تجاوزنا ذلك التناقض لنرد على الشطر الأول من الادعاء لوجدنا أنه ادعاء غير قائم، فالذين يمكنهم القول بهذا هم القادرون على فهم البلاغة فهما صحيحا يؤهلهم للتصدى لهذه القضية الخطيرة (قضية النقد الأدبي) وليس بروكلمان منهم لأن ثقافته العربية ثقافة غير أصيلة.

ماذا يقصد بالتماسك الفكري؟ هل الفكرة مهلهلة؟ لا يجمعها جو نفسي واحد؟ أينتقل الفكر القرآني من موضوع الى موضوع آخر قبل اكماله؟ ماذا يعني بالدقة؟ أليس الاخبار في القرآن مطابقا لما حدث وأخبر به ومطابقا لما لم يحدث وأخبر به قبل حدوثه؟ ما المقصود بالدقة؟

أسئلة كثيرة تتوارد على ذهن السامع لأن العبارة عامة، ليس لها مفهوم معين حتى نركز عليه في الرد تركيزا مباشرا.

لو أن هناك نقاطا محددة وأمثلة معينة لفصلنا القول فيها ردا وتفنيدا، أما ان عالمه الفكري وما شرعه من الأحكام قد انبثق عن اليهودية والنصرانية وهو الشطر الثاني من العبارة فهذا أيضا قول غريب، لأن الأديان جميعها واحدة في جوهرها، دعوة الى التوحيد، ودعوة الى الاصلاح. فاذا تشابهت اليهودية والنصرانية مع الاسلام فهل في هذا التشابه ما يدعو الى العجب؟ أليس الله وحده صاحبها وهو الذي أرسل رسله مبشرين؟! وهل يجوز لنا ان نقول ان دعوة المسيح عليه السلام انبثقت عن دعوة موسى عليه السلام؟

و يقول الشيخ الغزالي في هذا الصدد: إن محمداً الذي قدم للعالم أنفس العقائد والشرائع في أرقى أسلوب وأنصع بيان، لو كان أتى بهذا الدين من عند نفسه لا من عند الله لكان معنى هذا أن

(*) بروكلمان: ــ تاريخ الشعوب ــ ص ٣٣ (أنظر النسخة العربية المترجمة ص ٦٨).

البشر أقدر على صنع الأديان من رب البشر والا كيف يتصور أن القرآن ومحتو ياته عمل انساني، وان العهدين القديم والجديد عمل إلهي ؟(١)

و يقول الأستاذ أحمد محمد جمال: «على أنه لا ضير أن يتفق الاسلام فيما جاء به قرآنا وسنة مع الديانات السابقة، في الأصل الأصيل لكل ديانة سماو ية، وهو التوحيد أو فيما ندعو اليه من مكارم الأخلاق». ثم يستطرد و يقول: «ولكن الشمول والسعة والاحاطة بكل حاجات البشرية ومصالحها على مدار الزمن، وفي كل الأ وطان، ولكل بني الانسان، قد انفرد بها الاسلام من دون الأديان الأخرى بلا جدال». (٢)

إذاً إن ما جاء به محمد من شرع ليس من صنعه، ولم يأخذه من اليهودية أو النصرانية حتى يكيفه حسب ما يراه من ظروف ترضى عنها اليهود والنصارى وغيرهم ممن لا يدينون بالاسلام ليرضى به قومه.

إنما ينهج محمد في أقواله وأفعاله منهجا حميداً رسمته له السماء ونزل به جبريل، مصداقا لقوله تعالى: «ان اتبع الا ما يوحى اليَّ».

٥

ثم يدعى بروكلمان أن الرسول كيَّف تشريعه للصيام ليرضى به اليهود أو أنه اقتبسه من احدى الفرق الدينية مثل الغنوصية فيقول:

«غلبت على الاهتمام الديني للنبي في الأ وقات الأ ولى من اقامته في المدينة علاقته باليهود، ولا بد أنه كان يأمل بوصوله (الى المدينة) أن يدخلوا في دينه، لذلك حاول ان يوفق بين شعائر شريعته في كثير من المسائل و بين شعائرهم فقد شرع صيام عاشوراء في اليوم العاشر من المحرم حسب صيام اليهود في يوم الغفران في اليوم العاشر من شهر تشرين. ولكنه أضاف الى ذلك صوما لا يزال معمولا به حتي اليوم وهو صوم شهر رمضان بكامله، وهو الشهر التاسع من السنة القمرية. وليس من الواضح اذا كان قد اقتبس هذه الفريضة من أحد الفرق الغنوصية*». (٣)

---

(١) الغزالي: ــ دفاع عن العقيدة ص ٣٥.

(٢) جمال: ــ مفتريات عن الاسلام ــ ص٣٦.

(٥) بروكلمان ــ تاريخ الشعوب ــ ص ٢٠ ــ (انظر الترجمة العربية ص٤٨).

(*) الغنوصية هي حركة فلسفية ودينية، نشأت في العصر الهلينيقي وأساسها ان الخلاص يتم بالمعرفة أكثر مما يتم بالأعمال الخيرة والأمان، وتأثر بالغنوصيين بعض الفرق اليهودية مثل الاسنيين كما أنها اثرت في المسيحية فحملتها على تحديد العقيدة ومحاربة الهرطقة، الا أن أمرها انتهى بادماجها في المانيو ية (الموسوعة العربية الميسرة ص١٢٥٨).

وللرد على ذلك نقول:

الصيام فريضة قديمة عرفتها كل الأمم وكلفت بها كل الأديان. قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون(١)». فالصيام عبادة مفروضة على جميع الأديان وصوم عاشوراء كان معروفا لدى العرب قبل الاسلام. روى البخارى(٢) بسند عن عائشة أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية وقد أمر الرسول بصيامه في مكة. وعندما انتقل الى المدينة كان صيام عاشوراء معروفا لديهم أما صيام رمضان فقد فرض في المدينة عندما قويت جذور الاسلام ووضحت وانتقل من مرحلته الأولى الى مرحلته الثانية بعد أن استقر الاسلام وقويت شوكته ثم فرض الصيام على المسلمين ليعلمهم التقوى كما فرض على الذين من قبلهم، وأى غرابة في أن يقر الاسلام مبدأ روحيا فيه طهارة للنفس وزكاء للفرد؟

أما صوم رمضان فقد تنزلت فيه آيات الكتاب «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فمن شهد منكم الشهر فليصمه». هذا نص الكتاب الاسلامي. فمحمد عليه السلام منفذ لما نزل عليه وليس مقتبسا من الديانات الأخرى، ثم ان الصيام لم يكن من ضمن العبادات الفارسية التي زعم بروكلمان أن الرسول اقتبس منها الصيام.(٣) فمن أين جاء بروكلمان بهذه الدعوى؟ (دعوى اقتباس الرسول عباداته من أحد الفرق الفارسية).

ثم ما هو الهدف الذي يهدف اليه الرسول صلى الله عليه وسلم والذي من أجله سعى إلى ادخال عبادة ليست موجودة في شرعه؟ أمن أجل أن يدخل نفر من اليهود كانوا يعلمون من كتابهم ما دعاهم اليه؟ فكل جهاده معهم هو أن يردهم الى كتابهم سواء كانوا يهودا أو نصارى لأنهم اذا آمنوا بما في كتبهم فسيوصلهم ذلك الى الايمان به من غير أن يحتاج الى استمالتهم بشيء جديد يدخله في دينه. وهم قد أمروا أن يفتحوا التوراة والانجيل و يعملوا بما فيها كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبين لهم ما حاولوا اخفاءه من كتبهم مصداقا لقوله تعالى: «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب و يعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين»(٤).

«قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين(٥)»

---

(١) سورة البقرة ــ آية ١٨٣.

(٢) البخارى ــ كتاب الصيام جـ٢ ص ٢٢٦.

(٣) الشهرستانى: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ــ الملل والنحل ــ جـ١ ص ٢٤٤ القاهرة ١٣٨٧.

(٤) سورة المائدة ــ آية ١٥.

(٥) سورة المائدة ــ آية ٦٨.

و يقول بروكلمان:

«بينما كان محمد وأصحابه يصلون في مكة مرتين فقط وفي المدينة ثلاث مرات، قضت الشعائر المتأخرة تحت تأثير فارس بأن تكون خمسة مواعيد للصلاة». (*)

و بروكلمان يستمر في تسطير الأباطيل دون أن يعتمد على دليل و يسجل على نفسه تعصبا مقيتا ضد الاسلام، ولا يكتفي بالخلط في العبادات عند الصوم بل يتجاوز ذلك الى الصلاة فيدعى أن محمدا اقتبس الصلوات الخمس من الفرس.

الصلاة معروفة عند العرب من قبل مجيء الاسلام والمقصود بها الدعاء(١) فلا داعى لاقتباسها من الغير، ولما جاء الاسلام فرض على اتباعه صلاتين في مكة وكانت قاصرة على ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى، والى ذلك الاشارة الى قوله تعالى «وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار»(٢) كما فهمه بعض المفسرين(٣) وظلت على هذا الوضع حتى حدث الاسراء والمعراج وهوقبل الهجرة حيث فرض الله على عباده المسلمين الصلوات الخمس، وقد فرضت في مكة ولم تفرض في المدينة في أوقات متأخرة كما زعم بروكلمان.

وقد تناول الرد على بروكلمان في هذا الموضوع الأستاذ أحمد الحماني، يقول:(ان بروكلمان لا يجهل أن المسلمين كانوا يصلون بمكة خمس صلوات في اليوم والليلة، فقد فرضت الصلوات الخمس بمكة ليلة الاسراء والمعراج ونزل فرضها في قوله سبحانه وتعالى «فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون» والآية الكريمة من سورة الروم وهي بالاجماع سورة مكية. فما الذي يحمل بروكلمان على تزوير التاريخ وتشويه الحقائق؟ ..وانه يحاول أن يهاجم الايمان في صدور أبنائنا ليزعزع العقيدة و يتركهم مذبذبين). (٤)

فمن أين عرف بروكلمان أن الرسول أخذ الصلاة عن الفرس أو المجوس بعدما اتضح أنه لم يعرف ما عند المسلمين. فلا هوعرف ما عند المسلمين؟ ولا عرف ما كان عند الفرس لأنهم مجوس عبدة نار، ليس لهم عبادة تذكر كالصلاة. (٥)



(*) بروكلمان ــ تاريخ الشعوب ص ٣٦ (انظر النسخة المترجمة العربية ص٤٧).

(١) الخضرى ــ تاريخ التشريع ص ٣٥.

(٢) سورة غافر ــ آية ٥٥.

(٣) الخضرى ــ تاريخ التشريع ــ ص٣٧.

(٤) الحمانى: ــ مجلة جوهر الاسلام ص٤٨.

(٥) انظر الشهرستاني ص ٢٣٣ جـ١.

٦

وحينما يتحدث بروكلمان عن العقيدة نراه يتطرق للايمان باليوم الآخر، و يعطى ذلك اليوم وصفا مجملا حسب ما ورد في القرآن، ثم بعد ذلك يحاول أن يعطي للمرأة صورة مشوهة عن نصيبها في ذلك اليوم، حتى يتمم الصورة التي رسمها أمثاله الذين أعطوا للمرأة المسلمة تلك الصورة المشوهة لمكانتها في الاسلام بالنسبة للرجل في الحياة الدنيا، ولكن بروكلمان جاء ليتم هذه الصورة في الحياة الآخرة فقال بعد وصفه مباهج الجنة:

«ومباهج الجنة هذه ــ كما هو واضح ــ تتوجه الى خيال الرجال دون غيرهم ــ (النساء)». (*)

والحقيقة أن الله عز وجل حينما وصف الجنة وعد بها الذين آمنوا عامة ولم يخص بها الرجال دون النساء، وانما وضع لها قاعدة واضحة المعالم قال فيها: «من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون». (١)

قال تعالى: «من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن».

وعلى هذه القاعدة كان الوعد القرآني بالجنة للذين آمنوا، من الرجال والنساء على السواء فالوعد والخطاب للكل وللجميع ولم يقصد النداء القرآني ان الذين آمنوا هم الرجال فقط، لكن الذين آمنوا من رجال واناث.

هذه طبيعة اللغة العربية، فاذا كان الجمع خليطا من ذكور وإناث كان النداء والتحدث لهم بصفة جمع الذكور من باب التغليب، وهذا ما غاب عن بروكلمان أستاذ اللغة العربية وآدابها.

القرآن لم يخص بلفظ (الذين آمنوا) الرجال دون النساء بالنسبة لمتاع الآخرة.

كما أود أن أوضح في الرد على بروكلمان أن القرآن قد أوضح في بعض الآيات التي تبين أن نعيم الجنة لا يكون قاصرا على الرجال دون النساء بل ان المرأة والرجل مشتركان في المتاع بمباهج الجنة اذا كانا مؤمنين ولكن هذا المتاع مبنى على العمل.

قال تعالى:

«يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم و بايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم». (٢)

(*) بروكلمان ــ تاريخ الشعوب ــ ص ٣٥ (أنظر النسخة العربية المترجمة ٧٢).

(١) سورة النحل ــ آية ٩٧.

(٢) سورة الحديد ــ آية ١٢.

«ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا». (١)

«جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب». (٢)

«الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين، أدخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون»(٣)

«إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون، هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون». (٤)

من هذه الآيات القرآنية يتضح أنه لا فرق بين الرجال والنساء في نعيم الجنة.

أما قوله إن الله قد وعد الرجال بمصاحبة حور العين(٥)، ولم يعد النساء بمصاحبة الرجال فهذا بديهي من الناحية الأخلاقية، فطبيعة المرأة وحياؤها وخجلها الذي فطرت عليه بانسانيتها جعل من غير المعقول أن يعدهن بوعود مثل هذه من أمور الجنس، كما أن العرب لم تتعود ذلك في طبائعها، ومن البديهي أن يكون القرآن نموذجا للخلق وقدوة للخلق، فالمرأة بطبيعتها التي فطرها الله عليها تستحي، وتخجل من سماع ذكر هذه الأمور.

كما أن الحور العين التي وعد الله عباده الصالحين بهن في الجنة قد يكن هن نساء الدنيا فيخلقهن الله تبارك وتعالى خلقا جديدا، فيصبحن هن الحور العين الموعود بهن الرجال الصالحون من أزواجهن أيضا. (٦)

كما أن بروكلمان لما لجأ الى التفرقة بين الرجال والنساء في الوعد بالجنة، وقال ان الوعد بالمتاع بالجنة في الآخرة كان موجها الى الرجال دون النساء، لم يقل ان الوعيد بالعذاب لمن كذب في الآخرة للرجال دون النساء، أليست الأداة واحدة بالنسبة للوعد والوعيد مثلما قال الحق: «الذين آمنوا»، «الذين عملوا الصالحات» بالنسبة للوعد قال: «الذين كفروا والذين لا يرجون لقاء ربهم» وغير ذلك بالنسبة للوعيد، فلماذا لم يقل ان الوعيد بالنار كان موجها للرجال دون النساء، أم أنه أظهر صورة وأخفى غيرها حتى يبلغ هدفه؟

---

(١) سورة النساء آية ١٢٤.

(٢) سورة الرعد آية ٢٣.

(٣) سورة الزخرف آية ٦٩ ــ ٧٠.

(٤) سورة يس ــ آية ٥٥، ٥٦.

(٥) بروكلمان ــ تاريخ الشعوب ــ ص ٣٥ انظر النسخة المترجمة ص ٧٢.

(٦) تفسير الخازن جـ٤ ص ١١٤.

الفصل الثاني

بعض آراء (بروكلمان) في عصر الخلفاء الراشدين والرد عليها

١

و يتحدث بروكلمان عن الأحداث التي جرت في عهد خلافة أبي بكر الصديق، و يتناول حركة الردة التي تعرضت لها شبة الجزيرة فيقول:

«بيد أنه لم تلبث أن اجتاحت بلاد العرب بأكملها روح الردة ولم يكن للدوافع الدينية في ذلك دور يذكر، وانما أريد فقط التخلص من سلطة حكومة المدينة غير المريحة». (١)

ان بروكلمان لو كلف نفسه شيئاً من العناء ودرس أسباب الردة وظواهرها لوجد أن أقوى الدوافع وأخطرها، كانت متركزة على الناحية الدينية. وسنبين ذلك للقارىء فيما يأتي:

دوافع الردة

(١) الرغبة في التحلل من قوانين الدين الاسلامي والرجوع الى الأ باحية الجاهلية:

وهذا الذي عناه بروكلمان في قوله سلطة المسلمين غير المريحة، فالمرتدون عندما رغبوا في التخلص من الدين الاسلامي وقيود الشريعة الاسلامية والرجوع الى شهواتهم والى التمادى في ارتكاب المنكر وممارسة الحياة الحيوانية التي كانوا يعيشونها كل ذلك لأنهم لم يعرفوا الاسلام على حقيقته، ولم يعرفوا حقيقة الرسول ولا جوهر الدين الذي أتى به ولم يعرفوا فوائده وأهدافه. هذا كله بسبب بعدهم عن منبعه ولذلك كان ايمانهم به ضعيفا. وذلك في قوله تعالى:

«قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم، وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم، انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون». (٢)

---

(١) بروكلمان ــ تاريخ الشعوب ــ ص ٤١ انظر الترجمة العربية ص ٤٨).

(٢) سورة الحجرات ــ آية ١٤، ١٥.

فهؤلاء الأعراب الذين كان ايمانهم سطحيا صعب عليهم ترك ملاذ الدنيا وشهواتهم وسعوا جاهدين في التخلص من الدين حتى يتمتعوا و يعودوا الى ما كانوا عليه مبتعدين عن أي قانون يطبق عليهم أو يمنعهم مما يرغبون فيه. ولا يتم لهم ذلك الا بابتعادهم عن السلطة المركزية الموجودة في المدينة وانهم يعرفون تمام المعرفة أن السلطة الدينية الموجودة في المدينة هي سلطة سياسية أيضا فالسياسة والدين لا يكاد ينفصل أحدهما عن الآخر عند المسلمين فسعوا للتخلص من الناحية السياسية حتى يتمكنوا بعد ذلك من التخلص من القيود الدينية.

وهذا ما ذكره كثير من المؤرخين فقد أوجد الاسلام نظما دينية وسياسية ونظما اجتماعية وخلقية كانت هذه النظم جديدة على العرب لم يألفوها في جاهليتهم فكان من الصعب على كثير منهم أن يخضعوا لها.(١)

(٢) ردة من أجل المال ــ وهو سبب ديني أيضا:

وهذا الفريق من المرتدين فهموا ــ لجهلهم حقيقة الاسلام ــ أن الزكاة انما كانت تدفع لمحمد علامة على خضوعهم له من الناحية السياسية ولم يعرفوا حقيقتها في الاسلام وكيف انها تؤخذ من أغنيائهم لترد على فقرائهم سعيا الى تحسين الأوضاع الاجتماعية لديهم ولم يعرفوا أن الزكاة لم توزع بعيدا عنهم، لكنها توزع بين أفراد القبيلة نفسها.

وهذا ما يظهر من قول قرة بن هبيرة لعمرو بن العاص: «لا يا هذا إن العرب لا تطيب لكم نفسا بالاتاوة، فان أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع». (٢)

ولم يفهم البعض قوله تعالى «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم»(٣) وقالوا: لسنا ندفع زكاتنا الا الى من كانت صلاته سكنا لنا(٤)
وأرادوا بذلك أن الزكاة كانت محصورة على شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا خطأ فاحش.

وقد أوجدت هذه الفرقة من المرتدين حركة في المدينة، اذ قام بعض المؤمنين يقولون بعدم قتالهم وهذا كان رأي عمر رضي الله عنه أنه لا داع الى قتال مانعي الزكاة وقال لأبي بكر: علام نقاتل هؤلاء؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله الا

---

(١) الخربوطلي: علي حسن ــ الدولة العربية الاسلامية ــ ص ٦٥ القاهرة ١٩٦٠.
(٢) الطبرى جـ٣ ص ٢٥٩، ابن الأثير جـ٢ ص ٣٥٢.
(٣) سورة التوبة ــ آية ١٠٣.
(٤) ابن كثير ــ البداية والنهاية جـ٦ ص ٣١١.

الله وأن محمدا رسول الله فان قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها)؟(١) فقال أبو بكر: والله لو منعوني عناقا وفي رواية عقالا كانوا يؤدونه الى الرسول لقاتلتهم على منعها؟ وقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال.(٢) ثم قال أبو بكر لعمر: الا بحقها وحق الشهادة أداء بقية الفرائض.

وكان رأي أبي بكر هنا أن الغاء ركن من أركان الاسلام يعني هدما للاسلام فلو تساهل ــ رضي الله عنه ــ في ركن من أركان الاسلام لضاعت بقية أركانه ولتهدم بنيانه وقد استبان ذلك فيما بعد للقائلين بعدم قتال مانعي الزكاة، فقال عمر ــ رضي الله عنه ــ: فوالله ما هو الا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت أنه الحق(٣) وقال عبد الله بن مسعود: لقد قمنا بعد رسول الله مقاما ــ بالنسبة لقتال المرتدين ــ كدنا نهلك فيه لولا أن الله منَّ علينا بأبي بكر.(٤)

(٣) الخوف من سيطرة قريش:

بعدما انتقل الرسول الى جوار ربه فكر الذين لم يتمكن الايمان في قلوبهم فكرة خاطئة وهي أنه ما دام الرسول قد توفي فمن يخلفه في هذا الدين؟ واعتقدوا أن قريشا اذا وليت هذا الأمر سوف تحوله الى ملك عضود فسعوا جاهدين لكي يفوتوا هذه الفرصة على قريش و يقاسموها ملك الجزيرة ظانين أنهم بذلك سيحدون من سيطرة قريش. وخافوا ان تفرض عليهم سلطانها وتستبق بمركز السلطة بالجزيرة.

فكانوا يعتقدون أنه اذا توفي محمد وهو الشخصية النادرة في العدل، فمن المحتمل أن من سيخلفه من قريش سيحكم بهواه ويحكم هو وأهله وعشيرته فيعلو بذلك شأن قريش وتضيع سمعة قبائلهم ويحرمون هم من شرف السلطة.

(٤) الذين تنبأوا في حياة الرسول:

منهم من خشي سيطرة قريش بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسعوا الى سلبهم هذه السيطرة بطرق شتى منها أن بعضهم قد ادعى النبوة فبعد ما قضى النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ظهر الأسود العنسي باليمن ومسيلمة باليمامة وطليحة بن خويلد في بنى أسد وسجاح في بني تميم وادعى كل منهم النبوة فكانت ردة هؤلاء قبل وفاته صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الطبري جـ٢ ص ٢٤٤، ابن الأثير ــ الكامل جـ٢ ص ٣٤٤، ابن كثير جـ٦ ص ٣١١.

(٢) ابن كثير ــ البداية والنهاية ــ جـ٦ ص ٣١١.

(٣) ابن كثير ــ البداية والنهاية ــ جـ٦ ص ٣١١.

(٤) ابن الأثير ــ الكامل في التاريخ جـ٢ ص ٣٤٢.

كان هدفهم من ذلك كما ذكرنا الرغبة في السيطرة ومشاركة قريش السلطة على بلاد العرب وهذا ما يظهر في كتاب الكذاب مسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله، السلام عليك، أما بعد فأني قد اشركت في الأمر معك وان لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشا قوم يعتدون).

ثم كتب الرسول صلى الله عليه وسلم اليه جوابا: (من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين).(١)

فمن هذا يتضح أن الدافع الى ارتدادهم رغبتهم في تضييق نطاق السلطة لقريش بالنسبة للجزيرة العربية وسعيهم في مشاركتها في السيطرة.

إن هذه الدوافع لو دققنا فيها النظر لوجدنا أنها ترجع الى جهلهم بالدين فلو تمكن منهم الدين على حقيقته وعرفوا جوهره لما فكر كل فريق منهم في التخلص منه بالطريقة التي اتبعوها لارتدادهم، ولهذا أيضا سعى الرسول الى قتالهم وكبح جماح من تنبأ في عهده ـــ حتى يكون الدين لله وحده ـــ وسعى بعده أبو بكر وعلى نفس النمط في دحض مفترياتهم وكبت رغباتهم المنحرفة وارجاعهم الى الصراط الذي ارتضاه لهم ربهم ونبيهم محمد صلى الله عليه وسلم.

هذه هي حركة الردة التي يصفها بروكلمان بأنها حركة لا دخل لها في الدين بل هي مجرد حركة أراد القائمون بها التخلص من سلطة المدينة غير المريحة فلم تكن سلطة المدينة سلطة متعبة بل كانت سلطة تسعى الى خير البشرية واخراجها من ظلمات الجهل والاستعباد الى النور والعلم والحرية الحقة فظنها الجاهلون بحقيقتها سلطة تمنعهم من التصرف في حقوق صورها لهم جهلهم أنه من حقهم التصرف فيها بينما هي في الواقع تؤدي بهم الى السير في المسالك التي تؤدي بالمجتمع الى الانحطاط وتمزيق أواصره.



(١) ابن هشام جـ٤ ص١٨٣، ابن خلدون ٢ص ٥٧، الطبرى جـ٢ ص١٤٦.

٢

يذكر بروكلمان:

«وعندما ظهر خالد بن الوليد في منطقة تميم، وجد الطاعة في كل مكان تقريبا، الا أن مالكاً ابن نويرة، سيد يربوع (أحد بطون حنظلة) الذي انفصل عن المدينة عقب وفاة محمد مباشرة ظل مؤمنا بسجاح، بيد أنه عندما حاصره خالد بفصائله، عرض هو أيضا استسلامه، ومع ذلك سمح خالد بالقضاء عليه «بقتله» مع رجال آخرين وذلك لأنه اشتهى زوجته الجميلة كما يروى». (١)

إن هذه التهمة قد نقلها بروكلمان من اليعقوبي وأبي الفرج الأصفهاني، وقد قلنا سابقا إن بروكلمان أو حتى معا اذا نقل أحدهما رواية ولم يحققها تحقيقا علميا بمراجعة مصادر أخرى، فان كليهما يكون مسؤولا عن الرواية المفتراة وشريكا للمفترين.

فتهمة خالد بقتل مالك بن نويرة ونزوته على امرأته قد كثر فيها اللغط وتشعبت فيها الآراء واختلفت وتعددت الروايات. وان اختلاف الروايات وتعددها في هذه القضية من أهم الأسباب في اضعاف صحتها.

ولو استعرضنا بعض الروايات التي قيلت في موقف خالد من مالك، لوجدنا أن لكل رواية ما يدحضها و يظهر زيفها.

لما قدم خالد البطاح بعث السرايا وأمرهم بالأذان وأن يأتوه بكل من لم يجب ومن امتنع أن يقتلوه، وكان أبو بكر بقد أوصاهم أن يؤذنوا اذا نزلوا منزلا فاذا أقاموا الصلاة سألوهم عن الزكاة وإن أبوا فليقاتلوهم.

فجاءته الخيل بمالك، واختلفوا في أمر اسلام مالك ومن معه فكان أبو قتادة ممن شهد باجابتهم للأذان، ولكن بقية من كان مع أبي قتادة لم يذكروا أنهم سمعوا رد الاذان من مالك وقومه، فلما اختلفوا في أمرهم أمر بهم خالد فحبسوا في ليلة باردة فنادى منادى خالد أن (دافئوا أسراكم) وكان على الأسرى ضرار بن الأزور، وهو من كنانة، وكانت كلمة دافئوا في لغة كنانة معناها القتل، فقتلهم ضرار وسمع خالد بذلك فخرج وقال: اذا أراد الله أمرا أصابه. (٢)

---

(١) بروكلمان — تاريخ الشعوب — ص ٤٣ (أنظر النسخة المترجمة ص ٨٦).

(٢) ابن الأثير جـ٢ ص ٣٥٨، ابن كثير — البداية والنهاية جـ٦ ص ٣٢٢، ابن خلدون جـ٢ ص ٧٤، الطبرى جـ٢ ص ٢٧٨.

وكثرت الروايات في هذا الأمر حيث صارت لغطا، ليس للعقل فيه مجال وتدخل الدساسون من خلال هذا اللغط، ليضعوا في سيرة الرجل ما يشينه ويحط من قدره، ونقلها الرواة المسلمون من غير تدبر ولا تفكير.(١) فيقول اليعقوبي: «فأتاه مالك بن نويرة يناظره واتبعته امرأته فلما رآها خالد أعجبته فقال: والله لا نلت ما في مثابتك حتى أقتلك، فنظر مالكا فضرب عنقه، وتزوج امرأته». (٢)

ويذكر أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني أنه لما تنبأت «سجاح» اتبعها مالك ثم أظهر أنه مسلم، فضرب خالد عنقه فطعن عليه جماعة من الصحابة لأنه تزوج امرأة مالك بعده وقد كان يقال إنه كان يهواها في الجاهلية واتهم لذلك بأنه قتل مسلما ليتزوج امرأته من بعده.(٣)

وفي رواية أخرى يقول فيها: «إن ليلى كانت مع زوجها (مالك) وهو يناظر خالدا، فلما سمعته يقول: إني قاتلك، ووالله لأقتلنك، ألقت بنفسها على قدمي الفاتح تلتمس منه العفو وقد انسدل شعرها على كتفيها وبلل الدمع منها عينين زانهما الحور فزادهما سحرا، ونظر خالد الى وجهها البارع وهي ترنو اليه مستعطفة مسترحمة نظرة هوى واعجاب فصاح مالك: انني مقتول لا محالة وأجاب خالد: ما هذا والله انما قضى عليك كفرك، وأمر بضرب عنقه». (٤)

إن من الرواية نفسها يتضح لنا عدم اسلام مالك كما أن أمر خالد للسرية أن يأتوه بمن لم يجب لداعية الاسلام وأن مجيىء الخيل بمالك يدل على عدم اسلامه واجابته للدعوة، فلو صح اسلام مالك لذهب الى قائد المسلمين طائعا مختارا معلنا اسلامه.(٥)

كما أن زيف هذه الرواية يظهر في عدم تناسقها فلو أن قوم مالك أتوا مع المسلمين كما قال أبو قتادة لانتفى الخلاف لأنهم كانوا في الصلاة جماعة، فكيف يكون هناك خلاف وكلهم كانوا في صلاة واحدة؟ فيذكر أبو قتادة أنهم صلوا مع المسلمين ويذكر بقية الفصيلة أنهم لم يصلوا فهذا تناقض غير واضح ولا يمكن أن يقع على هذه الصورة، ولو علم الجيش بأمر أبي قتادة لما أحضروا قوم مالك الى خالد، وأيضا لما وضعهم خالد حتى يتحقق من أمر اسلامهم.

---

(١) د. شعوط ــ أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ الاسلامي ــ ص١٢٧.
(٢) اليعقوبي جـ٢ ص ١٣١.
(٣) الاصفهاني: الأغاني جـ١٤ ص ٦٤.
(٤) المصدر السابق ص ٦٦.
(٥) عرجون: خالد بن الوليد ص ١٤٦.

(موقف الصديق والفاروق من سيف الله) :

يذكر المؤرخون أنه لما وصل أبوقتادة الى أبي بكر فأخبره بمقتل مالك قال عمر لأبي بكر: ان سيف خالد فيه رهق، وأكثر عليه في ذلك فقال أبو بكر: هيه يا عمر تأول خالد فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد فأني لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين. وودى مالكا وكتب الى خالد أن يقدم عليه، ففعل. ودخل المسجد وعليه قباء وقد غرز في عمامته سهما فقام اليه عمر فنزعها وحطمها وقال له: قتلت امرأ مسلما ثم نزوت على امرأته والله لأرجمنك باحجارك !... وخالد لا يكلمه فظن أن رأى أبي بكر مثله ودخل على أبي بكر فأخبره الخبر واعتذر اليه فعذره وتجاوز عنه فخرج خالد وعمر جالس فقال: هلم اليَّ يابن أم سلمة. فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلمه. (١)

لو استعرضنا مقام الرجلين في الحفاظ على دين الله وفي اتباع سنة رسول الله والجرأة في الحق، وعدم الخشية الا من الله ــ لو استعرضنا كل ذلك ــ لوجدنا أن أبا بكر لا يمكن أن يدافع عن انسان انتهك حرمة من حرمات الله. ولا يمكن أن يفرط في حد من حدود الله مهما كانت الأحوال والظروف.

كما أن عمر يسير معه على هذا المنهج، فلا يمكن أن تأخذ واحدا منهما رأفة على جان أو مذنب ولا ينبغي أن يكون للمركز الأدبي أو الاجتماعي أثر في تقدير الجريمة أو توقيع العقوبة.

ونستطيع بعد ذلك أن ندرك أن عرض صورة الخلاف بين أبي بكر وعمر في هذا الشأن لا ينبغي أن يكون، لأن خالدا اما أن يكون بريئا في نظر الرجلين فلا تثريب عليه، واما أن يكون مسيئا فلا يصح لأبي بكر أن يلتمس له المعاذير مع وقوعه في الجريمة مهما كانت حاجة الدولة اليه ومهما كان بلاؤه.

ثم لماذا صور الرواة موقف عمر وحده ضد خالد، مع أن هذه القضية من الخطورة بحيث يكون أعلام الصحابة جميعا لهم رأي فيها؟(٢)

فالمسألة ليست هي مسألة اجتهاد في أمر مشتبه فيه، بل الاختلاف في أمر واضح صريح. ثم أن الحادث ــ قتل خالد لمالك ــ وهو مسلم، قد علم به بعض أهل السرية أو الفرقة كلهم وكلهم من الصحابة من مهاجرين وأنصار، وكان ايمانهم هو ايمان أبي قتادة فلو رأوا خطأ خالد لكان

---

(١) الطبرى جـ٢ ص ٢٨٠. ابن الأثير جـ٢ ص ٣٥٩، ابن كثير جـ٦ ص ٣٢٥.

(٢) أنظر د. شعوط ص ١٣٣.

موقفهم هو موقف أبي قتادة من انكاره للحادث، لأنهم كلهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلهم على درجة واحدة من الايمان بحيث لا يقبلون ظلما ولا جورا ولا اعتداء على مسلم بريء.

ثم ان الرواية تقول ان أبا بكر ودى مالكا فنقول نحن: اذا كان أبو بكر ودى مالكا فقط والرواية نفسها تقول ان مالكا قتل مع أصحابه اعتمادا على قول خالد (دافئوا أسراكم) فلم لم يود أبو بكر بقية أصحاب مالك وهم قتلوا على حكم واحد، ورأيهم كان على رأي سيدهم مالك فمن الواجب أن يكون حكمهم في الدية هو حكم سيدهم حتى لو اختلف مقدار الدية؟

وما الفرق في رأي عمر بين اسلام مالك واسلام أصحابه؟ فلماذا كان غضب عمر على قتل مالك؟ ولم ترو القصة أنه غضب على قتل البقية! أما كان غضبه على الجماعة أولى؟

وأبو قتادة نفسه لماذا لم ينكر على خالد الا قتله مالكا، ولم ينكر عليه قتل الجماعة، أما كان قتل الجماعة أولى بالغيرة على قتل الفرد؟

(مالك بن نويرة لم يكن مسلما):

هنا فلننظر الى رواية ابن الأثير للحديث الذي جرى بين عمر ومتمم بن نويرة أخي مالك — فيقول ابن الأثير: ولما قدم — متمم — على عمر قال له: ما بلغ بك الوجد على أخيك؟ قال: بكيته حولا حتى اسعدت عيني الذاهبة عيني الصحيحة.. الخ. فقال عمر: أنشدني بعض ما قلت فيه فأنشده مرثيته التي يقول فيها:

وكنا كندماني جذيمة حقبة — من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا — لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فقال عمر: لو كنت أقول الشعر لرثيت أخي زيدا، فقال متمم: ولا سواء يا أمير المؤمنين لو كان أخي صرع مصرع أخيك لما بكيته. فقال عمر: ما عزاني أحد بأحسن مما عزيتني به. فهذا دليل من أخيه على موته كافرا.(١)

وتزعم بعض الروايات أن عمر قال: «لئن وليت الأمر لأقيدنك به».

(١) ابن الأثير — الكامل جـ٢ ص٣٦٠.

وحقق الله أمنية عمر وولى الأمر بعد أبي بكر، فأين وعد عمر باقامة الحد؟ وأين جرأة عمر وقوة ايمانه؟ فليس هو بالذي يثنيه شيء عن اقامة حد أو اداء واجب فما دلالة هذا؟ هذا يدل على أن عمر كان مقتنعا ببراءة خالد من تهمة قتل مالك بن نويرة وهو مسلم لأنه لم يقم عليه الحد بعد أن أصبح خليفة للمسلمين.

(براءة خالد)

أما موضوع أم تميم وقصة زواج خالد بها فقد اختلفت الروايات في كيفية اتصال خالد بأم تميم أرملة مالك بن نويرة كما اختلفت في مقتل مالك. فبعض الروايات تقول أن أم تميم كانت مسلمة وقد انفصلت (١)عن مالك بمجرد ارتداده الا أنها ظلت محبوسة عنده.

وثانيه تقول بأن خالدا قد اشتراها من الفيء و بنى بها. (٢)
وأخرى تقول بأنه تركها حتى ينقضي طهرها. (٣)

فعلى كل حال قد كان زواج خالد بأم تميم زواجا شرعيا بدليل أن أم تميم بقيت مع خالد حتى رجع الى اليمامة. (٤)

أما ما قيل من أن خالداً خالف التقاليد الشرعية بزواجه من أم تميم في ميدان القتال فلعل خالدا اقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم بزواجه من السيدة صفية بنت حيى بن أخطب في غزوة خيبر.



(١) عرجون ص ١٥٥.
(٢) المرجع السابق ص١٥٧.
(٣) الطبرى جـ٣ ص٢٧٨، ابن كثير جـ٦ ص ٣٢٢، ابن الأثير جـ٢ ص ٣٥٨.

(٤) العقاد: عبقرية خالد ــ ص٩٨.

٣

و يذكر كارل بروكلمان في كتابه «تاريخ الشعوب» عن سيدنا عثمان فيقول:
«وقد يكون أصله الأرستقراطي هذا، الذي عادل عند النبي نقص كفاءته الشخصية» .(ه)

لا ندري ماذا يريد بروكلمان من هذا النص الذي كتبه حول عثمان بن عفان، فهل يريد أن يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم اختار عثمان ـــ رضي الله عنه ـــ ليكون صهره بسبب غناه وثروته ومظهره الارستقراطي، كما يقول بروكلمان، واعتبر الرسول أن ثراء عثمان يعادل نقص كفاءته الشخصية وعلى ذلك عقد معه مصاهرة على كريمتيه (رقية وأم كلثوم).؟؟

وهذه رمية من غير رام، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن ينظر في معاملة أصحابه الى شيء غير التقوى والصلة الخالصة بالمولى سبحانه وتعالى والعمل الصالح والخلق الفاضل.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم راضيا كل الرضا عن عثمان لتقواه وعمله الصالح فقال مرة: «اللهم ارض عن عثمان فاني عنه راض».

فاذا دققنا في القضية التي ذكرها بروكلمان نجد أن الدافع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في علاقته بعثمان ورضاه عنه لم يكن لشيء من أمور الدنيا.. كما أن عثمان لم تكن تنقصه الكفاءة الشخصية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعد وفاته، والا لما اختاره أهل الشورى الذين عينهم عمر لاختيار من يخلفه. فاختياره من الستة دليل واضح على أنه أكفأ الموجودين وأصلحهم لرعاية شؤون المسلمين.

فكيف يقال أن أصله الارستقراطي هو الذي عادل نقص كفاءته عند النبي صلى الله عليه وسلم ؟!

ثم يستطرد بروكلمان في نفس الصفحة فيقول:
«وليس من شك أيضا في أن أعضاء المجلس ـــ كبار الصحابة ـــ آثروا اختياره رغبة منهم في أن يروا على رأس المسلمين رجلا يستطيعون توجيهه والتعامل معه في سهولة و يسر» .(*)

أما عن المعنى الذي قصده بروكلمان من أن اختيار الصحابة لعثمان لأنه كان ضعيفا بحيث يمكن توجيهه والسيطرة عليه، فهذا قول لم يقله أحد ولم يكن له واقع في التاريخ، فان أعضاء المجلس الذي عينه الخليفة الراحل لم يكن أحد منهم يعرف من منهم سيكون الخليفة الى آخر لحظة

(ه) بروكلمان ص ٥٧ ـــ أنظر النسخة المترجمة ص ١١٠.

(ه) بروكلمان ـــ المصدر السابق .

وهذا ما يظهر من قصة الشورى، وسأوردها حتى يتضح الأمر أكثر وهي أن عمر دعا عليا وسعدا وعثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير، فقال لهم: إني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم، لا يكون هذا الأمر إلا فيكم وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راضٍ.

فان أعضاء مجلس الشورى الذين اختارهم أمير المؤمنين ورأى أنهم أفضل القوم ممن بقى من الذين ذهب الرسول وهو عنهم راض، هؤلاء الستة، رأى فيهم عمر أنهم هم أفضل القوم وهم الذين يخافون ربهم، يتقونه حق تقاته، ولم يكن لهم منهج يسيرون عليه سوى منهج الرسول صلى الله عليه وسلم. ثم أمرهم أن يتشاوروا ثلاثة أيام ولا يأتي اليوم الرابع الا وعليهم أمير منهم، وبناء على رغبة أمير المؤمنين عمر في سرعة البت في هذه القضية أخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه من هذا الأمر على أن يكون حكما يختار من يراه أقوى وأصلح لولاية أمر المسلمين. وعرض أعضاء مجلس الشورى على عبد الرحمن بن عوف وأخذوا منه ميثاقه على أن يؤثر الحق ولا يتبع الهوى ولا يخص ذا رحم ولا يألو الأمة نصحا.

كما أعطوه مواثيقهم على أن يكونوا معه على من يبدل أو يغير وأن يرضوا على من يقع اختياره عليه.

وبذل عبد الرحمن بن عوف جهده في التحرى عن الأصلح والأقوى لحمل مسؤولية الخلافة، وانحصرت الآراء كلها في رجلين من الستة هما عثمان وعلى بن أبي طالب، فأصبح موقف عبد الرحمن بن عوف دقيقا جدا في تفضيل أحد هذين الرجلين على الآخر.

فدعا عليا وقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده. قال: أرجو أن أفعل فأعمل بمبلغ علمي وطاقتي، ودعا عثمان فقال له مثلما قال لعلي فقال: نعم نعمل. فرفع رأسه الى سقف المسجد و يده في يد عثمان، فقال: اللهم اسمع واشهد اللهم أني قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، فبايعه.(١)

فمن سياق هذه الأحاديث تبين أن اختيار عثمان خليفة للمسلمين لم يكن الا لأنه أقوى وأصلح من يتحمل المسؤولية أمام الله وأمام المسلمين.

وهنا تسقط دعوى بروكلمان من أولها الى آخرها لعدم وجود سند يعتمد عليه فيما يزعم.



---

(١) أنظر الطبرى جـ٤ ص٢٣٨، ابن الأثير جـ٣ ص٦٥ــ٧٦، ابن كثير جـ٧ ص١٤٤ــ١٤٧.

الفصل الثالث

بعض آراء (بروكلمان) في عصر بني أمية وبني العباس والرد عليها

١

و يتعرض بروكلمان لسيرة الصحابي الجليل المغيرة بن شعبة فيصفه بأوصاف تشبه السباب فيقول عنه:

«وهو رجل انتهازي لا ذمة له، ولا زمام، اضطر في شبابه الى أن يغادر مسقط رأسه الطائف بسبب جريمة قتل، حتى اذا كا نت سنة ٦٢٩م وفد على محمد في المدينة ثم انه حطم آلهة البلدة بأمر من الرسول وأظهر من التقوى ما جعله في جملة الأرستقراطية الاسلامية الجديدة».

ثم يعود فيستطرد و يقول:

«وقد عينه عمر بن الخطاب على البحرين ثم البصرة الا أنه عزله من منصبه من سوء السيرة الأخلاقية ــ الزنا ــ». (*)

دائما نقف مع بروكلمان أمام كل رواية خاطئة وكل فرية ذكرها المغرضون في الاسلام لنقول: إنه كان ينبغي على بروكلمان أن يتحقق من صحة الاكذوبة التي ينقلها عن بعض المراجع العربية وليس لها من القوة ما يقف أمام النقد العلمي، فقد نقل في كتابه عن المغيرة بن شعبة أنه رجل انتهازي لا ذمة له ولا زمام وأخذ عليه أنه ارتكب جريمة قتل قبل اسلامه.

ثم ذكر أنه اظهر من التقوى ما جعله من الصفوة المختارة عند الرسول صلى الله عليه وسلم. فلو كان بروكلمان صاحب نية حسنة أو باحثاً أكاديمياً لعلم أن في جميع هذه الرواية أمورا لا ينبغي تسجيلها في صحيفة أحد الصحابة، وكان يجب أن يعرف أن سيرة الصحابة في جاهليتهم لا يقام لها

(*) بروكلمان ــ ص ٦٤ ــ ٦٥ ــ انظر الترجمة العربية ص ١٢١.

وزن بعد اسلامهم، فقد أصبح المغيرة بن شعبة بعد اسلامه موضع ثقة الرسول عليه الصلاة والسلام ثم صحابته من بعده فولاه عمر البحرين ثم البصرة ثم الكوفة(١) وأقره على ذلك عثمان من بعده ثم معاوية.(٢)

ثم هو فوق هذا كله يحمل شهادة من القرآن الكريم بأنه من الذين رضي الله عنهم في قوله تعالى «لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة»(٣) فهو ممن حضر بيعة الرضوان في الحديبية وكان له موقف مع عروة بن مسعود الثقفي الذي كان يتناول لحية الرسول عليه الصلاة والسلام أثناء حديثه فيقرع المغيرة يد عروة و يقول له: أكفف يدك من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم.(٤)

فاذا كان القرآن قد ذكره في بيعة الرضوان فمعنى ذلك أنه كان من الصفوة المختارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن كما قال بروكلمان انه انتهازي لا ذمة له ولا زمام.

ونحن نذكر بعض مواقف المغيرة من الاسلام في بعض المراجع العربية مما يدحض زعم بروكلمان ويجعلنا لا نقيم وزنا لما يذكره خصوم الاسلام.

فالمغيرة بن شعبة شهد اليمامة وفتوح الشام وذهبت عينه باليرموك وشهد القادسية وفتح نهاوند وهمدان.(٥)

واعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان(٦) وآثر البعد عن الخوض فيها و يصفه بروكلمان بأنه لا ذمة له ولا زمام.

أما اتهام المغيرة بن شعبة بأن سبب عزله عن البصرة لسوء سيرته الأخلاقية فهي تهمة لا نصيب لها من الحقيقة و يكفي لنفيها وكشف زيفها تولية عمر له على الكوفة بعد البصرة فلو صحت هذه التهمة عند عمر لما جدد له العهد برعاية أمور المسلمين حين يوليه على مصر مثل الكوفة ثم كيف يتطرق الشك الى صحابي مثل المغيرة وهو من رواة الحديث الذين لا يتطرق الشك اليهم؟(٧)

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٢ ص٢٠، ابن الأثير أسد الغابة جـ٥ ص٢٤٨.

(٢) ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب جـ١٠ ص٢٦٢.

(٣) سورة الفتح آية ١٨.

(٤) ابن هشام جـ٣ ص٢٠٠، الطبري: التاريخ جـ٢ ص٦٢٧، ابن الأثير ـ الكامل جـ٢ ص٢٠١، ابن كثير جـ٤ ص١٦٧.

(٥) ابن الأثير ـ أسد الغابة جـ٥ ص٢٤٨، تهذيب التهذيب جـ١٠ ص٢٦٢.

(٦) المصدران السابقان.

(٧) ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب جـ١٠ ص٢٦٢.

٢

و يتطرق بروكلمان لشخصية عبد الله بن عباس أثناء حديثه عن قيام الدولة الأمو ية، قال:

«وكان عبد الله بن عباس قد استولى قبل ذلك على ما في بيت مال البصرة وانضم الى صفوف معاو ية». (*)

نعود فنقول: إن بروكلمان وأمثاله يدسون أنوفهم في كتب التاريخ و يبحثون عن الروايات الهزيلة التي رواها المغرضون. ثم يعرضونها على الناس لينتقصوا بها من قدر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان المفروض أن مثل بروكلمان يعرض هذه القضية على موازين التحقيق العلمي و يفحص رواة القصة قبل أن يصدر حكمه عليها، فقصة عبد الله بن عباس وما قيل عنه من أنه أخذ ما في بيت مال البصرة لم نجد لهذه الرواية سوى نقلها عن أبي الأسود الدؤلي في كتب التاريخ الأولى التي تعتمد على نقل الخبر دون فحص أو تدقيق كما أنها وجدت في بعض كتب الأدب مثل «العقد الفريد». (١)

وقد ذكرت سابقا بعدم وجوب قبولنا هذه الأخبار التي اختصت بها كتب الأدب ونقلتها كتب التاريخ من غير تحقيق. بل يجب علينا أن نضعها تحت مجهر الحقيقة والواقع وننظر اليها بمنظار عصرها الذى جرت فيه ونقدمها بذلك لمجال الجرح والتعديل.

ولا ينبغي علينا أن نأخذ بها كما نقلها المغرضون وروجوا لها وحاولوا الباسها ثوب الحقيقة هادفين بذلك الاساءة الى الاسلام ورجاله. فرواية استيلاء ابن عباس على مال البصرة هي من ضمن هذه الروايات المختلقة في كتب الأدب والتاريخ فحاول زعماء الاستشراق اصطيادها وعرضها على الملأ بالصورة التي يرغبون.

فلو أبعدنا شخصية عبد الله بن عباس عن واقعها الحقيقي من حيث ايمانه وعلمه ونسبه وصحبته ونظرنا الى القضية نظرة مدقق دون اعتبار لأى ناحية من نواحي شخصيته رضي الله عنه لظهرت لنا الحقيقة.

فالذين ذكروا القصة يتفقون على رأى واحد وهو أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قد مر على أبي الأسود الدؤلي وكان على بيت مال البصرة وقال له: لو كنت من البهائم لكنت جملا، ولو كنت راعيا لما بلغت المرعى. فكتب أبو الأسود الى علي أن ابن عمك أكل ما تحت يديه بغير

(*) بروكلمان ص ٦٤ — أنظر الترجمة العربية ص ١٢١.

(١) ابن عبد ربه — العقد الفريد جـ٥ ص ١٠١.

علمك(١) و يتفقون أيضا على أن المكاتبة لم تحصل الا فور المشاحنة التي حصلت بين ابن عباس وأبي الأسود.

والظاهر من الرواية أن ابن عباس قد مر بأبي الأسود ووبخه على أمر ما، فأساء ذلك الى أبي الأسود فحاول الانتقام لنفسه فما كان منه الا أن سلك هذا المسلك، ذلك لأن الرواية لم تذكر أى حديث قد دار بين ابن عباس وأبي الأسود. حول المال أو بيت المال. ومعنى ذلك أنه لو صحت هذه الرواية، ولم تحدث المغاضبة ما كتب أبو الأسود مثل ما كتب.(٢)

ثم تقول الرواية انه قد جرت هناك عدة مراسلات بين علي بن أبي طالب من جهة، و بين ابن عباس وأبي الأسود من جهة أخرى يظهر منها اقتناع الامام علي برأى أبي الأسود، واصراره على ابن عمه بارجاع المال أو تبيان مقدار المبلغ ووجه انفاقه.(٣)

ولو نظرنا الى هذه الناحية من القضية فهل من المعقول أن علياً بن أبي طالب يتهم ابن عمه العباس باختلاس بيت مال المسلمين بمجرد وصول الخبر اليه من أبي الأسود؟ ولنفترض أن الخبر من أبي الأسود قد وصله بالتأكيد لم لم يقم سيدنا علي بتحري القضية والاستفسار عن مدى صحتها؟ وهذا مالم تذكره كتب التاريخ هل كان أبو الأسود مصدقا عند علي أكثر من ابن عباس لدرجة أنه بمجرد أن يصله الخبر يبادر بارسال كتاب لابن عمه يطالبه باحضار المال.

كما أن بروكلمان يقول: «ان ابن عباس قد انضم الى معاو ية وترك عليا.» ولسنا نعرف من أين أتى بروكلمان بهذه القضية فلم أجد لها صحيح سند في كتب التاريخ وكل ما ورد في هذا الصدد هو أن ابن عباس هدد عليا بالانضمام الى معاو ية وهذا ما ذكره ابن عبد ربه في كتابه الأدبي «العقد الفريد» حيث قال: «والله لئن لم تدعني من أساطيرك لأحملنه الى معاو ية يقاتلك به فكف عنه علي». (٤)

أما الانضمام الفعلي الى معاو ية الذي يزعمه بروكلمان فليس له من الحقيقة نصيب.

ولو استوعب بروكلمان كل ما قيل في ترك ابن عباس البصرة لوجد ما يدحض زعمه، فالكل متفق على أن ابن عباس قد خرج من البصرة الى مكة ولم يلحق بمعاو ية في الشام(٥)

كما أن هناك عدة روايات تنفي هذه القصة المختلقة. فيروي ابن الأثير أن ابن عباس لم يزل عاملا على البصرة لعلي حتى قتل علي.(٦)

---

(١) الطبرى جـ٥ ص١٤١، بن الأثير جـ٣ ص٣٨٦، ابن خلدون جـ٢ ص١٨٢.

(٢) د. شعوط: ــ أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ الاسلامي ص٢١٢.

(٣) الطبرى جـ٥ ص١٤٢، ابن الأثير جـ٣ ص٣٨٦.

(٤) ابن عبد ربه ــ جـ٥ ص١٠١.

(٥) الطبرى جـ٥ ص١٤٢، الكامل لابن الأثير جـ٣ ص٣٨٧، ابن كثير ــ البداية والنهاية ــ جـ٧ ص٣٢٢، ابن خلدون جـ٢ ص١٨٥.

(٦) ابن الأثير جـ٣ ص٣٨٦.

و يـذكر في رواية أخرى أن ابن عباس كان على مقدمة الجيش الذي أظهره الحسن لأخذ البيعة من معاو ية (١). و يروي السيوطي في بقية الدعاة أن ابن عباس هو الذي استخلف أبا الأسود على البصرة عند شخوصه الى الحجاز فظل فيها حتى قتل علي. (٢)

و يروى ابـن خـلـكـان أن ابن عباس هو الذي استخلف أبا الأسود على البصرة عند سفره الى الحجاز ولم يذكر قصة الاختلاس(٣) كما أن بعض المراجع لم تورد هذه القضية مثل ابن حجر(٤) و ابن الأثير(٥) فاختلاف الروايات دليل على عدم التأكد من الموضوع ذاته ولكن ينبغي علينا أن نأخذ بالأقرب للواقع والمنطق والمطابق لواقع العصر والشخصية ذاتها.

و بعد هذا يتضح لنا عدم صحة فرية الاختلاس وفرية الانضمام الى معاو ية.

ثم لو نظرنا الى الشخصيات التي تدور حولها هذه الفرية لبدا الأمر أكثر وضوحا. فشخصية ابن عباس ومكانتها من ناحية التقوى والعلم والنسب وهذا ما سأذكره فيما بعد، كانت على نقيض شخصية أبي الأسود الدؤلي المشكوك في سلامتها(٦).

كـان أبـو الأسـود معروفا بالبخل، وكان يقول: «لو أطعمنا المساكين في أموالنا كنا أسوأ حالا منـهم» وقال لبنيه: «لا تجاودوا الله عز وجل، فانه أجود وجوده لو شاء أن يوسع على الناس كلهم لفعل، فلا تجهدوا أنفسكم في التوسع فتهلكوا هزالا». (٧)

إنـه اذا كـان هذا القول صحيحا من أبي الأسود فقد سقطت شهادته فلا تقبل على عبد الله ابن عباس لأن أبا الأسود بناء على هذه الرواية صارح وجاهر بأمر كان يجاهر به الكفار والمشركون حين كانوا يقولون: «أنطعم من لو يشاء الله أطعمه؟» (٨)

ثم يعود بروكلمان و يتطرق لابن عباس أثناء حديثه عن ظهور الدولة العباسية:
«وكان جدهم عبد الله بن عباس وهو ابن عم الرسول، واذ لم يجد سبيلا الى تمثيل دور سياسي ما فقد صرف همته الى الحديث يدرسه و يتزود فيه بالخيال الطياش والاستمداد من القصص التلمودى الذي قر به اليه نفر من اليهود الداخلين في الاسلام». (*)

---

(١) ابن الأثير جـ٣ ص٤٠٤.
(٢) السيوطي: ــ بقية الدعاة جـ١ ص٤٥٨ ــ القاهرة ١٣٨٤.
(٣) ابن خلكان: ــ وفيات الأعيان جـ٢ ص٥٣٨ ــ بيروت دار صادر
(٤) تهذيب التهذيب.
(٥) أسد الغابة.
(٦) د. شعوط ــ أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ الاسلامي ص٢١٢.
(٧) ابن خلكان ــ وفيات الأعيان جـ٢ ص٢١٨.
(٨) د. شعوط ــ ص٢١٣.
(*) بروكلمان ص٩٣ (أنظر الترجمة العربية ص١٦٦).

حقا ان ابن عباس لم يمثل دورا سياسيا في الدولة الاسلامية سوى ولاية البصرة في خلافة علي ابن أبي طالب الذي ما لبث أن توفى الامام علي حتى ترك ابن عباس البصرة واختار الاقامة في مكة بمحض ارادته كما تقدم.

وما نعرف عن ابن عباس أنه في يوم من الأ يام قد سعى لنيل مركز سياسي فسدت في وجهه السبل، كما يزعم بروكلمان، بل أن هناك مواقف عدة توضح تجنب ابن عباس عن هذه المواقف ورغبته في عدم السعي لطلب أى دور سياسي. وها هو ذا ابن عباس يقول لمعاو ية بعد ما أخذ البيعة من أهل المدينة لابنه يزيد: «يا معاو ية اني لخليق أن أنحاز الى بعض السواحل، فأقيم به ثم انطلق بما تعلم حتى أدع الناس كلهم خوارج».([1])

إن هذا افتراء وكذب ورمى ابن عباس بأنه يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخترع أحاديث من محض خياله أو يتأثر بقصص التلمود وما وضعه اليهود في كتبهم من الكذب والافتراء فأى رمية هذه التي رمى بها بروكلمان هذا الصحابي الجليل حبر الأمة وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدق من روى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

فقد شهد له أهل العلم من الصحابة بصدق ما يروى، وتحريه دائما وجه الصواب بحيث أطلق عليه علماء الحديث أنه من الرواة المحدثين المتخصصين في رواية الحديث، واعتبروه في الدرجة الأولى من الرواة والمحدثين مع أبي هريرة وابن عمر وأنس بن مالك وعائشة وابن مسعود رضي الله عنهم وهؤلاء جميعا لا يتطرق الشك اليهم في حسن تقديرهم لابن عباس. ومرو يات ابن عباس المسجلة في الكتب الصحاح قد بلغ عددها (١٦٦٠) حديثا.([2])

فهذا ابن عباس وفي مقدوره أن يفعل ما يفعل ولكن لا يريد من هذا الأمر شيئا، وها هو ذا معاو ية عند وفاته يوصي ابنه يزيد فيقول: «واني لست أخاف عليك أن ينازعك هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش: الحسن بن علي، وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر».([3])

ولم نر من ضمن هؤلاء الأ ربعة أنه قد ذكر ابن عباس، فقد كان معاو ية عارفا تمام المعرفة من ناحية ابن عباس بأنه لا رغبة له في الأمر، بل كل همه العلم والتحصيل والبعد عن ذلك الدرب.

و يروي ابن الأثير أيضا أن ابن عمر كان هو وابن عباس بمكة فعادا الى المدينة فلقيهما الحسين وابن الزبير فسألاهما: ما وراءكما؟ فقالا: موت معاو ية و بيعة يزيد. فقال ابن عمر: لا تفرقا

---

(١) بن الأثير جـ٣ ص٥١٠.

(٢) أبو زهو ــ الحديث والمحدثون ص١٤٠.

(٣) ابن الأثير ــ جـ٤ ص٦. الطبري جـ٥ صفحة ٣٢٢.

جماعة المسلمين، وقدم هو وابن عباس المدينة فلما بايع الناس بايعا.(١)

يعني أن ابن عباس لم يعارض ولم يمانع ولم يدع لنفسه ما لغيره من أمور الخلافة فابن عباس كان رجلا زاهدا في هذا المجال من الحياة لم يسع لطلبه ولم يسع لتسهيل سبله حتى يصل اليه.

فلو كان بروكلمان قد اكتفى في رمي ابن عباس بالكذب والاعتماد على الخيال فيما يرو يه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاكتفينا بهذا الرد، وانما أضاف الى هذه التهمة تهمة أخرى وهي أنه اعتمد على قصص التلمود وعلى ما أملاه عليه نفر من اليهود الداخلين في الاسلام.

ونحن ازاء هذه التهمة لا بد لنا من الرد على بروكلمان لأن ما رواه ابن عباس من أحاديث كان كله في فضل العلم والحث على طلبه والسعي في الحصول عليه والعمل من أجل الآخرة. هذه المعاني كلها لم تكن معروفة لليهود قبل الاسلام كما أنها لم توجد في كتب التلمود الموجودة بين أيديهم، فكيف يذكر بروكلمان أن ابن عباس تزود من القصص التلمودي فيما روى من أحاديث؟ ولم يضع ابن عباس من الأحاديث التي تبين أحقيته في الخلافة كبعض زعماء الشيعة مثلا.

ومع هذا فاننا لو نظرنا الى نشأة ابن عباس وتربيته في صغره وملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحب رسول الله له لوجدنا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على مدى صدق ابن عباس فيما يرويه عن الرسول الكريم، فقد دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم في عدة مناسبات. عن ابن عباس قال: «ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب».(٢)

وقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم آته الحكمة اللهم بارك فيه وانشر منه»(٣) وقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم أعطه الحكمة وعلمه التأويل اللهم أحش جوفه حكما وعلما».(٤)

وقد بلغ ابن عباس من صغر سنه مركزا مرموقا بين كبار الصحابة، فقد كان عمر يدخله مع أشياخ بدر في مجلسه، وكان عمر على مهارته وحذقه واجتهاده لله والمسلمين كان اذا جاءته قضية معضلة قال لابن عباس انها قد طرأت علينا قضية عطل، فأنت لها ولأمثالها ويأخذ بقوله.(٥)

كما يروى ابن عبد البر أن عمر كان يسحبه ويدنيه ويقربه ويتشاور مع أهله من الصحابة ويقول عنه إن ابن عباس من الكهول له لسان قؤول وقلب عقول.(٦)

---

(١) ابن الأثير جـ٤ ص١٧.
(٢) ابن ماجة.
(٣) حلية الأولياء جـ١ ص٣١٥.
(٤) حلية الأولياء جـ١ ص٣١٦.
(٥) [illegible] ص١٤٠.
(٦) الاستيعاب جـ٣ ص٩٣٥.

و يـروى أيـضـا عن مسروق أنه قال فيه: «ترجمان القرآن ابن عباس لو أدرك اسناننا ما عاشره منا رجل». (١)

وقـال الـقـاسـم بـن محـمـد: «مـا رأيت في مجلس ابن عباس باطلا قط وما سمعت فتوى أشبه بالسنة من فتواه». (٢)

وعـن عـائشة رضي الله عنها سألت من استعمل على الموسم العام؟ قالوا: ابن عباس ــ قالت: هو أعلم الناس بالحج. (٣)

كـان عـطاء اذا حـدث عـنـه قـال: حـدثني البحر، وابن مهران، اذا ذكر عنده ابن عمر وابن عباس قال: كان ابن عباس أفقههما. (٤)

وقـال ابـن عـمـر: انـه قـد آثر علما، وقال: لقد رأيت من ابن عباس مجلسا، لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخرا. (٥)

هذا هو ابن عباس في رأي الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

والخلاصة أن ابن عباس لم يستعمل خياله الطياش، ولم يستمد من القصص التلمودي الذي قـربـه اليه نفر من اليهود كما يقول بروكلمان، لأن ابن عباس أولا: قد عرف عنه التحرى في أخذ الـرواية من أصلها، فقد وردت عدة روايات تبين مدى تحرى ابن عباس في أخذ الرواية من أصلها، فـيـروى ابـن الأثير عـن عـبد الله بن أبي رافع قال: كان ابن عباس يأتي الى رافع فيقول: ما صنع النبي صلى الله عليه وسلم يوم كذا؟ ومع ابن عباس من يكتب ما يقول. (٦)

وثـانيا: ان تحرى ابن عباس في روايته لم يجعله يثق بالاسرائيليات ولا بما نقله اليهود في كتبهم لأنه كان دائما يتحرى عن سند كل رواية تصل اليه.

و يـروى الـدارمـي في مـسنده عن ابن عباس أنه كان يأتي باب أحد الأنصار وهو قائل يقول: «فأتوسد ردائي على بابه يسفى الريح عليّ بالتراب فيخرج فيراني: فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ هلا أرسلت اليَّ فآتيك فأقول: لا .. أنا أحق أن آتيك فأسألك عن الحديث». (٧)

---

(١) الاستيعاب جـ٣ ص ٩٣٥.
(٢) الاستيعاب جـ٣ ص ٩٣٦.
(٣) الشيرازي: طبقات الفقهاء ص ١٨ ــ بغداد ١٣٥٦.
(٤) المصدر السابق.
(٥) حلية الأولياء جـ٢ ص ٣٢٠.
(٦) الاصابة جـ٢ ص ٣٢٠. أبو زهو ص ١٣٩.
(٧) أبو زهو ص ١٥٠.

٣

كما خاض بروكلمان بالنسبة للعصر العباسي في مسألة الزواج المزعوم بين العباسة وجعفر البرمكي فقال:

«وتعزو الروايات سبب الخلاف الأخير بين هارون الرشيد وجعفر البرمكي الى حادثة غرامية محصلها أن الخليفة عقد لجعفر على أخته العباسة عقدا صوريا حتى يكون في ميسوره أن يأنس بالاجتماع بهما في وقت معا، ولكن جعفراً أساء اصطناع هذه الحرية التي تمت له». (*)

ثم زعم: «ان الذين دخلوا حديثا في الاسلام في العصر العباسي لم يرتاحوا ارتياحا كليا لشعائره الصارمة». (١)

ولكنني لم أقم بالرد على بروكلمان في هذه النقاط خشية التكرار فقد تعرض لها فيليب حتي من قبل ورددت عليه.



(*) بروكلمان ــ ص ١٨٧.

(١) المرجع السابق ص ١٨٣.

القسم الثالث

أ

مقارنة بين طريقة كل من المؤلفين في تصوير هذه الآراء والافتراءات وتبريرها

وما دمنا بصدد المقارنة بين طريقة (حتي) وطريقة (بروكلمان) في ذكر المفتريات على التاريخ الاسلامي:

فاننا نذكر:

أولا: القضايا التي اتفقا على ذكرها، وقد أخذت في ذلك أن أذكرها من أحدهما ولم أتعرض للآخر مطلقا خشية التكرار.

ثانيا: القضايا التي انفرد بها فيليب حتي.

ثالثا: القضايا التي انفرد بها كارل بروكلمان.

أولا ــ القضايا التي اتفقا على ذكرها

١) سبب خروج السيدة عائشة في معركة الجمل:

فكلاهما قد ذكر أن السيدة عائشة قد خرجت في هذه المعركة لتشفى ما بصدرها من حقد على علي بن أبي طالب بسبب ما قيل ان عليا ذكره عنها في حادث الافك.

ونلاحظ أن كلا المؤلفين يذكر هذه الفرية معتمداً على وجودها في المراجع العربية وخاصة في كتب التاريخ القديمة مثل الطبري وابن الأثير وغيرهما.

حقا، لقد وردت هذه الرواية في كتب التاريخ القديمة، ولكن لم توجد وحدها بل وجدت كرواية من ضمن عدة روايات تذكر سبب خروج السيدة عائشة، فمن ضمن هذه الروايات أن السيدة عائشة لم تخرج الا للصلح، وقد أقيمت الأدلة من المراجع الموثوق بها والأدلة العقلية المتفقة مع المنطق على أن خروجها كان للصلح، فكلاهما لا يأخذ الا بالرواية التي تشين السيدة عائشة و يتجاهل الخبر الصحيح الذي يتفق مع أخلاق أمهات المؤمنين وعلى رأسهم السيدة عائشة.

فنلاحظ في هذه النقطة مدى سوء النية فيما كتبه هذان الرجلان.

٢) اتهام الحسن بن علي بأنه قد تنازل عن الخلافة مقابل رشوة قدمها له معاوية.

٣) اتهام عبد الملك بن مروان ببناء بيت المقدس لتحويل الحجاج اليه.

٤) مسألة العباسة وجعفر البرمكي.

وقد أقمنا الأدلة على فساد ما ذهبا اليه وكشفنا سوء نيتهما وعداوتهما للاسلام، وقلنا إن مجرد وجود هذه الأخبار في كتب الأدب لا يدل على صحتها لضعف سندها وسوء نية رواتها، وقد وجد بجانبها روايات صحيحة تتفق مع أخلاق الصحابة والتابعين، فكانت الأمانة التاريخية والتحقيق العلمي يقتضيان أن يراجع كل من فيليب حتى وكارل بروكلمان جميع الروايات التي وردت في هذا الموضوع في كتب المسلمين ليتبين الحق أمامهما دون أن يتورطا فيما وقعا فيه من الخطأ.

ولكن (حتي) كما قلنا نراه ينتقي أبشع الروايات و يثبتها في كتابه، و يدعمها بما ورد في الكتب العربية ليستدل بذلك على صحة وجهة نظره، يشوه بعض الحقائق التاريخية في تاريخ المسلمين، و يتلمس الأسباب الواهية ليتخذها حجة على سلامة رأيه في تغيير معالم التاريخ الاسلامي، و يتخذ من الروايات المكذوبة في كتب التاريخ الاسلامي قضية مسلمة يبني عليها آراءه، وكان الأجدر به أن يعرض الروايات التي اعتمد عليها على معايير البحث العلمي الحديث ليبين عدم صلاحيتها قبل أن ينشرها على الناس.

أما (بروكلمان) فقد اعتمد في كتاباته على أمثاله من المستشرقين، فهو لم يعتمد على الكتب العربية لاعتقاده بعدم صلاحيتها حيث قال في مقدمة كتابه: «انها لم تخضع بعد للتحليل

النقدي»([1])، واكتفى بالكتب الحديثة التي أشار اليها مثل: ولهاوزن، كيتاني، باتولد، ومينورسكي، ممن نقلوا هذه الأخبار من غير تمحيص علمي أو تحقيق تاريخي.

كما أنه يدعي أنه يلتزم في كتاباته طريقة البحث العلمي الحديث، فلم لم يرجع الى الأصل ليطلع على الروايات المختلفة ثم ينتقي الأفضل والأقرب للصواب لواقع العصر؟

٥) اتهام بعض خلفاء بني أمية وبني العباس بالمجون:

وفي هذه الافتراءات نجد بروكلمان لا يرجع فيها لمرجع موثوق به من كتب العرب، وانما أخذها عن المستشرقين واعتبرها حقيقة ثابتة، دون أن يستعمل هو معياره العلمي وأصول البحث الحديث.

أما (حتي) ــ بسوء نيته ومكره ــ يحاول ايهام القارىء العربي بحقيقة هذه الافتراءات لكونها قد وردت في الكتب العربية، فهو عند ذكره هذه الافتراءات على الشخصيات الاسلامية يحاول أن يدعم رأيه بكتب الأدب العربي مثل: كتاب الأغاني لابي الفرج الأصفهاني وكتاب التاج في أخلاق الملوك للجاحظ، وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، وهذه المراجع حذرنا منها فيليب حتي نفسه، فلماذا يعتمد عليها فيما ذكره الا إن كان يريد أن ينشر البلبلة والشك في التاريخ الاسلامي؟

٦) جعل الناحية الاقتصادية هي الدافع الأساسي للفتوحات الاسلامية:

نرى بروكلمان في هذه القضية لم يغير في أسلوبه، فهو قد اعتمد على من سبقه من المستشرقين الذين حاولوا أن يجدوا دوافع حقيقية للفتح ويجردوه من حقيقته التي قام عليها، فهو ينقل عنهم دون تحقيق.

أما «حتي» فسار مع بروكلمان في أن المسلمين كانوا يقصدون من الفتح البحث عن أماكن خصبة ليرفعوا من مستوى معيشتهم، ولم يكونوا يقصدون نشر الدعوة الاسلامية، الا أن «حتي» أراد أن يدعم رأيه في هذا الموضوع بالرجوع الى الكتب العربية، لكنه لم يكن أمينا في الاستشهاد بالآيات القرآنية ولا بالروايات التاريخية.

فلما أراد أن يبرهن على صدق دعواه في أن المسلمين اتخذوا من الفتح وسيلة للحصول على أموال من البلاد المفتوحة في صورة الجزية التي يدفعها الذميون، فذكر بعض آية من القرآن الكريم ليستدل بها على صدق دعواه، فلو كان أمينا لذكر الآية كاملة حتى يعلم الحكمة التي من أجلها

---

(١) كارل بروكلمان ــ تاريخ الشعوب ــ مقدمة الكتاب ص٨.

فرضت الجزية على أهل الكتاب، فهذه الآية هي قوله تعالى «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»(١)

ولكنه اختصرها وقال (قاتلوا.... من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون).

فأى بلاهة وأى سخرية من «فيليب حتي» حين يتلاعب بآيات القرآن الكريم و يطوعها ليعزز بها رأيه.

ونراه أيضا في مرة أخرى يرجع أسباب الفتح لعوامل اقتصادية، و يرجع لنص يبتر منه الجزء الذي يوضح أهداف الفتح، فينقل من كتاب «فتوح البلدان» للبلاذري أن رستم قائد الفرس قال للمغيرة بن شعبة مندوب قائد المسلمين: (قد علمت أنه لم يحملكم على ما أنتم فيه الا ضيق المعاش وشدة الجهد ونحن نعطيكم ما تشبعون به ونصرفكم ببعض ما تحبون) نقل الى هنا فقط ولم ينقل بقية الخبر وفيه جواب المغيرة لرستم حيث يقول: (ان الله بعث الينا نبيه صلى الله عليه وسلم فسعدنا باجابته وأمرنا بجهاد من خالف ديننا (حتي يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ونحن ندعوك الى عبادة الله وحده والايمان بنبيه صلى الله عليه وسلم فان فعلت والا فالسيف بيننا و بينكم).(٢)



(١) سورة التوبة ــ آية ٢٩.

(٢) البلاذري ــ فتوح البلدان ص ٢٥٧.

ثانيا ــ القضايات التي انفرد بها فيليب حتي

١) سبب زواجه صلى الله عليه وسلم بالسيدة زينب بنت جحش وانه بدافع الحب. وقد اعتمد فيليب حتي في هذه القضية على الاسرائيليات التي وردت في بعض كتب التفسير ودست على أصحابها، ولم يرجع الى القرآن الكريم الذي يفند هذه الروايات ويمنع من قبولها، فلو فهم (حتي) مدلول قوله تعالى «ولما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا».

لو اطلع «فيليب حتي» على هذه الآية لما وقع فيما وقع فيه من الخطأ ولما سقط هذه السقطة كما سقط فيها غيره من الذين لا يعقلون.

٢) زعمه أن خلافة ابي بكر كانت نتيجة اتفاق ثلاثي بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة. وهذه الفرية لم يذكرها أحد من المؤرخين المسلمين، وانما الذي ذكرها هم بعض المستشرقين، وهي فكرة تافهة لأنه لا يوجد دليل ولا شبه دليل على وجود هذه المؤامرة لعدة أسباب قد بينتها في ردنا على (حتي) عندما ذكر هذه الفرية.

٣) جلافة العرب قبل الاسلام: لقد اعتمد في هذه الفرية على ما قرأه في مقدمة ابن خلدون عن طبيعة عرب أهل الحجاز، ولم يعرف «فيليب حتي» ما الذي يقصده ابن خلدون من هذه الرواية، هل يقصد أن يتحدث عن عرب الحجاز بهذه الصورة في جميع العصور الاسلامية؟ أم ان ابن خلدون يتحدث عن عرب الحجاز المعاصرين له؟.

٤) تحويل معاوية الخلافة إلى ملك: في هذه النقطة أيضا نرى (حتي) يرجع لمقدمة ابن خلدون، الا أنه لا ينقل بأمانة وصدق، فهو عندما يريد أن يدعم رأيه بما رواه ابن خلدون، ومع ذلك، لم يفهم عبارة ابن خلدون أو أراد أن يحرفها على هواه، لأن ابن خلدون لا يعيب على معاوية فعلته كما فعل «حتي» بل يقول: «فقد رأيت كيف صار الأمر الى الملك و بقيت معاني الخلافة، من تحرى الدين ومذاهبه والجرى على منهاج الحق». (١)

٥) هجوم الاسلام على كل من خالفه.

٦) انكار المعجزات النبوية عدا القرآن.

٧) سياسة عمر الاشتراكية (كلمة اشتراكية لم تكن معروفة في صدر الاسلام).

٨) جهل العرب بأمور البحر.

هذه النقاط التي ذكرها (حتي) لم يبحثها بحثا علميا ولم يرجع فيها الى مراجع موثوق بها، وانما ألقاها جزافا كأنها من الأمور المسلم بها، وقد ناقشناه في موطن الرد عليه.

---

(١) مقدمة ابن خلدون جـ١ ص١٧٣.

ثالثا ــ القضايا التي انفرد بها بروكلمان

١) مسألة الغرانيق العلى:

أما قصة الغرانيق فقد اعتمد في ذكرها على ما دسه الاسرائيليون وخصوم الاسلام في بعض كتب المسلمين ليحاولوا التشكيك في كتاب الله وفي أمانة رسول الله، ولم يكلف بروكلمان نفسه العناء في بحث هذه القضية بحثا علميا، حتى يميز به بين الصواب والخطأ وبين الروايات التي تتنافى مع العقل والمنطق ومع نصوص القرآن الكريم وعصمة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنه ترك كل ذلك واستجاب لهواه، وظن أنه بطريقته هذه قد طعن الاسلام طعنة قاتلة ليشفى به نفسه ونفوس اخوانه ممن أعماهم التعصب.

٢) الطعن في شخصية ابن عباس وعثمان بن عفان والمغيرة بن شعبة:

وكذلك تناول ابن عباس وعثمان بن عفان والمغيرة بن شعبة، وهم صفوة الصحابة رضوان الله عليهم الذين عرفوا بالاستقامة والأمانة والعلم وقوة الايمان والبعد عن الشبهات والمعاصي، ولكنه أخذ يتلمس ما يشفي غلته وغلة اخوانه من الصاق بعض المعايب والتهم، فلم يجدها الا في كتب الأدب، وكتب أصحاب الفرق والمذاهب المختلفة، ولم ترد في كتب التاريخ الا عن طريق رواة غير موثوق بهم مثل أبي مخنف ولوط بن يحيى في كتاب الطبري.

٣) انكار نزول الوحي على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

٤) اتهامه الدين الاسلامي أنه قام على تقليد الديانات الأخرى وان الرسول قد كيَّف شعائر قومه بشعائر اليهود والنصارى من أجل كسبهم، وتبدل الرسول للاسلوب القرآني في المدينة عن مكة.

٥) اعتبر الحجر الأسود وثنا عبد في الجاهلية والاسلام.

٦) حركة الارتداد ودوافعها وسبل محاربتها.

في هذه النقاط السابقة لم يكن بروكلمان مبتدعا، وانما هي أفكار صليبية قديمة قدم الحملة الصليبية التي أخذ الصليبيون من يومها على تكذيب الرسالة والتشكيك في أصلها ومضمونها وفي صدق ما جاء بها، حتى يتسنى لهم احداث البلبلة في نفوس المسلمين والعمل على اضعاف ايمانهم بهذه الرسالة المحمدية، بعد أن أدركوا أن سبب قوة المسلمين وصلابتهم في وجه خصومهم هو تمسك المسلمين بهذا الدين، فكان هدفهم من وراء هذه الافتراءات والادعاءات الكاذبة هو تشويه صورة الاسلام في نفوس المسلمين.

فجاء بروكلمان وهو أحد تلاميذ هذه المدرسة ليكمل بعض مهمتهم، غير عابىء بما هو واجب على كل باحث وكاتب من تحرى الحقيقة والبحث عنها، حتى يعطي كتاباته الصبغة الصحيحة والصورة اللائقة بالباحث الأمين.

ب
واجب رجال التاريخ إزاء هذه الآراء

اذا كانت هذه الآراء والافتراءات قد وجدت في كثير من كتب التاريخ الاسلامي الأول وبعض كتب التفسير فلا بد من العمل على ازالتها بالوسائل التي يمكن اتخاذها، لنتخلص من هذه الافتراءات وتطهير الكتب التاريخية وعقول الشباب المسلم من آثارها وهذا يرجع في نظرنا الى أمور أربعة هي:

الأمر الأول:

بالنسبة لكتب التاريخ القديمة وما حوته من اسرائيليات وأخبار واهية وقضايا ضارة بالاسلام، فهذه تحتاج الى جهد كبير للعمل على احباط ما فيها من آراء ووسوسة على الاسلام والمسلمين، وهذا المجهود لا يستطيع القيام به فرد أو جماعة الا اذا تضافرت الهيئات العلمية لاعادة كتابة التاريخ الاسلامي من جديد، وتمحيص قضاياه، وتسهيل الحصول على المراجع الجديدة التي خلت مما وضعه خصوم الاسلام، لتحل محل الكتب القديمة بوسائلها الحديثة في الاستدلال على زيف ما وضعه خصوم الاسلام بالأدلة القاطعة من الأخبار الصحيحة والمنطق والعقل، حتى يمكن اقناع قراء هذه الكتب بفساد ما ورد في الكتب القديمة.

ورغم أن فائدة هذه الكتب الحديثة لن تظهر سريعا الا أنه بعد مرور زمن طويل يمكن أن تغطي هذه المؤلفات (المحققة تحقيقا علميا) على ما هو موجود في الكتب القديمة.

الأمر الثاني:

مراجعة ما ألف وطبع حديثا من قبل الكتاب المسلمين الذين درسوا على أساتذة من الغرب، كانوا قد تصيدوا بعض الأخبار المزيفة في كتب التاريخ الاسلامي والتفسير لينصبوا منها براهين يقومون بها آراءهم الفاسدة ضد الاسلام والمسلمين، فيأتي هؤلاء الكتاب المسلمون يأخذون عن أساتذتهم وهم معصوبو العيون. وهم بحكم مراكزهم كأساتذة في الجامعات الاسلامية ولهم الهيمنة على الكتب المقررة فيحملون الطلاب على قراءة ما أنتجوه وما اعتمدوا فيه على آراء المستشرقين، ولإيقاف وصد هذا الاتجاه تقوم الهيئات العلمية بتأليف لجان من اعلام التاريخ الاسلامي الذين لهم خلفية دينية وغيرة على الاسلام بمراجعة الكتب المقررة على طلاب المدارس والجامعات حتى لا تنتشر هذه الآراء فتبلبل أفكار الطلاب المسلمين وتشككهم في ماضيهم المجيد.

الأمر الثالث:

هو اختيار أساتذة ومدرسين للتاريخ الاسلامي ممن سلمت عقائدهم وتحصنوا بقدر كاف من الدراسات الاسلامية حتى وجدت عندهم الخلفية الاسلامية. لأن هؤلاء يستطيعون أن يرجعوا الى

الكتاب والسنة وسير الصحابة، فيعالجون بها ما يرونه غير متفق مع الكتاب والسنة، أو غير لائق بمقام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ومقام أصحابه رضوان الله عليهم، وتنقية بيئتهم التي عاشوا فيها من صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم واتباع هديه وسنته، فاذا كانوا مؤمنين بتعاليم الاسلام فانهم يستطيعون أن يؤثروا في طلابهم تأثيرا روحيا يؤمنون به ايمانا قويا، و يدرك به الطلاب أمجاد الاسلام وطهارة رجاله في عصوره الأولى، ومدى ما قدمه الاسلام للحضارة الانسانية المتمثلة في سلوك رجاله وما كانوا عليه من صفات كريمة، نشرت الاسلام في شرق الأرض وغربها.

فاذا وجد للتاريخ الاسلامي أساتذة ومدرسون بهذه الصفة يمكن تربية جيل جديد ينهض بهذه الأعباء، و يتحمل مسؤولية تصحيح الأخطاء والرد على الافتراءات التي اصطنعها خصوم الاسلام.

الأمر الرابع:

فهو أن يُجعل للتاريخ الاسلامي في الجامعات العربية والاسلامية قسم خاص منفصل عن بقية أقسام التاريخ الأخرى، حتى تتميز شخصية التاريخ الاسلامي بأساتذته وطريقة تدريسه ومراجعه التي تعتمد أول ما تعتمد على الكتاب والسنة، ثم على المراجع الموثوق بها والروايات الصحيحة التي لا يستطيع أن يميزها عن غيرها سوى الأساتذة الذين لهم نصيب وافر من الدراسات الاسلامية، فهؤلاء وحدهم هم الذين يعرفون طرق الرواية و يستطيعون التمييز بين صحيحها وسقيمها.

فاذا تيسر للقائمين على أمر الجامعات تحقيق هذا الأمر فانهم يضعون اللبنة الأولى للبناء الشامخ، الذي يمكنه أن يصد تيارات الالحاد والأكاذيب التي يحاول خصوم الاسلام ادخالها في عقول الشباب المسلم.

جـ

بعض الكتب التي تأثرت بآراء وافتراءات بعض المستشرقين

ونحن نذكر على سبيل المثال لا الحصر عددا من أصحاب الكتب التاريخية الذي تأثروا بآراء المستشرقين، خاصة بروكلمان وفيليب حتي، ونشروا آراءهم في المحيط العلمي والجامعي بواسطة كتبهم أو محاضراتهم وهم:

١ــ طه حسين في كتابه (على هامش السيرة) و (على و بنوه).

٢ــ عبد المنعم ماجد في كتابه (التاريخ السياسي للدولة العربية).

٣ــ أحمد شلبي في كتابه (التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية).

٤ــ على حسنى الخربوطلي في كتابه (الدولة العربية الاسلامية).

٥ــ حسن ابراهيم حسن في كتابه (تاريخ الاسلام السياسي).

٦ــ بنت الشاطىء في كتابها (نساء النبي).

أولا ــ الدكتور طه حسين: الفتنة الكبرى (على و بنوه):

١ــ ما ذكره د. طه حسين عن موقف السيدة عائشة من خلافة علي فيقول في ص ٢٩/٢٨ من كتابه (الفتنة الكبرى على و بنوه) «ولما علمت ــ عائشة ــ حقيقة الأمر وأن عليا هو الذي تمت له البيعة في المدينة ضاقت بذلك ضيقا شديدا وأعلنت أنها كانت تؤثر انطباق السماء على الأرض قبل أن ترى عليا وقد أصبح للمسلمين اماما».

ثم يعود فيقول: «كان معروفا أن عائشة رحمها الله لم تكن تحب عليا ولا تهواه بل كان معروفا أنها تجد عليه موجدة شديدة منذ حديث الافك حين أراد علي أن يواسي النبي صلى الله عليه وسلم فأشار عليه بأن يطلقها».

ولم يقف عندما أخذه عن المستشرقين بل زاد عليه من خياله ما شاء حيث قال في صفحة ٢٩ من نفس الكتاب: «وكانت تنكر على علي ــ فيما أعتقد ــ أمرين آخرين أحدهما لم يكن لعلي فيه خيرة، فقد تزوج فاطمة بنت رسول الله ورزق منها الحسن والحسين فكان أبا الذرية الباقية للنبي ولم يمنح لها هذا الولد من رسول الله».

أما الأمر الآخر فهو أن عليا قد تزوج أسماء الخثعمية بعد وفاة أبي بكر رحمه الله وأسماء الخثعمية هي أم محمد بن أبي بكر الذي نشأ في حجر علي فكانت عائشة تجد على علي لهذا كله.

٢ــ وعن بيعة يزيد يقول طه حسين في صفحة ٢٤٧ من كتابه نفسه:

«فالشيء المحقق هو أن معاوية قد استكره هؤلاء النفر على الصمت بعد أن لم يستطع أن

يستكرههم على البيعة». والمقصود بهؤلاء النفر هم (الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير، وعبد الله ابن عمر).

ثم يقول: «وكذلك استقر في الاسلام لأول مرة هذا الملك الذي يقوم على البأس والبطش والخوف الذي يرثه الأبناء عن الآباء».

٣ــ أما عن يزيد نفسه فيقول طه حسين في صفحة ٢٥٨: «كان قبل ولايته لعهد أبيه مسرفا على نفسه في طلب اللذة والعكوف عليها والاستهتار بها حتى كثر حديث الناس فيه. وكان الفتى مشغولا عن أبيه بسياسة شهواته الجامحة. وقد أقبل على الملك دون أن ينصرف اليه عن لذاته أو يقلع عما كان عاكفا عليه من العبث واللهو والمجون».

٤ــ وعن ابن عباس يقول في صفحة ١٣٤ «ورأى ابن عباس نجم ابن عمه في أفول ونجم معاوية في صعود فأقام في البصرة ففكر في نفسه أكثر مما يفكر في ابن عمه وفي هذه الخطوب التي كانت تزدحم عليه وكأنه آثر نفسه بشيء من الخير وسار في بيت المال سيرة تخالف المألوف من أمر علي ومن أمره هو».

٥ــ في كتاب «على هامش السيرة» صفحة ٣٢٧ حيث ذكر عنوان كبير بهذه الصورة «شوق الحبيب الى الحبيب» فيقول: «واذا هو يمتحن في ذلك نبيه، ويمتحن في ذلك زيدا ويمتحن في ذلك المؤمنين الصادقين جميعا يلقى في قلب النبي حب زينب زوج زيد و يلقى في قلب زيد الانصراف عن زينب والنفور منها».

ثم يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم: «وهذه نفس مضطربة أشد الاضطراب ممتنعة أشد الامتناع واجمة أشد الوجوم ترفض هذا الحب رفضا وتزدرى عنه ازدراء، واذا هي تنكره حتى على نفسها ولكن الله يبدي ما تخفي و يعرف الناس ما تنكره». مع أن طه حسين ممن يقال عنهم أنه كان يحفظ القرآن الكريم، ولكن تأثره بالمستشرقين منعه أن يرجع الى قوله تعالى «فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا».

ثانيا ــ الدكتور عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية:

١ــ يتحدث الدكتور ماجد عن حياة العرب وهو متأثر بغيره من المستشرقين فيقول في صفحة ٦١/٦٢ جـ١: «وكان بعض الأعراب يذبحون الكلاب كقبيلة بني أسد أو يأكلون لحوم الناس كقبيلة هذيل، أو يأكلون الجراد كقبيلة طي، كما أن بعض الأعراب كانوا يأكلون الحيات والعقارب والجعلان والخنافس أو حتى القمل».

٢ــ وفي ص ٩٨ جـ١ يقول: «وفجأة في سن الأربعين يملك محمد موهبة النبي أو الرسول».

٣ــ وعن الحج في الاسلام يذكر في ص ١٢٥ جـ١ فيقول: «وقد أناب فيه أبا بكر صديقه يقرأ

عليهم سورة براءة التي يتبرأ فيها محمد ممن يحج من المشركين » كأن محمداً هو الذي يتبرأ .

٤ــ وفي ص ٢٥٠ جـ١ يقول : « كما أن النبي كان ينسخ بعض الآيات التي أملاها و يأتي بأخرى محلها » .

٥ــ و يقول في ص ١٢٨ جـ١ عن الدعوة وعن الرسول : « وهو وإن أرسل الى العرب الا أنه اعتبر نفسه أنه مرسل لكافة الناس » .

٦ــ وفي ص ١٣٤ ج١ يقول عن الزكاة : « وانه من الخطأ أن نتصور أن اهتمام الاسلام بالزكاة يرجع الى المشاكل الاجتماعية في جميع حالاته ، أو أنه نوع من التضامن الاجتماعي كما في وقتنا » .

٧ــ و ينكر المعجزات النبوية سوى الوحي فيقول في ص ١٠٢ ج١ : « ولكن محمدا لم يرض أن تنسب اليه معجزة غير نزول الوحي عليه من قبل الله » فكان يرد عليهم بقوله : « قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا » . (١)

٨ــ وفي ص ١٣٧ ج١ يذكر تحريم الربا فيقول « وكذلك حارب الربا كل المحاربة وذلك لأن معظم القائمين به هم اليهود » وكأنه شرع لغرض شخصي .

٩ــ و يقول في ص ١٦٣ جـ١ عن دوافع الفتح « ولكنا لا نوافق بعض المستشرقين في قولهم إن العرب كانوا مدفوعين نحو الفتوح بالحماس الديني وان الحروب التي قاموا بها تعتبر حروباً دينية ، فنحن لا نظن أن العرب ــ ومعظمهم من البدو ــ كانت تسودهم الروح الدينية والرغبة في نشر الاسلام » .

١٠ــ وفي صفحة ٢٢١ جـ١ يقول : « إن العرب لم يستطيعوا فتح هذه القرى ــ قرى مصر ــ الا بعد أن أحرقوا المزارع ، وسبوا أهلها » .

١١ــ وفي صفحة ١٨٠ جـ١ يقول : « ولقد كان للانتصار في أجنادين وقع عظيم ، بحيث اعتقد المسلمون أن هذا النصر من الله » .

١٢ــ وفي صفحة ١٨٣ جـ١ يذكر سبب عزل عمر بن الخطاب لخالد بن الوليد فيقول : « وان كان من الجلي أن الرجال الأشداء يخشون الأشداء مثلهم » .

١٣ــ و ينكر على السيدة عائشة أن سبب خروجها في معركة الجمل الاصلاح فيقول في صفحة ٢٦٣ جـ١ : « وقد حاولت عائشة أن تثير العرب في هذه النواحي على علي ، على أساس أن غايتها الاصلاح » .

---

(١) سورة الاسراء ــ آية ٩٣.

وقد ذكر عائشة ضمن الحاقدين على علي لقبوله الخلافة من أيدي قتلة عثمان فيقول في ص ٢٦٢ جـ١ : «ومن بينهم أزواج النبي وعلى رأسهم أم المؤمنين عائشة» . وفي هذه المرة ذكر بقية نساء الرسول ولم يذكر ذلك أحد خلافه والمذكور هو موضوع السيدة عائشة .

١٤ــ وعن عثمان يقول في صفحة ٢٥٥ جـ١ «ثم ان عثمان لم يراع المصلحة العامة بقدر رعايته لمصلحة أقربائه» .

١٥ــ و يقول عن فتح المسلمين للأندلس في صفحة ٢٠٤ جـ٢ «قيل إنهم طبخوا من قتلاهم من الأسرى في القدور» .

ثالثا ــ الدكتور علي حسني الخربوطلي ــ الدولة العربية الاسلامية:

١ــ يقول في صفحة ١٢٤ «فان نبأ مبايعة علي وقع عليها وقوع الصاعقة ولم تستطع أن تخفي شعورها أو تكتم غيظها، بل أعلنتها عليه حربا شعواء مدفوعة في ذلك بأحقاد شخصية بحتة» .

و يذكر في هامش كتابه أن تلك الأحقاد الشخصية مركزة في نقطتين هما:

١) كرهها لفاطمة زوجة علي لانجابها الحسن والحسين .

٢) حديث الافك . وقد نقل هذا عن طه حسين في كتابه «علي و بنوه» .

و يعلق الدكتور الخربوطلي على ذلك فيقول : «وكانت السيدة عائشة تسعى لتحويل الخلافة اليه (عبد الله بن الزبير) فقد حرصت عائشة على أن يصلي بالناس خلال الحرب (حرب الجمل) ونحن نعلم مدى أهمية ذلك» .

٢ــ و يقول في صفحة ١٢٦ آخذا برأى المستشرق كاترمير حيث يقول : «إنه لم يكن بين العرب الطامعين في الخلافة في القرن الأول الهجري ــ باستثناء علي ــ رجل اجتمعت له الحقوق والمؤهلات سوى شخص واحد هو عبد الله بن الزبير» .

٣ــ وفي صفحة ٢٢٢ فيقول : «اهتم عبد الملك بانشاء الأبنية فبنى المسجد الأقصى والصخرة أثناء قتال ابن الزبير ليحول الناس عن الحج الى مكة» .

رابعا ــ الدكتور أحمد شلبي ــ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية:

١ــ يقول عن عائشة في صفحة ٣٣٧ جـ١ «كانت ثائرة على عثمان وكانت هي وطلحة من أشد الناس انتقادا له، ولما حوصر عثمان تركت عائشة المدينة وذهبت الى مكة فلما قتل عثمان

خرجت من مكة قاصدة المدينة فلما عرفت أن البيعة تمت لعلي غضبت وقالت: والله لا يكون هذا الأمر أبدا، قتل عثمان مظلوما والله لأطالبن بدمه».

ثم يقول: «هل كان حزن عائشة على عثمان هو الذي دفعها الى ذلك العمل؟ والحقيقة لا.. فقد كانت هناك عوامل أبعد غورا نذكر أهمها:

١ــ حديث الافك.

٢ــ نفس علي على أبي بكر الخلافة وامتنع عن مبايعته زمنا، فلماذا تسرع عائشة لمبايعة علي؟ ولماذا تتركه يهنأ بهذه الخلافة؟

٣ــ عدم انجابها من الرسول وانجاب فاطمة من علي».

٢ــ و يقول في صفحة ٤٤ جـ٢ «ولم يكن معاوية يقصد الخير للمسلمين في تعيين ابنه يزيد بقدر ما كان يقصد تهيئة أسباب السعادة لابنه».

خامسا ــ الدكتور حسن ابراهيم حسن ــ تاريخ الاسلام السياسي:

يقول في صفحة ٢٥٧ جـ١ عند ذكره تقليد عبد الرحمن بن عوف لعثمان الخلافة: (قال علي ابن أبي طالب لعبد الرحمن): «لقد حبوته حبو دهر ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. والله ما وليت عثمان الا ليرد الأمر اليك والله كل يوم هو في شأن، ومن ثم نرى أن التنافس قد ظهر عند ذلك الوقت بين عثمان وعلي».

سادسا ــ الدكتورة بنت الشاطىء ــ نساء النبي:

وتقول في صفحة ١٤٧ حين حديثها عن زواجه صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش: «أفينكر على بشر رسول أن يرى مثل زينب فيعجب بها؟ وماذا يطلب من مثله ــ في سمو خلقه وعفة ضميره ــ أكثر من أن يشيح بوجهه عمن أعجبته وهويسبح باسم الله العظيم مقلب القلوب وأي ضبط للنفس ينتظر من بشر رسول أكثر من أن يجيئه زيد فيستأذنه من جديد في طلاقها فيأبى عليه الا أن يمسكها و يتقي الله؟»».

هؤلاء هم الذين لمعت أسماؤهم في سماء التاريخ والأدب وأخذ عنهم الشباب في المعاهد والمدارس ونقلت عنهم المعرفة باعتبارهم أساتذة المدرسة الحديثة في التاريخ الاسلامي.

ثم يتبين لنا فيما بعد أننا كنا معصوبي العينين محجوبين عن الرؤية، كنا نرى بعيونهم ونفكر بعقولهم وما كنا ندري أنهم نقلوا عن المستشرقين الذين خبثت نواياهم واشتد حقدهم على الاسلام، فاخذوا يشوهون التاريخ الاسلامي و يفترون على المسلمين افتراءات واضحة.

وحين كانت كتابات المستشرقين بلغاتهم، كنا نشك فيما كتبوا ونأخذ الحيطة عندما نقرأ ما كتبوا.

ولكن لما صار الكاتب عربيا، واللسان عربيا، والقيادة الفكرية عربية، سلمنا واعتقدنا أن الصواب فيما كتبوا، حتى تبين لنا أن هؤلاء الكاتبين كانوا أبواقا تذيع ما كتبه المستشرقون بغير تصرف أو نقد أو تعليق.

هنالك كان لا بد لنا من كشف ما ستره هؤلاء عن عيون الشباب المتعلمين حتى يتنبهوا الى هذه المزالق و يراجعوا هذه الأفكار المسمومة ليقيسوها بمقياس العدل والحق والواقع الذي كان عليه الرعيل الأول من المسلمين وسارت على نهجه الأمة الاسلامية.



تعريف بأهم المصادر والمراجع

من الطبيعي أن تبدو للباحث في بحثه أهمية بعض المصادر والمراجع التي عاش معها في بحثه وصاحبته طويلا، ولما كان موضوع هذا البحث موضوعا اسلاميا، والمراجع التي تمدنا بالمعلومات معظمها من المراجع والمصادر القديمة، كان لزاما علينا أن نكتب تعريفا ببعض هذه المصادر والمراجع حتى يتمكن الباحثون في مثل هذا الموضوع أن يرجعوا اليها لينتفعوا بها في بحوثهم ومعلوماتهم.

فمن بحثي هذا وجدت في بعض المصادر والمراجع ما يغطي معظم بحثي، وذلك اما لا تساع الفترة المؤرخ عنها في بعض هذه المصادر مثل كتاب الطبري، وكتاب الكامل لابن الأثير، فهذان الكتابان وغيرهما تعتبر مراجع مهمة اعتمد عليها المستشرقون في اذاعة ونشر وتلفيق أخبار ذكروا أنهم أخذوها من هذه المراجع التي خرجوا منها بمفترياتهم، فأصبح لزاما علينا أن نعود اليها لنحقق مدى صحة هذه الفرية ولنبين للقارىء أن هذه الكتب جمعت آراء مختلفة وروايات متعددة، فمنها الصحيح، ومنها المزيف الموضوع، فلما جاء المستشرقون سقطوا على الروايات المدسوسة والآراء المكذوبة ووجدوا ضالتهم المنشودة نقلا عن المؤرخين المسلمين.

ومن أجل ذلك كان لزاما عليَّ أن أنوه ببعض المصادر والمراجع التي وضعت الحق في نصابه وكشفت الستار عن زيف المزيفين، فمن هؤلاء ابن خلدون في المقدمة التي ناقش فيها بعض القضايا التي لم يكن كسابقيه فيها في الاكتفاء بالنقل، بل نجده يبحث في أصلها وصحة أسانيدها فان اتفقت مع الواقع ومنطق العقل ذكرها وان كانت على غير ذلك فندها وأبطلها وأظهر زيفها. كما استعنت ببعض المراجع التي تناولت بعض هذه القضايا من المؤرخين المحدثين والمشتغلين بالقضايا الاسلامية مثل كتاب «أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ» «للدكتور ابراهيم شعوط»، وكتاب «دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مزاعم المستشرقين» للشيخ الغزالي وكتاب الأستاذ أحمد محمد جمال «مفتريات على الاسلام».

فأحببت أن أدعم بحثي بآراء المنصفين من المستشرقين لتكون شهادة من بعضهم على بعض فتسقط حجة المفترين.

وسأكتب كلمة مختصرة أبين بها قيمة بعض هذه المراجع ومدى افادتي منها في بحثي لينتفع بها من أراد أن يكتب مرة أخرى في هذا الموضوع.

أولا ــ كتاب الرسل والملوك

لابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ وهو من كتب التاريخ الجامعة لأخبار العالم ابتداء من أول الخلق وانتهاءً الى سنة ٣٠٩هـ، رتبه مؤلفه على السنوات وذكر ابن الجوزي أنه بسط الكلام في

الوقائع بسطا وان لم يصلنا الا مختصرا، ولم يصلنا سوى أحد عشر مجلدا منه فقط.[1]

كما اهتم مؤلفه باثبات القصة أو الواقعة التاريخية عن طريق الرواية ـــ العنعنة ـــ وقد حاكاه ونقل عنه من جاء بعده من مؤلفين كابن مسكويه، وابن الأثير.

ولعل من مميزات هذا الكتاب أن صاحبه لم يقتصر على ذكر رواية واحدة بل كان ينقل الروايات المختلفة مهما كان ناقلها فيضعها كلها أمام القارىء، فمنها الغث ومنها السمين، ومنها ضعيف السند والمشكوك في روايته، وليأخذ منها القارىء ما يروقه اذا أراد الاستدلال على صحة وجهة نظره.

وقد اعتمد ابن جرير في رواياته ـــ حسبما جاء في مقدمة كتابه ـــ على سيف بن عمر وابى مخنف رغم أنهما غير ثقة. فسيف بن عمر قال عنه ابن معين: ضعيف الحديث وقال أبو داود: ليس بشيء وقال النسائي والدارقطنى: ضعيف، وقال ابن عدي: أحاديثه مشهورة وعامتها منكرة، وقال ابن حبان: قالوا: كان يضع الحديث وقال ابن حبان والحاكم: ان سيف بن عمر اتهم بالزندقة وقال عنه الدارقطنى: انه متروك.[2]

أما أبو مخنف، وهو لوط بن يحيى، أخباري لا يوثق به، تركه أبو حاتم وغيره وقال الدارقطنى: ضعيف، وقال يحيى بن معين: ليس بثقة وقال ابن عدى: شيعي. وقال أبو عبيد الاجرى: سألت ابا حاتم عنه فنفض يده، وذكره العقيلى في الضعفاء.[3]

وقد نقل كتاب الطبرى (الرسل والملوك) الى الفارسية أبو علي محمد البلعي من وزراء السامانية سنة ٣٥٢هـ ونقله غيره الى التركية وهو المتداول بين عوام الروم، وعليه ذيل لابى محمد عبد الله ابن محمد الفرغاني وعرف هذا الذيل بالصلة.[4]

أما مؤلف هذا المرجع فهو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ولد سنة ٢٢٤هـ الموافق ٨٣٩م وتوفى سنة ٣١٠هـ الموافق سنة ٩٢٣م، وهو مؤرخ ومفسر وفقيه ولد في آمل بطبرستان واستوطن بغداد وتوفى بها، تنقل بين العواصم الكبرى طلبا للعلم، حفظ القرآن صغيرا، أقام في العراق فعرض عليه القضاء فامتنع والمظالم فأبى.[5]

---

(١) كشف الظنون جـ١ ص٢٩٧.

(٢) ابن حجر العسقلانى ـــ تهذيب التهذيب جـ٤ ص٢٩٥ـــ٢٩٦.

(٣) ابن حجر العسقلانى ـــ لسان الميزان جـ٤ ص٤٩٢، بيروت مصور عام ١٣٩٠هـ عن طبعة ١٣٣٠ بالهند

(٤) كشف الظنون جـ١ ص٢٩٨.

(٥) الاعلام للزركلى جـ٦ ص٢٩٤، الموسوعة العربية ص ١١٥٣.

قال عنه ابن الأثير: «أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ».

وكان اعتمادي على طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩م في بعض الموضوعات الآتية مثل:

١) زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش.

٢) موقف السيدة عائشة من الامام علي بن أبي طالب.

٣) قصة العباسة و بطلان زواجها المزعوم من جعفر البرمكي.

ثانيا ــ الكامل في التاريخ

وهذا لا ينقص أهمية عن سابقه بالنسبة لمراجع التاريخ الاسلامي، وهو يتكون من اثني عشر مجلدا ومجلد آخر جعل للفهارس، والكتاب مرتب حسب السنين ابتدأ مؤلفه من بدء الخليقة وانتهى الى سنة ٦٢٩هـ.(١)

فهو سائر على نهج الامام الطبري في كتابه، فقد اعتمد عليه في نقل الأخبار عنه، الا أنه اتبع فيه منهجا جديدا، فهو لم يذكر رواة القضية بل اكتفى بنقلها مجردة من العنعنة، وقد نقل عن الطبري من بداية الخليقة الى سنة ٣٠٩هـ وهو حيث ما وقف الطبري ثم دون معلوماته بعد وفاة الطبري بصورة مفصلة حتي سنة ٦٢٩.

وأصبح حجة فيما نقل في كثير من الروايات بحيث لم يزد عليه أحد من مؤلفي عصره حيث أصبح الكل بعده عيالا عليه.

طبع هذا الكتاب عدة مرات، وعنى به المستشرقون فطبعوه طبعة علمية بليدن سنة ١٨٦٦م.

كما علق عليه جمال الدين محمد ابراهيم الوطواط المتوفى سنة ٧١٨هـ، حواشي مفيدة، وزيله على بن الساعي المتوفى سنة ٦٧٤هـ في خمسة مجلدات.(٢)

وترجمه الى الفارسية مولانا نجم الدين الطارمى وهو من أعيان دولة ميرزايرشاه وقد اعتمدت على طبعة بالأوفست ببيروت سنة ١٩٦٦م.

أما مؤلفه فهو أبو الحسن بن محمد بن الأثير الشيباني الجزرى، ولد ونشأ في جزيرة بن عمر من أعمال الموصل سنة ٥٥٥هـ الموافق ١١٦٠م وتوفى سنة ٦٣٠هـ الموافق ١٢٣٤م، رحل الى دمشق و بيت المقدس ثم عاد واستقر في الموصل وانقطع للعلم والتأليف، فألف كتابه الكامل وله أيضا أسد الغابة في معرفة الصحابة، وتحفه العجائب وطرفة الغرائب والجامع الكبير، واختصر كتاب

---

(١) كشف الظنون جـ٢ ص ١٣٨٠.

(٢) المصدر السابق.

الانساب للسمعاني(١). وقد استعنت به في الرد على كل من (بروكلمان) و (فيليب حتي) في بعض الموضوعات:

١) أحقية معاو ية في تولية يزيد.

٢) نفي التهم التي ألصقت بيزيد بن معاو ية.

٣) نفي التهم التي ألصقت بعبد الملك بن مروان وابنيه الوليد وهشام.

ثالثا ــ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر

وهو مكون من سبعة مجلدات، الأول منها يحتوي على ٥٥٨ صفحة وهو المقدمة، وهي ذات موضوع خاص لاشتمالها على نصوص في أصول العمران والنظريات الفلسفية والسياسية وأضاف فيها العلوم، كما اشتملت المقدمة على أصول علم الاجتماع وطرق التربية بالنسبة للنشء، فانتقد فيها البدء بتعليم القرآن والاقتصار عليه لأن الأطفال في هذه الحالة يقرأون ولا يفهمون فلا تحصل لهم الملكة اللغو ية.

ونعى فيها على الفلاسفة المتقدمين، اقتصارهم على دراسة العالم العلوي والذات الالهية، وقولهم بآراء لا يمكن لهم أن يبرهنوا عليها.

وقد ترجمت هذه المقدمة الى الفرنسية وغيرها من اللغات، وترجمها الى الفارسية الشيخ محمد بير زادة المتوفى سنة ١١٦٢هـ، وشرحها الشيخ أحمد المغربي المقرى سنة ١٠٤١هـ(٢) كما قام بتحقيقها السيد الدكتور علي عبد الواحد وافي في ثلاثة مجلدات.

ولابن خلدون منهج خاص في مقدمته هذه بالنسبة لعلم التاريخ، فقد جعل للبحث في الوقائع قواعد خاصة، فالوقائع التاريخية في منهج ابن خلدون التاريخي يرتبط بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلول، و بهذا جعل ابن خلدون علم التاريخ فرعا من فروع الفلسفة، وجعل لمقدمته هذه موضوعا خاصا هو الحياة الاجتماعية، وما يتصل بها من حضارة مادية وعقلية، والتي رأى أنها تتطور من حال الى حال، كحال البداوة، وحال الأسرة الحاكمة أو القبيلة، وحال الدولة المتحضرة المستقرة في المدينة، وعلى ذلك بحث ابن خلدون في أصول العمران والملك والكسب والعلوم والصنائع المختلفة، فكان فذاً بين فلاسفة المسلمين مما جعله مؤسسا لفلسفة التاريخ.(٣)

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ص٩.

(٢) كشف الظنون جـ١ ص١١٢٤.

(٣) الموسوعة العربية ص١٤.

أما الأجزاء الستة الأخرى فهي في علم التاريخ، وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ذو قيمة كبرى بين كتب التاريخ الاسلامي.

وكتب ابن خلدون عن التاريخ منذ بدء الخليقة حتى عصره ورتب كتابه حسب السنين ولم يلتزم فيه بتحقيق الروايات التاريخية كما اشترط ذلك لكتابة التاريخ في مقدمته، وقسم كتابه الى قسمين، (القسم الأول) يتكلم فيه عن أحوال العرب (والقسم الثاني) عن أخبار البربر بديار المغرب، وختم كتابه بالتعريف عن نفسه فعقد فصلا في ٧٦ صفحة بعنوان التعريف بابن خلدون.

أما مؤلف الكتاب فهو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المولود سنة ٧٣٢هـ الموافق ١٣٣٢م، والمتوفى سنة ٨٠٨هـ الموافق ١٤٠٦م.

مؤرخ اجتماعي، فيلسوف عربي مسلم، ينتهي نسبه الى وائل بن حجر من عرب اليمن، أقامت أسرته في تونس، حيث ولد ونشأ، وتعلم بها، وتنقل في بلاد العرب والأندلس، ثم أقام بتلمسان وشرع بها في تأليف تاريخه، ثم عاد الى تونس ومنها انتقل الى مصر واتصل بسلطانها برقوق، فولاه قضاء المالكية، حج الى مكة سنة ١٣٨٧م رافق جيش المماليك الذي أنفذ لصد زحف تيمورلنك، ثم انقطع بعد ذلك للتأليف في مصر وأتم كتابه (العبر).

وقد انتفعت به في الرد على كل من (بروكلمان) و (حتي) في بعض الموضوعات مثل:
١) تبرير موقف معاوية من تحويل الخلافة الى ملك.
٢) اثبات أن ما وضع من أخبار لهو الخلفاء في كتب الأدب إنما مبعثه هو انهماك الكتاب أنفسهم في الملذات المحرمة فوضعوها ليبرروا لأنفسهم سوء فعلهم.
٣) موقف الامام علي رضي الله عنه بجانب سيدنا عثمان رضي الله عنه في محنته.

رابعا ـ حضارة العرب

للمستشرق الفرنسي «جوستاف لوبون» في مجلد واحد مكون من ٦٥٩ صفحة وقد قسمه مؤلفه الى ستة أبواب كل باب منها يحتوي على عدد من الفصول.

كما يشتمل على عشر لوحات وأربع خرائط و ٣٣٦ صورة فوتوغرافية من تصوير المؤلف نفسه.

يهتم الكتاب بتاريخ العرب والمسلمين ولكن المهم فيه أن هذا الكتاب أعطى العرب والمسلمين حقهم من الانصاف، فاعترف بعبقرية الاسلام وشموخه، وأثره على معتنقيه، وانصف الحضارة الاسلامية، وأشاد بفضلها على الحضارة الأوروبية.

فبحث هذا الكتاب في جميع أحوال العرب والمسلمين من حيث الأصل والنسب والأرض والوطن، أى من حيث الجغرافيا والطبائع والنظم في المدن والأرياف في الحضر والبدو ووضع

نـظـمـهـم السياسية والاجتماعية، ومن حيث الا تصالات بين الشعوب الاسلامية التي حصلت أثر الفتح الاسلامي.

كـمـا بـحـث في الاسـلام وكيف انتشر حتى أضحى له تلك الدولة المترامية الأطراف، فاهتم الـكتاب بالبحث في أحوال شعوب البلاد المفتوحة من جميع نواحيها الاجتماعية والسياسية، وأثرها على العرب وأثر العرب الفاتحين فيها.

ونـاقـش الحـضـارة الـعـربية، مصادرها ومناهجها، وأثرها على الشعوب والحضارات الأخرى، وأشـاد بـشـمـولها و بـقـائـهـا وخصص لها باباً قائماً بذاته وهو الباب الخامس من الكتاب، فعرض وبحث فيه جميع فروع الحضارة فتحدث عن اللغة والفلسفة والتاريخ، عن الرياضيات وعلم الفلك، عن العلوم والجغرافيا، عن الفيزياء وتطبيقاتها عن العلوم التطبيقية عند المسلمين، عن الفنون بجميع نواحيها من عمارة ونسيج، من نحت ونقوش وما الى ذلك.

تحدث عن تجارة العرب واتصالاتهم بالشعوب الأخرى وتمدينهم للمدن الأوروبية.

ثـم خـصـص بابا آخر ــ وهو الباب السادس ــ عن أسباب انحطاط حضارة العرب في الشرق وكيف ورث الغرب حضارة الشرق.

ثـم ختم الكتاب بفصل يصف فيه حال الاسلام الحاضر. وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات آخرها كانت سنة ١٩٦٩م في القاهرة، كما قام بترجمة هذه الطبعة من الفرنسية إلى العربية الأستاذ عادل زعيتر، وهذه التي اعتمدت عليها.

أما مؤلـف الـكـتـاب فـهـو المسـتـشرق الفرنسي جوستاف لوبون، ولد سنة ١٨٤١ وتوفي سنة ١٩٣١م، وهو من علماء النفس والاجتماع، ألف عددا من الكتب في علم النفس والاجتماع، وقد أفادني في الرد على (بروكلمان) و (حتي) في بعض الموضوعات مثل:

١) طبيعة الفتح الاسلامي وحسن معاملته لأهل البلاد المفتوحة.
٢) اثبات معرفة العرب بأمور البحر، وان عرب الشام هم سادة البحر الأبيض.
٣) أصالة اللغة العربية وعمقها الحضاري.

خامسا ــ الدعوة الى الاسلام

للـمـسـتشرق الانجليزي السير توماس ارنلد، وهو مقسم الى ثلاثة عشر بابا وعدد صفحاته ٥٢١ مع الـفهارس، و يتميز الكتاب بالبحث عن تاريخ نشر العقيدة الاسلامية كما اتصف بالانصاف للاسلام والمسلمين.

الباب الأول اختص بالتعريف عن الدين الاسلامي وأساليب انتشاره.

والباب الثاني دراسة مستوفية عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره داعية الى الاسلام.

وخصص عشرة أبواب منه لكيفية انتشار الاسلام بين شعوب العالم، فقسم العالم الاسلامي الى عشر مناطق، وخص كل منطقة من العالم بباب خاص.

أما الباب الأخير وهو الثالث عشر، فعقده عن دعاة المسلمين، وأشار فيه الى وجوب وجود هيئة منظمة للدعوة الى الاسلام وبين فيه المهمة الملقاة على عاتق الأفراد وعوامل نجاحهم.

وطبع في لندن سنة ١٨٩٦م وهو أول طبعاته، ثم ترجم الى العربية والتركية والاردية([1]). وقد ترجمه الى العربية وعلق عليه الدكتور حسن ابراهيم حسن، والدكتور عبد المجيد عابدين، والأستاذ اسماعيل النحراوي، كما قام بمراجعة الترجمة الأستاذ مصطفى السقا.

وقد طبعت النسخة المترجمة ثلاث مرات في القاهرة، الأولى كانت سنة ١٩٤٧م والثانية ١٩٥٧، أما الثالثة والأخيرة والتي اعتمدت عليها في سنة ١٩٧٠م.

أما مؤلف الكتاب فهو السير توماس ارنلد ولد سنة ١٨٦٤م وتوفي سنة ١٩٣٠م مستشرق انجليزي، تعلم في كمبردج وعمل استاذا للفلسفة بجامعة عليكرة بالهند كان أول استاذ في قسم الدراسات العربية بمدرسة اللغات الشرقية بلندن، تتسم كتاباته عن بعض قضايا التاريخ الاسلامي بالحياد والانصاف.

من أهم آثاره كتابنا الذي نحن بصدده وهو الدعوة الى الاسلام، وكتاب الخلافة الذي طبع بأكسفورد عام ١٩٢٤م. وقد أفادني كتابه الدعوة الى الاسلام في الرد على (بروكلمان وحتي) في بعض الموضوعات مثل:

١) في الرد على من حاول الصاق الشبه حول حقيقة النبوة.

٢) طبيعة الفتح الاسلامي وان الفاتحين ليس لهم أطماع في الفتح غير نشر الدعوة الاسلامية.

٣) اثبات أن معظم الشعوب المفتوحة دخلت الاسلام، رغبة فيه وهروبا من الأوضاع غير المستقرة بالنسبة للكنيسة وللحكومات السابقة للفتح الاسلامي.



(١) الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٥.

الخاتمة

عندما كلفت بهذا الموضوع، موضوع (دراسة نقدية لآراء «فيليب حتي» و «كارل بروكلمان»)، قرأت كتاب «تاريخ العرب المطول» لفيليب حتي وقرأت كتاب «تاريخ الشعوب الاسلامية» لكارل بروكلمان، فوجدت في كلا الكتابين قضايا وموضوعات وقفت أمامها أفكر كيف صدرت هذه الأفكار والقضايا من عالمين كبيرين يشار اليهما بالبنان في مجال الكتابات التاريخية؟

وجدت هجوما غير كريم على المقدسات الاسلامية، وأكاذيب موضوعة تمس عقيدة المسلمين كما تمس شخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، واتهامات شائنة لكبار الصحابة في صدر الاسلام، ثم تتبعهما للروايات المزيفة ومقالات أصحاب الأهواء، ليتخذ كل منهما دليلا من هذه الروايات المتهافتة على صحة وجهة نظره.

ثم تابعت القراءة في أمهات الكتب التاريخية فاتضح لي مدى ما يكنه كل من بروكلمان وفيليب حتي من حقد على الاسلام ورجاله.

ولقد ساعدتني المعلومات التي حصلت عليها من قراءاتي لمصادر التاريخ الاسلامي، ولما نعلمه من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ساعدتني هذه المعلومات على رد هذه الافتراءات بما تحتاجه كل فرية من الرد عليها سواء من القرآن الكريم ــ حين أجد التعرض والهجوم على القرآن الكريم ــ ومن الحديث النبوي حين أحس بأن الهدف هو الطعن في أحاديث رسول الله، و بالمنطق والعقل والحجة حين أحس بانحراف عن المعقول في كتابة هذين الرجلين.

ولقد اسعفني وقوى حجتي في الرد على كثير من الرميات التي وجهها كل منهما الى الاسلام ورجاله ساعدني بعض المستشرقين الذين لم تجرفهم تيارات العصبية ولم تأخذهم حمى البغض للاسلام، فكتبوا ما أعانني على الرد بآرائهم على اخوانهم في الملة والدين.

وأخذت أبحث في كتابات المحدثين ومؤلفات المعاصرين لأجد فيها ما يطمئنني على صحة ردودي وسلامة موقفي أمام هذه الضلالات والافتراءات .. فوجدت في كتب القدامى تصحيحا لبعض القضايا التي اعتمد كل من فيليب حتي وكارل بروكلمان على نشرها واذاعتها.

وجدت ابن خلدون في مقدمتة يصحح الآراء الفاسدة التي عنى بها خصوم الاسلام وشوهوا الحقيقة التي كان ينبغي أن يعرفوها، وكذلك وجدت في كتاب (العواصم من القواصم) لابن العربي ما استطعت به أن أرد كيد هؤلاء الناس وأمثالهم في نحورهم.

وكذلك شد من أزرى وأنار الطريق أمامي عدد من فضلاء الكتاب والمؤرخين المعاصرين أمثال فضيلة الاستاذ الشيخ محمد الغزالي في كتبه دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مزاعم المستشرقين، التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام وكتاب مع الله.

وكذلك فضيلة الدكتور الشيخ ابراهيم شعوط في كتابه «أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ».

والأستاذ أحمد محمد جمال في كتابه «مفتريات على الاسلام».

وفي أثناء معايشتي لهذه القضايا، وقع في يدي ما انتجه فريق من الكتاب المعاصرين الذين درسوا في مدارس المستشرقين، فراعني ما وجدت في هذه الكتب التي تحمل أسماء أساتذة كبار وتدرس في الجامعات العربية والاسلامية.

راعني أن ما وجدته من الانحراف في الفكر والتجني على الاسلام، انهم تأثروا بما كتبه كل من فيليب حتي وكارل بروكلمان من قضايا ظهر فيها الحقد والمكر السيىء بالاسلام والمسلمين.

ثم أدركت أن ما أراده بروكلمان وفيليب حتي من الحط من شأن الاسلام و بلبلة أفكار الشباب المسلم لا يساوي شيئاً بجانب ما أحدثته كتب ومؤلفات هؤلاء الأساتذة المسلمين الذين صارت لهم الهيمنة الفكرية على عقول الشباب في الجامعات والمدارس الاسلامية.

وخرجت من بحثي هذا بهذا الجهد المتواضع الذي حاولت أن أجعل منه مشاعل على الطريق لمن يريد السلامة في مسيرة التاريخ.

وأعتبر أن بحثي هذا محاولة للدفاع عن الاسلام، وتصحيح بعض القضايا التي تعمد خصوم الاسلام أن يضعوها بارزة أمام عيون الشباب المسلم، واعتبره احدى اللبنات الأولى التي أرجو أن يكتمل البناء عليها بجهد الباحثين الذين أرجو أن يرزقهم الله التوفيق والسداد بما ينتجون من آراء وكتب تمتلىء بها عقول الشباب وعيونهم وتحل محل ما كتبه هؤلاء الذين نهجوا نهج أساتذتهم من المستشرقين.

والله وحده المستعان والمرجو في كل نائبة انه نعم المولى ونعم النصير..



قائمة بأسماء المصادر والمراجع

(مرتبة ترتيبا هجائيا ــ بالنسبة لشهرة المؤلف)

قائمة بأسماء المخطوطات:

١) الضباع: محمد بن أحمد — تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام
رقم الايداع ٦٨ بمكتبة الحرم المكي

٢) الظاهري: أبو محمد علي بن أحمد ت ٤٥٦هـ — أسماء الصحابة والرواة
رقم العدد
رقم الايداع ٢٥٤ دار الكتب المصرية

٣) العجمي: علي بن حسن — تاريخ مكة والمدينة والطائف
رقم الايداع ٦١ مكتبة الحرم المكي.

٤) محب الدين: عبد الكريم الحنفي — اعلام العلماء الاعلام ببناء المسجد الحرام
رقم الايداع ٩٣ مكتبة الحرم المكي

٥) الهيثمي: احمد بن حجر ت ٦٧٤هـ — تطهير الجنان واللسان عن الخطورة بالتفوة بمثالب معاو ية بن ابي سفيان.
رقم الايداع ٢٥٠ مكتبة جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة.

أسماء المصادر والمراجع:

١) القرآن الكريم

٢) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم ت ٧٢٨هـ — الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. القاهرة ١٣٧٩

٣) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم — منهاج السنة ـــ القاهرة ١٣٢١

٤) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي ابن محمد بن عبد الكريم، الجزرى الشيباني ت ٦٣٠هـ — أسد الغابة في معرفة الصحابة دار الشعب ـــ القاهرة

٥) ابن الاثير: عز الدين أبو الحسن علي ابن محمد بن عبد الكريم، الجزرى الشيباني ت ٦٣٠هـ — الكامل في التاريخ ـــ بيروت ١٣٨٦

٦) ابن الجوزي: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن جعفر. ت ٥٩٧هـ — تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير ـــ القاهرة ١٩٧٥م

٧) ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي ت ٨٥٢هـ — تهذيب التهذيب ـــ بيروت ١٩٦٨

٨) ابن حجر العسقلاني — لسان الميزان ـــ الهند ١٣٣١هـ

٩) ابن حجر العسقلاني — الاصابة في تمييز الصحابة دار الفكر ـــ بيروت

١٠) ابن الخطيب: محمد محمد عبد اللطيف	حقائق ثابتة في الاسلام القاهرة ١٣٩٤
١١) ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان دار صادر ـ بيروت
١٢) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي المغربي ت ٨٠٨هـ	كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر بيروت ١٣٩١
١٣) ابن سعد: محمد بن منيع الزهري ت ٢٣٠هـ	الطبقات الكبرى بيروت ١٣٨٠
١٤) ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله ـ ت ٢٥٧هـ	فتح مصر ليدن ١٩٢٠
١٥) ابن عبد البر: عمر يوسف بن عبد الله ت ٤٦٣هـ	الاستيعاب دار الفكر ـ بيروت
١٦) ابن عبد ربه: احمد بن محمد الاندلسي ـ ت ٣٢٨هـ	العقد الفريد دار الشرق ـ بيروت
١٧) ابن عبد الوهاب: محمد ت ١٢٠٦هـ	مختصر سيرة الرسول ـ القاهرة ١٣٧٩
١٨) ابن العربي: أبو بكر ت ٥٤٣هـ	العواصم من القواصم القاهرة ١٣٨٧
١٩) ابن قتيبة: أبو محمد بن عبد الله ابن مسلم الدينوري ت ٢٧٦هـ	الامامة والسياسة القاهرة ١٣٨٨
٢٠) ابن القيم: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية ت ٧٥١هـ	أحكام أهل الذمة في الاسلام دمشق ١٣٨١
٢١) ابن كثير: ابو الفداء اسماعيل ت ٧٧٤هـ	تفسير ابن كثير دار الفكر ـ بيروت

٢٢) ابن كثير: ابو الفداء اسماعيل ت ٧٧٤هـ — البداية والنهاية بيروت ١٩٧٤

٢٣) ابن ماجة: ابوعبد الله محمد بن يزيد — سنن ابن ماجة بيروت ١٣٧٢

٢٤) ابن الوردى: زين الدين عمر بن مظفر أبو الفوارس الكنوى ت ٧٤٩هـ — تتمة المختصر في اخبار البشر القاهرة ١٣٨٩

٢٥) ابن هشام: أبو محمد عبد الملك ت ٢١٣هـ — السيرة النبوية القاهرة ١٩٧٥

٢٦) ابو اسحاق: الشيرازى الشافعي — طبقات الفقهاء بيروت

٢٧) ابو حبان: محمد بن يوسف ت ٧٥٤هـ — البحر المحيط بيروت ١٣٩٨

٢٨) أبو رابية: عبد الخالق سيد — جولة مع المستشرقين القاهرة ١٣٩٦

٢٩) ابوريه: محمد — أضواء على السنة القاهرة ١٣٧٧

٣٠) أبو زهرة: محمد محمد — الحديث والمحدثون القاهرة ١٣٧٨

٣١) أبو السعود: العمادي الحنفي ت ٩٨٢ ن محمد — تفسير أبو السعود مطبعة السعادة ــ القاهرة

٣٢) أبو الفرج: علي بن الحسين الأصفهاني ت ٣٥٦هـ — الأغاني مصر ــ بدون

٣٣) أبو الفضل: ابن منظور — لسان العرب بيروت ١٩٦٨

٣٤) أبو يوسف: يعقوب بن ابراهيم ت ١٨٢	الخراج القاهرة ١٣٩٢
٣٥) الباشا: حسن	دراسات في تاريخ الدولة العباسية القاهرة ١٩٧٥
٣٦) آربرى: د. أ. ج	المستشرقون البريطانيون لندن ١٩٤٦
٣٧) ارنست	تركيا الفتاة بيروت ١٩٦٠
٣٨) ارنولد: توماس	الدعوة الى الاسلام القاهرة ١٩٧٠
٣٩) انطنيوس: جورج	يقظة العرب القاهرة ١٩٦٩
٤٠) البخاري: أبو عبد الله بن محمد بن اسحاق ت ٢٥٦هـ	صحيح البخارى القاهرة ١٣٧٨
٤١) بروكلمان: كارل	تاريخ الشعوب بيروت ١٩٧٤
٤٢) البستاني: بطرس	دائرة معارف البستاني دار المعارف ـ بيروت
٤٣) البغوى: ابو محمد الحسين الفرا ت ٥١٦هـ	تفسير البغوى دار الفكر ـ بيروت
٤٤) البغدادي: مطير حسان	الدولة العربية القاهرة ١٩٦٧
٤٥) البلاذري: ابو الحسن أحمد بن يحيى ت ٢٧٩هـ	فتوح البلدان القاهرة ١٩٥٩
٤٦) البلاذري	انساب الاشراف القاهرة ١٩٥٩

٤٧) البهى: نجيب محمد ـ مقال (البيئة التي نشأ فيها الشعر الجاهلي وتياراته الكبرى) — مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة عدد مايو ١٩٥٢

٤٨) ترتون: أ. س. ترتون — أهل الذمة في الاسلام

٤٩) ترمذى: ابو عبس محمد بن عبس — سنن الترمذي القاهرة ١٩٦٥

٥٠) تغرى بردى: جمال الدين أبو المحاسن ت ٨٧٤ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة المؤسسة العامة للتأليف والترجمة القاهرة

٥١) الجاحظ: أبو عثمان عمر بن بحر ت ٢٥٥ — التاج في أخلاق الملوك القاهرة ١٣٢٢

٥٢) جرمود: عبد الجبار — هارون الرشيد بيروت ١٣٧٦

٥٣) جصاص: ابو بكر محمد بن الرازي ت ٣٧٠هـ — أحكام القرآن دار الفكر ـ بيروت

٥٤) جمال: احمد محمد — مفتريات على الاسلام القاهرة ١٣٩٥

٥٥) جمعة: سعد — مجتمع الكراهية دار الكتاب العربي ـ بيروت

٥٦) الجهشبارى: ابو عبد الله محمد ابن عبدوس ت ٣٣١هـ — الوزراء والكتاب القاهرة ١٣٥٧

٥٧) حاجى خليفة: مصطفى عبد الله ت ١٠٦٨هـ — كشف الظنون مكتبة المتنى ـ بغداد

٥٨) حتي: فيليب — تاريخ العرب المطول القاهرة ١٩٤٩

٥٩) حتي: فيليب — خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى بيروت ١٩٧٥

٦٠) حسن: حسن ابراهيم — تاريخ الاسلام السياسي

٦١) حسن: علي ابراهيم — التاريخ الاسلامي العام القاهرة ١٩٦٣

٦٢) حسين: طـــه — على هامش السيرة الطبعة ٢ القاهرة

٦٣) الحلبي: علي بن برهان — السيرة الحلبية (سيرة الأمين والمأمون) دار الفكر — بيروت

٦٤) الحماني: أحمـــد — مجلة جوهر مقال الاسلام

٦٥) الحموى: شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت الرومي ت ٦٢٦ — معجم البلدان بيروت ١٩٥٧

٦٦) الخازن: علاء الدين علي بن محمد ابن ابراهيم ت ٧٤١هـ — تفسير الخازن دار الفكر — بيروت

٦٧) الخالدى: محمد — التبشير والاستعمار بيروت

٦٨) الخربوطلي: علي حسني — الدولة العربية الاسلامية القاهرة ١٩٦٠

٦٩) الخضرى: محمد بـــك — تاريخ التشريع بيروت ١٣٨٧

٧٠) الخضرى: محمد بـــك — تاريخ الأمم الاسلامية (الدولة الأموية) القاهرة ١٣٦٩

٧١) الرفاعى: أحمد فريـــد — عصر المأمون القاهرة ١٢٤٦

٧٢) الارزقي: ابو الوليد محمد بن عبد الله ت ٢٥٠ — أخبار مكــة القاهرة ١٣٥٢

٧٣) الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله ت ٧٩٤ — البرهان في علوم القرآن القاهرة ١٣٧٦

٧٤) الزركلي: خير الدين — الاعلام بيروت ١٣٨٩

٧٥) زكريا: هاشم زكريا — المستشرقون والاسلام القاهرة ١٣٨٥

٧٦) الزمخشري: ابو القاسم جار الله محمود ابن عمر ت ٥٣٨ — تفسير الكشاف دار الفكر ــ بيروت

٧٧) زيدان: جورجي — العرب قبل الاسلام دار الهلال القاهرة

٧٨) سالم: عبد العزيز — تاريخ العرب قبل الاسلام الاسكندرية ١٣٩٣

٧٩) السباعي: مصطفى — المستشرقون والاستشراق الكويت ١٣٨٧

٨٠) سرور: جمال الدين — الحياة السياسية في الدولة العربية بيروت ١٩٧٣

٨١) سيدبو: ل. أ. سيدبو — تاريخ العرب العام القاهرة ١٣٨٦

٨٢) السيوطي: جلال الدين ت ٩١١هـ — الاتقان في علوم القرآن دار الفكر ــ بيروت

٨٣) السيوطي: " " " — اعجاز القرآن دار الفكر ــ بيروت

٨٤) شعوط: ابراهيم علي — أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ القاهرة ١٣٩٦

٨٥) شعوط: مقال (مفاهيم خاطئة في تاريخ العرب في الجاهلية). — العدد الأول من مقال مجلة جامعة الملك عبد العزيز جدة ١٣٩٥

٨٦) الشهرستاني: أبو الفتح محمد ابن عبد الكريم ت ٥٤٨هـ — الملل والنحل القاهرة ١٣٨٧

٨٧) الأصبهاني: ابو نعيم احمد ابن عبد الله ت ٤٣٠هـ — حلية الأوليا وطبقات الأصفيا القاهرة ١٣٩٤

٨٨) الصواف: محمد محمود — المخططات الاستعمارية لمكافحة الاستعمار — الطبعة الأولى

٨٩) الطبرسى: أبو علي الفضل بن الحسن ت ٥٤٨ — مجمع البيان بيروت ١٣٨٠

٩٠) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ — جامع البيان في تفسير القرآن القاهرة ١٣٧٣

٩١) الطبري " " " — تاريخ الطبرى دار المعارف — القاهرة

٩٢) طلس: أسعد — عصر الازدهار بيروت ١٩٦٠

٩٣) الطماوى: سليمان — عمر بن الخطاب وأصول السياسة والادارة بيروت ١٩٦٩

٩٤) الطهطاوي: محمد عزت اسماعيل — التبشير والاستشراق

٩٥) الطهطاوي: محمد عزت اسماعيل — محمد نبي الاسلام في التوراة والانجيل والقرآن القاهرة ١٩٧٢

٩٦) العامري: عماد الدين يحيى ابن ابي بكر — بهجة المحافل دار صادر — بيروت

٩٧) العبادى:عبد الحميد- مقال «أحابيش مكة هل كانوا عرباً أم أحباشاً؟» مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة عدد مايو ١٩٥٢

٩٨) عثمان: حسن مقال (البحر الأحمر كطريق تجارى في عهد البيزنطيين والعرب والمماليك) القاهرة ١٣٥٨

٩٩) عرجون: صادق خالد بن الوليد القاهرة ١٣٧٨

١٠٠) العصامي: عبد الملك بن حسين ابن عبد الملك ت ١١١١هـ سحط النجوم العوالى المكتبة السلفية القاهرة

١٠١) العقاد: عباس محمود عبقرية محمد دار الكتاب ــ بيروت

١٠٢) العقاد: عباس محمود ما يقال عن الاسلام دار الكتاب ــ بيروت

١٠٣) على: جواد الفصل في تاريخ العرب بيروت ١٩٦٨

١٠٤) العقيقي: نجيب المستشرقون القاهرة ١٩٦٤

١٠٥) على: سيد أمير مختصر تاريخ العرب بيروت ١٩٦٧

١٠٦) عنان: محمد عبد الله تراجم اسلامية القاهرة ١٣٩٠

١٠٧) غربال: محمد شفيق الموسوعة العربية الميسرة بيروت ١٩٦٥

١٠٨) الغزالي: محمد مع الله القاهرة ١٩٥٩

١٠٩) الغزالي: محمد التعصب والنساخ بين المسيحية والاسلام القاهرة ١٩٦٥

١١٠) الغزالي : محمد — دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مزاعم المتسشرقين القاهرة ١٣٩٥

١١١) غنيم: محمد علي — لب التاريخ القاهرة

١١٢) غياته: يوجينا — تاريخ الدولة الاسلامية وتشريعها بيروت ١٩٦٦

١١٣) الفراء: محمد بن الحسين ت ٤٥٨هـ — الأحكام السلطانية القاهرة ١٣٨٦

١١٤) القارى: عبد العزيز مقال (المستشرقون في الاسلام) — مجلة محاضرات الجامعة الاسلامية لموسم ٩٤/٩٣

١١٥) القرشى: جمال الدين محمد جار الله ابن محمد نور الدين بن ابي بكر ابن ظهير القرشى — الجامع اللطيف ١٣٩٢

١١٦) القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد ت ٦٧١ — الجامع الأحكام القرآن بيروت ١٣٨٧

١١٧) قطب: سيد — في ظلال القرآن بيروت ١٣٨٦

١١٨) القلقشندى: أحمد بن عبد الله ت ١٤١٨ — مآثر الانافة في معالم الخلافة الكويت ١٩٦٤

١١٩) الكبيسى: عبد المجيد — عصر هشام بن عبد الملك بغداد ١٩٧٥

١٢٠) الكتبي: محمد بن شاكر ت ٧٦٤ — فوات الوفيات بيروت ١٩٧٣

١٢١) لوبون: جستاف — حضارة العرب القاهرة ١٩٦٩

١٢٢) ماجد: عبد المنعم — التاريخ السياسي للدولة العربية القاهرة ١٩٦٥

١٢٣) الماوردى: علي بن حبيب ت ٤٥٠هـ — الاحكام السلطانية القاهرة ١٣٨٦

١٢٤) ميخائيل: بشرى زخارى — محمد رسول الله هكذا بشرت به الأناجيل القاهرة ١٩٧٢

١٢٥) المسعودى: أبو الحسن على بن الحسين ت ٣٤٦ — مروج الذهب بيروت ١٣٩٣

١٢٦) مسلم: الامام ابو الحسن مسلم ابن الحجاج النيسابورى ت ٢٦١ — صحيح مسلم دار الفكر ـ بيروت

١٢٧) مصطفى: شاكر — دولة بني العباس القاهرة ١٩٧٣

١٢٨) مصطفى: عاطف ـ مقال (المستشرقونم في الاسلام) — مجلة الدارة العدد الثاني والثالث من السنة الثالثة

١٢٩) المقدسى: ابو عبد الله محمد بن أحمد ت ٣٨٠ — أحسن التقاسيم ابريل ١٩٠٦

١٣٠) المقدسى: مطهر بن ظاهر ت ٣٥٥ — البدء والتاريخ القاهرة ١٩١٦

١٣١) المقريزي: تقي الدين احمد بن علي ت ٨٤٥ — المواعظ والآثار بذكر الخطط والآثار القاهرة ١٩٥٩

١٣٢) المليبارى: محمد عبد الله — مجلة المؤتمر الأول ـ مقال للأدباء السعوديين

١٣٣) المودودى: أبو الأعلى — تفسير سورة النور دار الفكر ـ بيروت

١٣٤) النجار: عبد الوهاب — الخلفاء الراشدون القاهرة ١٩٦٠

١٣٥) النمر: عبد المنعم — الاسلام في الهند القاهرة ١٣٧٨

١٣٦) هيكل: محمد حسين — الفاروق عمر القاهرة ١٩٦٣

١٣٧) هيكل: محمد حسين — حياة محمد القاهرة ١٩٦٥

١٣٨) الواقدى: محمد بن عمر ت ٢٠٧ — فتوح الشام مطبعة المشهد الحسيني — القاهرة

١٣٩) ولهاوزن: يوليوس — الدولة العربية وسقوطها دمشق ١٩٥٦

١٤٠) الباقى: صالح المدهون — تنبيه الانام الى تاريخ الاسلام



المراجع الأجنبية:

1. Draycott: G.M. Mohamet Founder of Islam - London 1916.

2. Sm i th: R. Bosuiath, Mohommedan Mahmedanism, 1889.



فهرس الموضوعات

الموضـــــوع | الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

